الجامعة الإسلامية ـ غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي مريم و طه

" دراسة موضوعية "

إعداد

الباحث/ عبد السلام رزق الواوي

(١٢٠١٠٢٤٠٤)

إشراف

الأستاذ الدكتور/عبد السلام حمدان اللوح

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٢م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

[هود:٨٨]

﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾

[الرعد:١١]

الإهـــداء

إلى طب القلوب ودوائها،
وعافية الأبدان وشفائها، حبيبنا محمد رسول الله ﷺ.

إلى روح والدتي الطاهرة، التي غابت عن عينيّ منذ طفولتي،
أسأل الله أن يجمعني بها في مستقر رحمته.

إلى روح أختي الشهيدة بإذن الله أحلام،
التي كانت لي بمثابة الأم الحنون والأخت المثالية.

إلى أرواح الشهداء العظام، قادة وجنوداً،
الذين سطروا بدمائهم أروع ملاحم البطولة والفداء.

إلى والدي العزيز المصابر، الذي لم يبخل بأدنى جهد من أجل تقدمي،
رفع الله قدره، وسامحني عما قصرت في حقه.

إلى أخويّ الغاليين أبو مؤمن وأبو البراء، الذين وقفا بجانبي في مراحل حياتي،
وكانا سنداً لي لإكمال مسيرتي التعليمية.

إلى زوجتي الغالية، التي أعانتني بما تستطيع من جهد وصبر، لإتمام هذا البحث.

إلى قرة عيني ابني الحبيب حذيفة، الذي كان أنساً لي أثناء كتابتي للبحث،
سائلاً المولى ﷻ أن يكون ولداً صالحاً.

إلى إخوتي وأخواتي وأقاربي جميعاً، وكل من أحببت في الله.

إلى جامعتي الإسلامية الغراء، وأساتذتي الكرام الأجلاء.

إلى رواد الإصلاح والتغيير، والدعاة والمجاهدين،
في زمن الثورات وبناء الحضارات.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث.

شكر وتقدير

﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠]

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أشكرك ربي وأحمدك، أن أكرمتني ويسّرت لي إكمال دراستي، وإتمام بحثي هذا، فالفضل لك من قبل ومن بعد.

وبعد شكر الله ﷻ، أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان إلى أستاذي وشيخي، **فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد السلام حمدان اللوح** لقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وصبره عليّ، ومتابعتي، وتقديم الإرشادات والنصائح القيمة، فلم يدخر جهداً ولا سبيلاً لإنجاح هذا البحث، والوصول إلى هذا الإنجاز المتواضع، فأسأل المولى ﷻ أن يحفظه ويبارك في علمه، ويجزيه عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى أستاذيّ الكريمين عضويّ لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور: وليد محمد العامودي حفظه الله ورعاه

فضيلة الدكتور: جمال محمود الهوبي حفظه الله ورعاه

لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من وقت وجهد في قراءته، وإثرائه بملاحظاتهم السديدة، لإخراجه في أحسن صورة.

وأتقدم بالشكر الكبير إلى جامعتي الإسلامية الغراء، الصرح العلمي الشامخ، التي نهلت من معينها الصافي، وأخص بالذكر كلية أصول الدين، وعمادة الدراسات العليا، والمكتبة المركزية، والأساتذة الكرام جميعاً.

وأخيراً أتوجه بالشكر والتقدير لكل من ساعدني ووقف بجانبي لإتمام دراستي، وإنجاح هذا البحث، وأخص بالذكر أخي أبا مؤمن، وإخواني وزملائي في العمل الذين قدموا لي التسهيلات الكثيرة، وكذلك كل من شجعني ودعا لي بالتوفيق.

فجزاهم الله عني خير الجزاء، وأسأل الله ﷻ أن يكون في ميزان حسناتهم، وأن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

المقـدمـة

الحمد لله الرحيم المنّان، أنزل القرآن هدى وتبياناً، من اهتدى به فاز بجنة الرضوان، ومن ضل عنه باء بسخط الجبار، والصلاة والسلام على النبي الأمي العدنان، محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه من الإنس والجان، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كنز عظيم، فيه النور الذي يبدد الظلام، كيف لا .. وقد أصلح المجتمع الجاهلي بما فيه من فساد وضلال، وغيّر الجهل الذي عشّش في القلوب قبل العقول، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الذل إلى العزة، قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١].

ولما كان القرآن كتاب هداية وإصلاح، لزم أن نرد إليه أمرنا مهتدين مستنيرين، باحثين عن حلول لما يواجهه مجتمعنا الإسلامي من مشكلات، حيث فيه ما يحتاجه الفرد والأسرة والأمة للنهوض والوصول إلى العزة والرفعة.

وما أشد حاجتنا اليوم إلى أن نتدارس هذا القرآن العظيم، ونغترف من بحاره التي لا تنتهي، ونخرج بعض اللؤلؤ المكنون فيها، لنصلح بها حال أمتنا، ونغيّر بها كل ما خالف كتاب الله وشرعته، حتى يرضى الله عنا ونفوز بسعادة الدارين إنه بعباده رءوف رحيم.

ويستقي البحث قوامه في ضوء سورتين من سور القرآن، وهما سورتا مريم وطه، ويتناول منهجيات الإصلاح والتغيير فيهما، لما لهذه المنهجيات من دور كبير في إصلاح مجتمعاتنا الإسلامية في العصر الراهن، سائلاً المولى ﷻ أن يوفقني لما يحب ويرضى، وأن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

أولا: أهمية الدراسة :

تظهر أهمية الدراسة من خلال عدة جوانب أهمها :

١. تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب، ألا وهو القرآن الكريم.
٢. عصرية الموضوع وحداثته، وحاجة الأمة إليه لعلاج مشكلاتها المتنوعة.
٣. الصحوة الإسلامية التي تحياها الأمة اليوم بحاجة إلى مبادئ وقيم ثابتة، مصدرها القرآن الكريم والسنة، لتصل بها إلى العزة والتمكين بإذن الله.
٤. منهجيات الإصلاح والتغيير التي تضمنتها سورتا مريم وطه من جانب "عقائدي . عبادي . دعوي . تربوي . أخلاقي" من شأنها أن تنفع الناس في إصلاح شؤونهم، وتغيّر واقعهم إلى ما يرضي الله.
٥. التعامل مع النص القرآني بالتأمل والتدبر في ثناياه لاستخراج المكنون فيه يُعدُّ من أفضل العلوم وأجلها.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

دفعني لاختيار الموضوع عدة أسباب منها :

١. المساهمة في خدمة كتاب الله ﷻ ونيل رضا الله ﷻ.
٢. غفلة كثير من الناس عن منهجيات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.
٣. الوقوف على نقاط الضعف والفساد والتماس العلاج القرآني لها.
٤. الاشتغال بمهمة الأنبياء والمرسلين في تقويم السلوك السلبي، وتعزيز السلوك الإيجابي.

ثالثا: أهداف البحث:

لهذه الدراسة أهداف عديدة سامية منها:

١. ابتغاء الأجر والثواب من الله من خلال هذه الدراسة.
٢. إبراز منهجيات الإصلاح والتغيير التي اشتملت عليها سورتا مريم وطه.
٣. الارتقاء بمجتمعاتنا وتغيير حالها من الضعف والفساد إلى القوة والصلاح.
٤. بث روح الأمل في نفوس الناس، والعودة بهم إلى كتاب الله منهجاً لحياتهم.
٥. فتح آفاق جديدة أمام الدارسين، وطلبة العلم الشرعي، وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي خرج بها الباحث في الختام إن شاء الله تعالى.

رابعا : الدراسات السابقة :

– بعد البحث في الدراسات السابقة تبين أنه لم يكتب في هذا الموضوع بشكل مستقل إلا أنه موجود في ثنايا الكتب.

– قام الأستاذ الدكتور/ صلاح الدين سلطان بالكتابة في منهجيات الإصلاح والتغيير في السور التالية: " الكهف، يوسف، الصف، الملك، الفجر" بشكل مستقل، فكان ذلك فتحاً للكتابة في بقية السور.

– تبنت كلية أصول الدين من خلال قسم التفسير، مشروع بيان منهجيات الإصلاح والتغيير في جميع سور القرآن، وقد كانت دراستي هذه حلقة ضمن هذا المشروع.

خامسا: منهج الدراسة:

أعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي حسب منهجية التفسير الموضوعي، وذلك من خلال ما يلي:

١. تتبع آيات السورتين، واستنباط المنهجيات الموجودة فيهما، ودراستهما دراسة تفسيرية تطبيقية، وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع التفسيرية المختلفة.
٢. ذكر سبب النزول للآيات إن وجد، وبيان ما يترتب على ذلك من دلالة .
٣. الاستدلال بأقوال العلماء والمفسرين، وتوثيقها في الحاشية.
٤. الاستعانة بالأحاديث الشريفة التي تخدم المنهجيات مع تخريجها حسب الأصول، ونقل حكم العلماء عليها إن لم تكن في الصحيحين.
٥. ربط الآيات بالواقع وتحليلها تحليلاً عميقاً وموضوعياً.
٦. كتابة الآيات مشكولة بالرسم العثماني، مع تخريجها بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن تجنباً لإثقال الحواشي.
٧. عمل تراجم للأعلام المغمورين الذين وردوا في البحث.
٨. الرجوع إلى معاجم اللغة لبيان معاني الكلمات الغريبة .
٩. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق.
١٠. توثيق المرجع في الحاشية بذكر اسم الكتاب، واسم المؤلف، ورقم الجزء، ورقم الصفحة، تاركاً التعريف الكامل بالكتاب لوجوده في فهرس المصادر والمراجع، وذلك تخفيفا عن الحواشي.
١١. عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث وتسهل الوصول للمعلومات بأقل وقت وجهد.

سادساً: خطة الدراسة :

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة

وتشتمل على:

أولاً : أهمية الدراسة

ثانياً : أسباب اختيار موضوع الدراسة

ثالثاً : أهداف الدراسة

رابعاً : الدراسات السابقة

خامساً : منهج الدراسة

سادساً : خطة الدراسة

التمهيد

ويحتوي على الأمور التالية:

أولاً : المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً

ثانياً : المقصود بالإصلاح لغة واصطلاحاً

ثالثاً : المقصود بالتغيير لغة واصطلاحاً

الفصل الأول

بين يدي سورتي مريم وطه

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: بين يدي سورة مريم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها

المطلب الثاني: محور السورة وقضاياها

المطلب الثالث: المناسبات في السورة

المبحث الثاني: بين يدي سورة طه

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها

المطلب الثاني: محور السورة وقضاياها

المطلب الثالث: المناسبات في السورة

الفصل الثاني

الإصلاح والتغيير في سورة مريم

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول : منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الربوبية والألوهية والصفات

المطلب الثاني: كمال قدرة الله تعالى

المطلب الثالث: نفي الولد عن الله ﷻ

المطلب الرابع: إثبات حقيقة البعث

المطلب الخامس: البراءة من عقيدة الكفر

المطلب السادس: مظاهر وأحوال العباد يوم القيامة

المبحث الثاني : منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: الدعاء بالخفاء وإظهار الضعف

المطلب الثاني: المداومة على ذكر الله

المطلب الثالث: أهمية الخلوة للعبادة

المطلب الرابع: التلازم بين الصلاة والزكاة

المطلب الخامس: خشوع الجوارح والقلب

المطلب السادس: التوبة باب مفتوح

المطلب السابع: وراثة الجنة بالتقوى

المطلب الثامن: حاجة العابد للصبر على الطاعة

المطلب التاسع: تلازم ترك الصلوات واتباع الشهوات

المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: منهجية الولد الصالح

المطلب الثاني: التدرج في ضرب الأمثال

المطلب الثالث: الصمت أبلغ رد على السفهاء

المطلب الرابع: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل

المطلب السادس: سنة الاستدراج والإمهال

المطلب السابع: سنة الثبات وزيادة الهدى

المطلب الثامن: محبة الله تعالى لأوليائه

المطلب التاسع: العبرة في فناء ومصرع الأمم السابقة

المبحث الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى الله بشتى الوسائل

المطلب الثاني: صفات الداعية المسلم

المطلب الثالث: منهج الحوار البناء

المطلب الرابع: الرحمات والنفحات بعد الشدة

المطلب الخامس: الحقائق العلمية دليل على صدق الوحي والنبوة

المطلب السادس: وجوب تعهد الأهل بالنصح والإرشاد

المطلب السابع: التبشير والإنذار بالقرآن

المطلب الثامن: الأسوة في التذكير بالأنبياء

المبحث الخامس: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الحياء والعفة

المطلب الثاني: فضيلة الإخلاص والصدق

المطلب الثالث: النظرة المادية القاصرة

الفصل الثالث

الإصلاح والتغيير في سورة طه

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول : منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الله في ألوهيته وربوبيته

المطلب الثاني: توحيد الله في أسمائه وصفاته

المطلب الثالث: ترسيخ الإيمان باليوم الآخر

المطلب الرابع: إعذار الله إلى الخلق بإرسال الرسل

المطلب الخامس: النظر في آيات الله الكونية

المبحث الثاني : منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: العناية بالصلاة خاصة

المطلب الثاني: الحث على التوكل على الله

المطلب الثالث: التحذير من ترك الشكر

المطلب الرابع: الإسراع في الطاعة

المطلب الخامس: تحقيق الاهتداء والاستقامة

المطلب السادس: السعي إلى زيادة العلم

المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: مشروعية المناظرة لبيان الحق

المطلب الثاني: خطورة الفتنة في الدين والتحذير منها

المطلب الثالث: ضرورة مجاهدة النفس من نوازع الشر

المطلب الرابع: الوفاء بعهد الله والتحذير من نكثه

المطلب الخامس: التحذير من غواية الشيطان

المبحث الرابع : منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: التسلية والتصبير على مشاق الدعوة

المطلب الثاني: التذكير والوعظ بالقرآن

المطلب الثالث: مقومات وسبل نجاح رسالة الدعوة

المطلب الرابع: إقامة الحجة والإعذار بالإنذار

المطلب الخامس: الجهر بالحق في وجه الباطل

المبحث الخامس: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التأدب مع الله تعالى

المطلب الثاني: أهمية التعارف للمتلاقين

المطلب الثالث: الغضب عند انتهاك حرمات الله

المطلب الرابع: الاعتذار خلق حميد

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس

وتشتمل على :

١. فهرس الآيات القرآنية
٢. فهرس الأحاديث النبوية والآثار
٣. فهرس الأعلام المترجم لهم
٤. فهرس المصادر والمراجع
٥. فهرس الموضوعات

التمـهيد

ويشتمل على ما يلي:

أولاً: المقصود بالمنهج لغة واصطـلاحـاً

ثانياً: المقصود بالإصلاح لغة واصطلاحاً

ثالثاً: المقصـود بالتغيير لغة واصطلاحـاً

أولاً: المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً

١- تعريف المنهج في اللغة:

المنهج لغةً من مادة نهج، ينهج نهجاً، يقال: نهج فلان الطريق أي بيّنه ووضحه، ونهج الأمر وأنهج لغتان إذا وضح واستبان، وصار نهجاً واضحاً بيّناً، ويقال: فلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه، والمنهج والمنهاج والنهج بمعنى واحد، وهو الطريق البيّن الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم.[١]

ويأتي المنهج بمعنى "الخطة المرسومة"[٢]، "والجمع مناهج"[٣]، "والمنهجية نسبة إلى المنهج"[٤].

قال تعالى:﴿ ... **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ...﴾ [المائدة:٤٨] "المنهاج الطريق الواضح في الدين" [٥]، قال ابن عباس ﷺ: "شرعة ومنهاجا أي سبيلا وسنة".[٦]

نتبين من خلال ما تقدم أن المنهج في اللغة يعني الطريق أو المسلك أو السبيل الواضح البيّن المستقيم، والخطة المرسومة المتبعة من قبل سالكها أو السائر فيها.

٢- تعريف المنهج في الاصطلاح:

يختلف تعريف المنهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكل علم منهج يناسبه؛ ويتضح ذلك من خلال التعريفات التالية :

- ورد في الكليّات أن: "الشرعة ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق الواضح، أو الأول: الدين، والثاني: الدليل، وعن ابن عباس الشرعة ما ورد به القرآن، والمنهاج ما ورد به السنة "[٧].

---

[١] انظر: لسان العرب- ابن منظور-٣٨٣/٢، مجمل اللغة- ابن فارس-٨٤٥/١، أساس البلاغة - أبوالقاسم محمود الزمخشري-٣٠٦/٢، المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني-٨٥٢/١.

[٢] المجمع الوسيط- مجمع اللغة العربية بالقاهرة-٩٥٧/٢.

[٣] معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس-٣٦١/٥.

[٤] كتابة البحث العلمي صياغة-عبد الوهاب أبو سليمان- ص ٢٨.

[٥] روح المعاني- شهاب الدين محمود الألوسي-٣٢١/٣.

[٦] ذكر هذا الأثر في صحيح البخاري- كتاب الإيمان- مقدمة باب قول النبيﷺ:"بني الإسلام على خمس" - ١٥/١، وانظر تفسير ابن كثير ١١٧/٣.

[٧] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية- أبو البقاء الحنفي- ٥٢٤/١.

– والمنهج هو "الطريق الذي يؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم؛ بواسطة طائفة من القواعد العامة، وهي التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة" [١]، وهو " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"[٢]، وهذان التعريفان أقرب إلى منهج البحث العلمي.

– أما تعريف المنهج الإسلامي فقد عُرّف بأنه "الطريق والنظام والإطار الحاكم والجامع والرابط والناظم للمعالم التي تحدد مكان ومكانة الإنسان في هذا الكون، ورسالته في هذا الوجود، وعلاقته بالأغيار، ومصيره بعد هذه الحياة الدنيا"[٣].

ومنهج الحياة الإسلامي: "هو السبيل لصياغة الإسلام كمشروع حضاري بما تضمنه من برامج مرحلية لتغيير الواقع"[٤]، وهذان التعريفان هما أقرب لموضوع البحث .

– وقد أشار صاحب كتاب طريق الهداية إلى تحقيق المنهجية الصحيحة التي بها تكون النجاة بقوله: "إن المنهجية الصحيحة تتحقق بالعودة لأصول الفهم والتلقي والاستنباط إلى الكتاب والسنة، وقواعد الفهم المعتبر لدى خير القرون، كما تعني تكوين أسلوب للنظر في كليات الأمور ومهماتها، وإنشاء منهجية للتعامل مع الأحداث، والحكم على المواقف والأشياء والأشخاص، وضبط المناحي العلمية والعملية كافة بطريقة منهجية، تنبثق من مشكاة الصحابة والتابعين، وسلف الأمة الصالحين، وأهل الحديث المتبعين"[٥].

ويرى الباحث بعد الوقوف على التعريفات السابقة، واستئناساً بالمعنى اللُّغوي للمنهج، بأن التعريف الجامع المانع للمنهج هو: " الطريق الواضح، والإطار الحاكم، والخطة المرسومة المتبعة من قبل سالكها للوصول إلى غاية منشودة ".

---

[١] العلم والبحث العلمي– حسين عبد الحميد رشوان– ص١٤٣.

[٢] كتابة البحث العلمي صياغة جديدة – عبد الوهاب أبوسليمان – ص ٢٨.

[٣]، [٤] معالم المنهج الاسلامي – محمد عمارة – ص ١٨–١٩.

[٥] طريق الهداية – محمد يسري– ص٨٥.

ثانياً: المقصود بالإصلاح لغة واصطلاحاً

١- تعريف الإصلاح في اللغة:

الإصلاح لغةً مأخوذ من الفعل (صَلَحَ)، فالصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، وصَلُح كصَلَح لغتان؛ فالصَّلاح والصُّلوح بمعنى واحد، يقال: صَلَحَ يَصْلَح ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً فَهُوَ صالحٌ وصليح، والجمع صُلَحاء وصُلُوح. [١]

وقوبل الصلاح تارةً في القرآن بالفساد، وتارةً بالسيئة، قال تعالى:﴿...**خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا**...﴾[التوبة:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**...﴾ [الأعراف:٥٦]، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال [٢] .

والصُّلْح بالضم وسكون اللام، اسم من المصالحة والتصالح خلاف المخاصمة والتخاصم، وهو يختص بإزالة النفار بين الناس، حيث يقال: اصطلحوا، وتصالحوا [٣].

قال تعالى: ﴿...**وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**﴾[محمد:٢] أصلح: أتى بالصلاح، وهو الخير والصواب[٤]، "وأصلحه ضد أفسده، وقد أصلح الشيء بعد فساده:أقامه"[٥]، "ومصلح: اسم فاعل من أصلح"[٦]، "يقال رجل صالح في نفسه ومصلح في أعماله"[٧].

"والإصلاح نقيض الإفساد وهو يدل على إزالة الفساد، والاستصلاح ضد الاستفساد"[٨]، "وإِصْلَاحُ اللهِ ﷻ الإنسانَ يكون تارة بخلقه إيّاه صَالِحاً، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصَّلَاحِ"[٩] .

---

[١] انظر: معجم مقاييس اللغة – ابن فارس–٣٠٣/٣، لسان العرب–ابن منظور–٥١٦/٢، جمهرة اللغة – ابن دريد –٥٤٢/١، المحكم والمحيط الأعظم – ابن سيده–١٥٢/٣.

[٢] انظر: المفردات في غريب القرآن– الأصفهاني– ص٤٨٩، بصائر ذوي التمييز– الفيروز آبادي –٤٣١/٣.

[٣] انظر: المغرب في ترتيب المعرب– المطروزي– ص ٢٧٠، المفردات– الراغب الأصفهاني– ص٤٨٩.

[٤] انظر: المصباح المنير – الفيومي–٣٤٥/١.

[٥] تاج العروس– مرتضى الزبيدي– ٥٤٨/٦.

[٦] الجامع لأحكام القرآن– القرطبي–٢٠٣/١.

[٧] كتاب العين– الفراهيدي–١١٧/٣.

[٨] لسان العرب– ابن منظور–٥١٧/٢.

[٩] المفردات في غريب القرآن– الراغب الأصفهاني– ص٤٩٠.

٢- تعريف الإصلاح في الاصطلاح:

لقد عرف العلماء الصلاح والإصلاح بعدة تعريفات منها:

* **الصلاح:** "هو سلوك طريق الهدى" [١].

وقيل هو: "الحصول على الحالة المستقيمة النافعة" [٢].

وقيل هو: "الإتيان بما ينبغي، والاحتراز عما لا ينبغي" [٣].

وقيل هو: "استقامة الحال على ما يدعوا إليه العقل والشرع"[٤].

وبالنظر إلى التعريفات السابقة، نجد أنها متقاربة، ويمكن الجمع بينها بتعريف شامل وهو: "استقامة الحال وسلوك طريق الهدى".

* **والصالح:** "المستقيم الحال في نفسه أو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد"[٥] .

* **والصلح:** "عقد يرفع النزاع "[٦] .

أما الإصلاح فهو : "إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من الفساد"[٧]، وقيل هو: "كل تغيير إلى الأحسن سواء كان للفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الدولة أو الأمة"[٨] . ويقول الإمام ابن تيمية : "إنّ صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ﷻ ورسوله، ولا يتم ذلك إلاّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس"[٩].

ويرى الباحث أن الإصلاح يعني:" تقويم وتصحيح الفساد الذي اعترى الفرد أو الجماعة للوصول إلى الحالة المستقيمة السوية؛ وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

---

[١] الكليات – أبو البقاء الحنفي-٥٦١/١.

[٢] الكشاف – الزمخشري-٦٢/١.

[٣] روح المعاني- الألوسي-٢٠٣/٤.

[٤] نظم الدرر- إبراهيم البقاعي-٣٣١/١٠.

[٥] الكليات- أبو البقاء الحنفي-٥٦١/١.

[٦] تفسير ابن باديس- عبد الحميد بن باديس -٧٣/١.

[٧] القاموس الفقهي- سعدي أبو حبيب-٢١٥/١.

[٨] مقال: ضوابط التغيير والإصلاح في الفقه الاسلامي١ – صلاح الدين سلطان- موقع الدكتور صلاح سلطان في الشبكة العنكبوتية،www.salahsoltan.com.

[٩] السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية -٥٨/١.

ثالثاً: المقصود بالتغيير لغة واصطلاحاً

١- تعريف التغيير في اللغة:

التغيير لغةً "مأخوذ من الفعل (غَيَرَ)، الغين والياء والراء أصلان صحيحان، يدل إحداهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين"[١].

"غَيْر: من حروف المعاني، تكون نعتاً وتكون بمعنى لا، وتأتي بمعنى سوى، وتجمع أغيار، وهي كلمة يوصف بها ويستثنى"[٢].

الغِيَر: من تغيَّر الحال، يقال تغيّر الشيء عن حاله: تحوّل، وغيّره: حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان، وغيّر الدهر: أحواله المتغيّرة، وتغايرت الأشياء: اختلفت، والغِيَرُ: الدية، وأصلها من المغايرة، وهي المبادلة وسميت الدية غيَراً؛ لأنها غُيّرت عن القَوَد إلى غيره، ولأن الدية صلاح للقاتل وبقاء له ولدمه. والغيْرُ :الاسم من التغيُّر، وقيل هو ليس بمصدر إذ ليس له فعل ثلاثي غير مزيد، والمغيِّر: الذي يُغيِّر على بعيره أداته ليخفف عنه ويريحه، يقال: غيَّر فلان عن بعيره إذا حط عنه رحله وأصلح من شأنه، والغيْرة: غيرةُ الرجل على أهله، يقال: غار الرجل يغار غيراً وغيرةً، ورجل غيور وغيران.[٣]

"والتَّغْيِيرُ يقال على وجهين: أحدهما: لتغيير صورة الشيء دون ذاته، يقال:غَيَّرْتُ داري، إذا بنيتها بناء غير الذي كان. والثاني: لتبديله بغيره، نحو: غَيَّرْتُ غلامي ودابّتي: إذا أبدلتهما بغيرهما، نحو: ﴿... إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...﴾ [الرعد:١١] "[٤] .

---

[١] معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس– ٤٠٣/٤.

[٢] لسان العرب – ابن منظور– ٣٩/٥.

[٣] انظر: معجم مقاييس اللغة – ابن فارس–٤٠٣/٤، لسان العرب – ابن منظور – ٣٩/٥، مختار الصحاح – زين الدين الحنفي –٢٣٢/١، المحكم والمحيط الأعظم – ابن سيده –١٢/٦، تاج العروس– مرتضى الزبيدي – ٢٨١/١٣.

[٤] المفردات في غريب القرآن– الراغب الأصفهاني– ص٦١٩.

٢- تعريف التغيير في الاصطلاح:

"التغيّر: هو انتقال الشيء من حالة إلى أخرى، والتغيير: هو إحداث شيء لم يكن قبله"[١].

وقيل التغيير: "هو تبديل شيء بما يضاده؛ فقد يكون تبديل صورة جسم، ويكون تغيير حال وصفة، ومنه تغيير الشيب وكأنه مشتق من الغير؛ وهو المخالف"[٢].

ويختلف مصطلح التغيير باختلاف مجالاته، فالتغيير بمفهومه الاجتماعي يختلف عن مفهومه الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي، فالتغيير بمفهومه الاجتماعي يعنى: التحول أو التبدل الذي يطرأ على تبدل البناء الاجتماعي، متضمناً تبدل النظام الاجتماعي والأدوار والقيم وقواعد الضبط الاجتماعي إيجاباً أو سلباً. أما التغيير بمفهومه الثقافي: هو كل ما يطرأ من تبدل في جانبي الثقافة سواء أكان مادياً أو معنوياً. [٣]

والتغيير الإسلامي عبارة عن: " نقض أسس المجتمع الجاهلي التشريعية والفكرية وإحلال أفكار الإسلام ومبادئه وتشريعاته مكانها، وتحقيق تعبيد الناس لله في كافة شؤونهم الخاصة والعامة، وأن يكون ولاء المجتمع شعباً وحاكماً لله رب العالمين، وهو تغيير جذري كلي للكيانات الجاهلية وليس ترقيعا لها أو إصلاحا لجانب من جوانبها "[٤].

ويلاحظ على هذا التعريف طوله وكأنه شرح له، لذا يرى الباحث بأن التغيير: "هو إحداثُ نقلةٍ كليةٍ شاملةٍ من معتقدات الجاهلية وتشريعاتها إلى معتقدات الإسلام وتشريعاته، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع" .

---

[١] التعريفات – محمد الجرجاني- ٦٣/١.

[٢] التحرير والتنوير- الطاهر ابن عاشور-٤٥/١٠.

[٣] انظر: التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق- محمد عبد المولى الدقس – ص٣٨-٦١ .

[٤] الشباب والتغيير – فتحي يكن – ص ١٨.

الفصل الأول

بين يدي سورتي مريم وطه

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: بين يدي سورة مريم

المبحث الثاني: بين يدي سورة طه

المبحث الأول

بين يدي سورة مريم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها

المطلب الثاني: محـــور الســـورة وقضـايـاهـا

المطلب الثالث: المـنــاسبـــــات فـي الســـورة

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها

أولاً: اسم السورة:

قال الطاهر بن عاشور: "اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم"[١]، وسميت هذه السورة الكريمة بسورة مريم؛ لاشتمالها على قصتها، فقد بسطت فيها قصة مريم وولادتها عيسى عليه السلام من غير أب، وما رافق ولادته من أحداث عجيبة، من أهمها كلامه وهو طفل في المهد.[٢]

وتسمية السورة بسورة مريم "تكريم لها وتخليد لذكرها، وتسجيل لمآثرها ومناقبها، وتقدير لصدقها وعفتها، فضلاً عما تحويه قصتها من نموذج عملي فريد، ومثال تطبيقي رشيد للمرأة العفيفة الطاهرة العابدة الزاهدة"[٣].

وقد سمّاها ابن عباس رضي الله عنه بسورة ﴿**كهيعص**﴾ نسبة إلى أن فاتحتها تبدأ بهذه الحروف المقطعة.[٤]

ثانياً:عدد آيات السورة:

عدد آياتها في عدد أهل المدينة ومكة هو تسعٌ وتسعون، وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمانٍ وتسعون آية[٥]، واختلافهم في ثلاث آيات:[٦]

- ﴿**كهيعص**﴾ [مريم:١] عدها الكوفي وَلم يعدها الباقون.
- ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ...**﴾ [مريم:٤١] عدّها المكي والمدني الثاني وَلم يعدها الباقون.
- ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ...**﴾ [مريم:٧٥] لم يعدها الكوفي وعدها الباقون.

أما عدد كلماتها فهي ألف ومائة واثنتان وتسعون، وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان.[٧]

---

[١] التحرير والتنوير- ابن عاشور-١٦/٥٧.

[٢] انظر: التفسير المنير- الزحيلي-١٦/٤٦، التحرير والتنوير - ابن عاشور-١٦/٥٨.

[٣] التفسير الموضوعي لسور القرآن- نخبة من علماء التفسير-٤/٤٠٣.

[٤] انظر: تفسير البغوي-البغوي-٢/٧٦، روح المعاني- الألوسي-٨/٣٧٧، فتح القدير- الشوكاني-٣/٣٧٨.

[٥] انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور-١٦/٥٨، روح المعاني- الألوسي-٨/٣٧٧ ، وقد ورد فيه أن للمدنيين قولان.

[٦] انظر: البيان في عدّ آي القرآن - أبوعمرو الداني-١/١٨١، جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي-١/٢٩٥.

[٧] انظر: بصائر ذوي التمييز - الفيروز أبادي-١/٣٠٥.

ثالثاً: نزولها وترتيبها:

سورة مريم سورة مكية عند الجمهور، وقد استثنى البعض منها آيتين:

أ. عن مقاتل[١] أن آية السجدة مدنية[٢]، وقد ذهب الطاهر بن عاشور إلى أن هذا القول لا يستقيم؛ وذلك لاتصال آية السجدة بالآيات التي قبلها.[٣]

ب. وذكر السيوطي في الإتقان قولاً بأن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١] مدني، ولم يعزه لقائل.[٤]

والذي يراه الباحث ما ذهب إليه الجمهور، وقد قال القرطبي:" وهي مكية بإجماع"[٥] .

وتعد سورة مريم السورة الرابعة والأربعين في ترتيب النزول، فقد نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه، أما ترتيبها في المصحف فهي السورة التاسعة عشر.[٦]

المطلب الثاني: محور السورة وقضاياها

أولاً: قضايا السورة:

هذه السورة شأنها شأن غيرها من السور المكية؛ تعالج أمور العقيدة، فهي تبحث إثبات التوحيد، وتنزيه الله عما لا يليق به، وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء، والقصص هي مادة هذه السورة، فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى عليهما السلام، فقصة مريم ومولد عيسى عليه السلام، فطرف من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، ثم يعقبها إشارات إلى النبيين: إسحاق ويعقوب، وموسى وهارون، وإسماعيل وإدريس وآدم ونوح. وتستغرق هذه القصص حوالي ثلثي السورة، وتستهدف إثبات الوحدانية والبعث، ونفي الولد والشريك، وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين، وبعض مشاهد القيامة، وبعض الجدل مع المنكرين للبعث وعرض لمصارع المشركين والمكذبين في الدنيا والآخرة.[٧]

---

[١] هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، مولاهم الخرساني المفسر، روى عن مجاهد والضحاك وغيرهما، وروى عنه سعيد بن الصلت وغيره، مدحه أهل التفسير وضعفه أهل الحديث، توفي سنة نيف وخمسين ومائة. انظر(شذرات الذهب– ابن العماد العكري–٢٢٨/٢، سير أعلام النبلاء– الذهبي–٢٠١/٧).

[٢] وهي قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا.....﴾ [مريم:٥٨] .

[٣] انظر: التحرير والتنوير– ابن عاشور–٥٧/١٦.

[٤] انظر: الإتقان في علوم القرآن– السيوطي–٦١/١.

[٥] الجامع لأحكام القرآن– القرطبي–٧٢/١١.

[٦] انظر: التحرير والتنوير– ابن عاشور–٥٨/١٦.

[٧] انظر: في ظلال القرآن– سيد قطب–٢٢٩٩/٤.

وقد ذكر سيد قطب أن سياق سورة مريم يسير مع السورة في أقسام ثلاثة:

القسم الأول: ويتضمن إثبات الوحدانية من خلال قصة زكريا ويحيى عليهما السلام وقصة مريم وعيسى عليه السلام، والفصل في قضية عيسى التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.

القسم الثاني: ويتضمن ذكر حلقة من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، واعتزاله لملة الشرك، وما عوضه الله من ذرية نسلت بعد ذلك أمة، ثم أشارت إلى قصص النبيين، ومن اهتدى بهم، ومن خالفهم من الغواة، ومصير هؤلاء وهؤلاء.

القسم الثالث: ويتضمن جدلاً حول قضية البعث، واستعراضاً لبعض مشاهد القيامة، وعرضاً لصور من استنكار الكون كله لدعوى الشرك، وينتهي بمشهد مؤثر عميق من مصارع القرون التي أشركت بربها.[1]

ثانياً: محور السورة:

معلوم أن كل سورة من القرآن تعتبر وحدة موضوعية موحدة، ولها شخصية فريدة خاصة، تعالج موضوعاً رئيسياً أساسياً، تندرج تحته عدة موضوعات جزئية فرعية[2]، ومحور سورة مريم هو **(رحمة الله بأهل العبودية)**، حيث أن آيات سورة مريم تدور حول صفتين بينهما تناسب وتلازم[3]:

الصفة الأولى: صفة الرحمة، وهي من صفات الكمال الرباني، فهذه السورة الكريمة تبدأ بذكر رحمة الله سبحانه وتعالى بعبده زكريا، ولقد تكرر اسم الله "الرحمن" وكلمة الرحمة كثيراً فيها، حيث قال سيد قطب: "والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة والرضى والاتصال، فهي تبدأ بذكر رحمة الله بعبده زكريا عليه السلام ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم:٢] ، وهو يناجي ربه نجاء ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾[مريم:٣]، ويتكرر لفظ الرحمة ومعناها وظلها في ثنايا السورة كثيراً"[4]، ويقول الطاهر بن عاشور: "وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله سبحانه وتعالى بصفة الرحمة"[5]، ويقول البقاعي أيضاً عن

---

[1] انظر: في ظلال القرآن – ٢٣٠١/٤.

[2] انظر: التفسير الموضوعي– صلاح الخالدي– ص ٥٦.

[3] انظر:التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٤٠٧/٤.

[4] في ظلال القرآن– ٢٣٠٠/٤.

[5] التحرير والتنوير –٥٩/١٦.

هدف هذه السورة: "مقصودها بيان اتصافه ﷻ بشمول الرحمة بإفاضة النعم على جميع خلقه، بما يدل على اتصافه ﷻ بجميع صفات الكمال"[١].

الصفة الثانية: وهي من صفات الكمال الإنساني، ومن أجل المقامات والمقاصد التي من أجلها خلق الإنسان، إنها العبودية لله ﷻ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" سورة مريم مضمونها: تحقيق عبادة الله وحده وأن خواص الخلق هم عباده، فكل كرامة ودرجة رفيعة في هذه الإضافة"[٢].

وإذا كانت رحمته ﷻ هي من كمال صفات الربوبية، فإن غاية الإنسانية وكمالها في عبوديتها الخالصة لله ﷻ، لذا اشتملت هذه السورة على تحقيق العبودية، وتعظيم شأن التوحيد، وفي ذلك شرف العبد، وتحقيق الغاية من وجوده، والهدف الأساسي لهذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده.[٣]

ويتجلى المحور في السورة الكريمة من خلال:

– رحمة الله ﷻ بعبده زكريا عليه السلام؛ حيث استجاب دعاءه، ورزقه الولد مع كبر سنه وعقم زوجه، وما اتسم به زكريا عليه السلام من عبودية لله ﷻ؛ حيث الإخلاص في العبادة، والاجتهاد في الطاعة والتذلل والخشوع في الدعاء.[٤]

– رحمة الله ﷻ لمريم وابنها عيسى عليه السلام، وعبوديتهما لله ﷻ، فنرى استعاذتها بالله الرحمن من الملك الذي قطع خلوتها، ﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**﴾ [مريم:١٨] ، وكذلك أول ما نطق عيسى عليه السلام في المهد نطق بعبوديته لله ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آَتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ [مريم:٣٠] .

– رحمة الله ﷻ بأنبيائه، وكمال عبوديتهم لله، ودعوتهم إلى إفراد الله ﷻ بالعبادة، والتوحيد الخالص.

– سعة رحمة الله ﷻ بأن جعل باب التوبة مفتوحاً، ومَنّهِ على عباده المؤمنين بدخول الجنة، ولنيل هذه الرحمات أمرنا الله بأن نجتهد في العبادة، ونصطبر عليها.[٥]

---

[١] نظم الدرر– ١٥٦/١٢.

[٢] التفسير الكامل– ٢١١/٤.

[٣] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٤٠٧/٤.

[٤] انظر: المرجع السابق–٤٢٢/٤.

[٥] انظر: المرجع السابق–٤٦٤/٤.

المطلب الثالث: المناسبات في السورة

أولاً: المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

محور السورة هو رحمة الله بأهل العبودية، وجاءت قصة مريم وقد ظللتها الرحمة، وهذه الصديقة العابدة مريم التي سميت السورة باسمها قد نذرتها أمها محررة أي خالصة للعبادة، وسمتها مريم، قيل تعني العابدة[1].

"ولما كانت قصتها أقوى دلالة وأجلى بياناً على رحمة الله ﷻ بعباده الذين تسنموا أعلى مقامات العبودية، سميت السورة باسمها؛ فحيثما ذكرت مريم يرتبط اسمها برحمة الله ﷻ، وكمال عبوديتها لله ﷻ "[2].

ثانياً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

تظهر المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها من خلال ما يلي:

– لقد بدأت سورة مريم بالأحرف المقطعة ﴿كهيعص﴾ [مريم:١]والتي تدل على أن القرآن كتاب عربي مبين، وفي ختام السورة بين الله ﷻ الحكمة من نزوله بهذا اللسان العربي المبين ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم:٩٧] .[3]

– ولما افتتحت السورة بالثناء العطر على نبي الله زكريا عليه السلام والتذكير برحمة الله ﷻ وعنايته به، في المقابل وعلى الجانب الآخر تختم السورة بذكر من طُوي ذكرهم ومُحيت آثارهم بعد أن كانوا ملء الأسماع والأبصار، قال تعالى في ختام السورة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم:٩٨].[4]

– يقول البقاعي: "فقد خُتمت السورة بما بُدئت به من الرحمة لأوليائه، والود لأصفيائه، والنعمة للذين خلفوا بعدهم من أعدائه، بعد الرحمة للفريقين بهذا الكتاب بشارة ونذارة فحلت الرحمة على أوليائه، وزلت عن أعدائه"[5].

---

[1] انظر: روح البيان– أبو الفداء الاستانبولي–٥/٣٢١.

[2] التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٤/٤٠٣.

[3] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٤/٤٠٨.

[4] انظر: المرجع السابق–٤/٤٠٩.

[5] نظم الدرر–١٢/٢٥٤.

ثالثاً: المناسبة بين سورة مريم وما قبلها:

الصلة بين سورة مريم وسورة الكهف واضحة جلية تظهر من خلال:

– إن القصص في سورة مريم امتداد للقصص في سورة الكهف؛ فقد اشتملت سورة الكهف على قصص عجيبة: قصة أصحاب الكهف وطول لبثهم، وقصة موسى عليه السلام مع الخضر وما فيها من الخارقات، وقصة ذي القرنين، كذلك جاءت سورة مريم بقصص عجبا من ولادة يحيى من زكريا عليه السلام على كبر وشيخوخة وعقم زوجته، وولادة عيسى من أم دون أب، فناسب تتاليهما.[1]

– اختتمت سورة الكهف بتأكيد بشرية الرسول ﷺ ونبوته، وجاءت سورة مريم مؤكدة ومقررة لبشرية عيسى عليه السلام ونبوته، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ...﴾ [الكهف:١١٠] ، وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:٣٠].[2]

– "ختمت سورة مريم بما بدأت به سورة الكهف من بيان مقاصد القرآن، قال تعالى في مطلع سورة الكهف ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا۞ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾[الكهف:١-٢]، وقال تعالى في ختام سورة مريم ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم:٩٧] "[3].

– لقد أنذر الله سبحانه وتعالى في مقدمة سورة الكهف من ادعى لله ولدا فقال: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ [الكهف:٤] ، وجاءت سورة مريم تقرر ما جاء في سورة الكهف، من خلال قصة حمل مريم وولادتها عيسى عليه السلام والآيات التي نفت عن الله الولد، وأنذرت من زعم ذلك.[4]

– كما نجد المناسبة أيضاً بين قوله سبحانه وتعالى في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩] وبين قصة ولادة عيسى عليه السلام في سورة مريم؛ فعيسى عليه السلام ليس إلا كلمة من كلمات الله التي لا تنفد كما يقول سبحانه: ﴿... إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ...﴾ [النساء:١٧١]. [5]

---

[1] انظر: البحر المحيط في التفسير– أبو حيان الأندلسي–٢٣٧/٧، البرهان في تناسب سور القرآن– الغرناطي–ص ٢١٥، التفسير المنير– الزحيلي–٤٦/١٦، نظم الدرر– البقاعي١٦٦/١٢.

[2] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٤٠٩/٤.

[3] المرجع السابق–٤١٠/٤.

[4] انظر : المرجع السابق–٤١١/٤.

[5] انظر: التفسير القرآني للقرآن– عبد الكريم الخطيب–٧٢١/٨.

رابعاً: المناسبة بين سورة مريم وما بعدها:

ذكر السيوطي وجوهاً عدة لمناسبة سورة مريم لسورة طه التي بعدها:

١- إن سورة طه نزلت بعد سورة مريم، وهذا كاف في المناسبة بين السورتين.

٢- تآخي السورتين بالافتتاح بالحروف المقطعة.

٣- إنه لمّا ذكر في سورة مريم قصص عدد من الأنبياء، بعضها مبسوطة كقصة زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وبعضها بين البسط والإيجاز كقصة إبراهيم عليه السلام، وبعضها موجزة مجملة كقصة موسى عليه السلام، ثم أشار إلى بقية النبيين في الآية الأخيرة إجمالاً، ذكر في سورة طه شرح قصة موسى عليه السلام التي أجملها فاستوعبها غاية الاستيعاب، وبسطها أبلغ بسط، ثم فصل قصة آدم عليه السلام التي لم يذكر في سورة مريم إلا اسمه.[١]

وذكر الألوسي أن أول سورة طه متصل بآخر سورة مريم؛ حيث ذكر تعالى آخر مريم تيسير القرآن بلسان الرسول ﷺ ليكون تبشيراً للمتقين وإنذاراً للمعاندين، وذكر تعالى في أوائل سورة طه ما يؤكد هذا المعنى﴿ **مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾[طه:٢-٣] .[٢]

كما جاء في كتاب البرهان في تناسب السورتين أنه: " لمّا ذكر سبحانه وتعالى قصة إبراهيم وما منحه وأعطاه وقصص الأنبياء بعده بما خصهم به، وأعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آَدَمَ ...**﴾ [مريم:٥٨] وكان ظاهر هذا الكلام تخصيص هؤلاء بهذه المناصب العالية والدرجات المنيفة الجليلة لاسيما وقد أتبع ذلك بقوله ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم:٥٩] كان هذا مظنة إشفاق وخوف، فأتبعه سبحانه وتعالى بملاطفة نبيه محمد ﷺ ملاطفة المحبوب المقرب المجتبى ﴿**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ [طه:٢] " [٣] .

---

[١] انظر: أسرار ترتيب القرآن – ص١٠٨.

[٢] انظر: روح المعاني-٨/٤٦٣.

[٣] البرهان في تناسب سور القرآن- الغرناطي-١/٢٥٢.

المبحث الثاني

بين يدي سورة طه

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها

المطلب الثاني: محـــور الســـورة وقضـايـاهـا

المطلب الثالث: المـنـــاسبـــــات فـي الســـورة

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها

أولاً: اسم السورة:

تسمى سورة طه، وهو الاسم الذي أطلق عليها في المصحف، وهو الاسم التوقيفي[١]، وسميت بذلك لابتداء السورة بالنداء بها طه[٢]، وقد اختلف في معنى طه على أقوال: فقيل معناها: يا راجل ويا حبيبي، وقيل هي اسم سمّى الله به نبيه ﷺ وأنه على معنى النداء أو القسم به، وقيل هي اسم من أسماء الله ﷻ على معنى القسم، وقال آخرون هي حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى، وقد رجح الطبري بأن لحرفي "طه" معنى النداء للنبي ﷺ [٣].

أما الاسم الاجتهادي للسورة فقد ذكر السيوطي أن لها اسمين آخرين: سورة الكليم وسورة موسى، وعلّق بأن ذلك يحتاج مستنداً من الأثر[٤]، وعلاقة السورة بهذين الاسمين جلية لأن قصة موسى عليه السلام قد بسطت في هذه السورة، يقول سيد قطب: " وبين المطلع والختام تعرض قصة موسى عليه السلام، من حلقة الرسالة إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر، مفصلة مطولة، وبخاصة موقف المناجاة بين الله وكليمه موسى ..."[٥].

ثانياً:عدد آيات السورة:

اختلف في عدد آياتها، حيث ذهب أهل البصرة إلى أن عدد آياتها مائة وثلاثون وآيتان، وذهب أهل المدينة ومكة أن عددها مائة وأربع وثلاثون، وذهب أهل الكوفة إلى مائة وخمس وثلاثون، أما أهل الشام فذهبوا إلى أن عدد آياتها مائة وأربعون، واختلافهم في إحدى وعشرين آية[٦] . أما عدد كلماتها فهي ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون كلمة، وحروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفاً.[٧]

---

[١] ذكر تسميتها بهذا الاسم في السنة النبوية وسيأتي ذكره في نزول السورة وترتيبها من هذا المبحث، وانظر التفسير الموضوعي لسور القرآن- نخبة من علماء التفسير-٤/٤٨٥.

[٢] انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- ١٦/١٧٩، التفسير المنير- الزحيلي-١٦/١٧٤.

[٣] انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- ١٦/١٨٣، جامع البيان- الطبري-١٦/٧.

[٤] انظر: الإتقان في علوم القرآن-١/١٩٩.

[٥] في ظلال القرآن-٤/٢٣٢٦.

[٦] انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور-البقاعي-٢/٢٦٧، جمال القراء وكمال الإقراء- السخاوي-١/٢٩٦.

[٧] انظر: بصائر ذوي التمييز-الفيروز أبادي-١/٣١٠.

ثالثاً: نزولها وترتيبها:

سورة طه مكية على قول الجمهور[١]، وذكر السيوطي[٢] أن البعض استثنى منها قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ...﴾ [طه:١٣٠]، ورأى أن يستثنى منها آية أخرى مستدلاً بما أخرجه الطبراني عن أبي رافع[٣] قال: أضاف النبي ﷺ ضيفاً فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب فقال: لا، إلا برهن، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: أما والله إني لأمين في السماء، أمين في الأرض، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ...﴾ [طه:١٣١] [٤]، والصواب مكيتها بلا استثناء، حيث أن الآية الأولى تنطق بمكيتها، ورواية سبب نزول الآية الثانية ضعيفة من جهة الإسناد، والحادثة مدنية.[٥]

وتعدّ هذه السورة الخامسة والأربعون في ترتيب النزول، والسورة العشرون في ترتيب المصحف، ونزلت هذه السورة بعد سورة مريم وقبل سورة الواقعة، ونزلت قبل إسلام عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لمَا روى الدَّارَقطني عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "خرج عمر متقلداً بسيف، فقيل له: أنّ خَتْنَكَ وأختك قد صبوا[٦]، فأتاهما عمر، وعندهما الخباب بن الأرتّ يُقْرِئُهُمَا سورة طه، فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم فَأَقْرَأَه؟ فقالت له أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام عمر وتوضأ وأخذ الكتاب فقرأ طه، فلما قرأ صدراً منها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه"[٧]. وكان إسلامه في سنة خمس من البعثة قبيل الهجرة الأولى إلى الحبشة، فعلى هذا تكون السورة قد نزلت في سنة خمس، أو أواخر سنة أربع من البعثة.[٨]

---

[١] انظر: في فتح القدير – الشوكاني–٤١٩/٣، التحرير والتنوير – ابن عاشور–١٨٠/١٦.

[٢] الإتقان في علوم القرآن– ٦١/١، ونقله الألوسي في روح المعاني–٤٦٣/٨.

[٣] أبو رافع مولى النبي ﷺ، اختلف فِي اسمه، فقيل: أسلم، وقيل: إبراهيم، كان عبدا للعباس فوهبه للنبي ﷺ، فلما بشره بإسلام العباس أعتقه، وكان إسلامه قبل بدر ولم يشهدها، شهد أحدا والخندق وما بعدهما من المشاهد، مات بالمدينة بعد قتل عثمان وقيل مات في خلافة علي. (انظر: أسد الغابة–ابن الأثير–١٠٢/٦، تهذيب التهذيب–ابن حجر–٩٣/١٢، تهذيب الكمال–ابن الزكي–٣٠١/٣٣).

[٤] المعجم الكبير–الطبراني–٣٣١/١– برقم ٩٨٩، وقال الهيثمي: وفِيه موسى بن عبيدة الرَّبذيّ وهو ضعيف (انظر مجمع الزوائد–١٢٦/٤).

[٥] انظر: إتقان البرهان–فضل عباس–٣٢٧/١، ٣٨٧/١.

[٦] صبوا: من صبأ صبوا أي خرج من دين إلى دين،(انظر:المحكم والمحيط الأعظم– ابن سيده–٣٥٤/٨، لسان العرب–ابن منظور–٤٥١/١٤، كتاب الأفعال–ابن القطاع الصقلي–٢٥٠/٢).

[٧] سنن الدار قطني–٢٢١/١– برقم٤٤١، قال ابن حجر في الدراية: أخرجه الدارقطني وصححه ٨٧/١.

[٨] انظر: التحرير والتنوير– ابن عاشور–١٨٠/١٦.

المطلب الثاني: محور السورة وقضاياها

أولاً: قضايا السورة:

سورة طه تبحث نفس الأهداف التي تبحثها السور المكية، وهي إثبات أصول الدين من التوحيد والنبوة والبعث[١]، وتبدأ السورة ببيان وظيفة النبي ﷺ وحدود تكاليفه وحصرها بالدعوة والتذكير والإنذار، ثم تعرض السورة قصة موسى عليه السلام من حلقة الرسالة إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر مفصلة مطولة، وخاصة موقف المناجاة بين الله وكليمه موسى عليه السلام، وموقف الجدل بين موسى عليه السلام وفرعون، وموقف المباراة بين موسى والسحرة، وتتجلى في غضون السورة رعاية الله لموسى الذي صنعه على عينه، ثم تعرض السورة قصة آدم عليه السلام سريعة قصيرة، تبرز فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته له، ويحيط بقصة آدم مشاهد يوم القيامة كأنما هي نهاية الرحلة التي بدأت في الملأ الأعلى.

ويذكر سيد قطب أن سياق السورة يمضي على قسمين:

القسم الأول: يتضمن مطلع السورة بالخطاب إلى الرسول ﷺ ﴿**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ [طه:٢]، تتبعه قصة موسى نموذجاً كاملاً لرعاية الله سبحانه لمن يختارهم لإبلاغ دعوته.

القسم الأول: يتضمن مشاهد القيامة وقصة آدم، وهما يسيران في اتجاه مطلع السورة وقصة موسى، ثم ختام السورة بما يشبه مطلعها ويتناسق معه ومع جو السورة.[٢]

ثانياً: محور السورة:

إن محور هذه السورة وهدفها الذي يجمع بين موضوعاتها هو **(رعاية الله ﷻ لرسله وأتباعهم من الدعاة والمدعوين)**، حيث يقول البقاعي:" ومقصودها إعلام الداعي ﷺ بإمهال المدعوين، والترفق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم، زيادة في شرفه ﷺ "[٣].

وإن المتتبع لهذه السورة يجد في ثناياها عبارات وإشارات تبين مدى عناية الله ﷻ بالرسل وأتباعهم، وبالمدعوين من غير المؤمنين، فلا يكاد يخلو مقطع من مقاطعها من إشارة إلى هذه العناية وتلك الرعاية[٤]، **ويتضح هذا المحور من خلال مقاطع السورة:**

---

[١] انظر: التفسير المنير– الزحيلي–١٦/١٧٤.

[٢] انظر: في ظلال القرآن– ٤/٢٣٢٦.

[٣] مصاعد النظر–٢/٢٧١.

[٤] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير– ٤/٤٩٣.

أولاً: مطلع السورة:

افتتحت السورة بملاطفة النبي ﷺ بأن الله لم يرد من إرساله، وإنزال القرآن عليه أن يشقى فقال: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه:٢][١]، ثم يبين الله ﷻ بأن هذا القرآن إنما أنزله تذكرة للمدعوين، فكان هذا الإنزال للقرآن والإرسال للرسول ﷺ من عنايته ﷻ ولطفه بالمدعوين، حيث لم يتركهم في ظلمات الجهالة والضلال[٢].

ثانياً: قصة موسى عليه السلام :

يتجلى محور السورة في قصة موسى عليه السلام بوضوح، حيث قال سيد قطب:"أما هنا في طه، فقد سبقها مطلع السورة الذي يكشف عن رحمة الله ورعايته لمن يصطفيهم لحمل رسالته، وتبليغ دعوته، فجاءت القصة مظللة بهذا الظل تبدأ بمشهد المناجاة، وتضمن نماذج من رعاية الله لموسى عليه السلام، وتثبيته وتأييده، وتشير إلى سبق هذه الرعاية للرسالة"[٣]، ويبرز ذلك من خلال:

– التلطف معه بإيناسه، حين أخبره وهو بالواد المقدس بأن الذي يخاطبه هو ربه، قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:١٢] .[٤]

– تأييده بمعجزتي العصا واليد، وتعليمه كيفية استخدامها عند الحاجة وخاصة في وجه فرعون، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى۞قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى۞ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى۞ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى۞ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى۞ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الكُبْرَى۞ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه:١٧-٢٤].

– مَنِّه عليه بصور الرعاية منذ طفولته، وذلك بإلهام أمه صنع الصندوق وإلقائه في اليم، وجعل اليم مأموراً بإلقاء موسى عليه السلام على ساحل فرعون﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى۞أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:٣٨-٣٩] ، وإلقاء المحبة عليه من الله ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ ، وحفظه

---

[١] انظر: التحرير والتنوير– ابن عاشور– ١٨٤/١٦.

[٢] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن–نخبة من علماء التفسير– ٥٢١/٤.

[٣] في ظلال القرآن–٢٣٢٩/٤.

[٤] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن–نخبة من علماء التفسير– ٥٤٤/٤.

بالكلاءة ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ، ورده إلى أمه وإنجائه من القتل ﴿... فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ...﴾ [طه:٤٠] .

– إن الله ﷻ آتى موسى عليه السلام ما طلبه من شرح الصدر وتيسير الأمر...، فقال له: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:٣٦] .[١]

– تهيئة الله لموسى وهارون عليهما السلام بتعريفهما بطغيان فرعون وتجبره ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه:٤٣]، ورعايته لهما بمنحهما الثقة والطمأنينة بقوله: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه:٤٦] .[٢]

– ومن عناية الله بالمدعين والرفق بهم في هذه القصة بأن أمر موسى وهارون أن يخاطبا فرعون بأسلوب الاستعطاف بالربوبية، حيث قالا له: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ...﴾[طه:٤٧][٣].

– طمأنة الله لموسى عليه السلام حين قال له: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه:٧٧] ، " وإن هذا الإيحاء لموسى أن يخرج بعباد الله –بني إسرائيل– ليلاً ... مطمئناً إلى أن عناية الله ترعاهم فلا يخاف أن يدركه فرعون وجنوده، ولا يخشى من البحر الذي اتخذ له طريقاً يابساً فيه"[٤].

– " وتنزيل المن: وهو مادة حلوة تتجمع على أوراق الشجر، والسلوى وهو طائر السماني يساق إليهم في الصحراء، قريب المتناول سهل التناول، كان نعمة من الله ومظهراً لعنايته بهم في الصحراء الجرداء"[٥] قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [طه:٨٠] .

– ومن لطف الله بقوم موسى بعد إضلال السامري لهم بالعجل، بأنه لم يتركهم في ضلالهم، فألهم هارون أن يعظهم، ثم يصحح لهم موسى عقيدتهم، يقول سيد قطب: " وعلى مشهد الإله المزيف يحرق وينسف، يعلن موسى عليه السلام حقيقة العقيدة﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ

---

[١] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن–نخبة من علماء التفسير– ٤/٥٤٥.

[٢] انظر: المرجع السابق – ٤/٥٤٦.

[٣] انظر: المرجع السابق–٤/٥٥١.

[٤] في ظلال القرآن–سيد قطب–٤/٢٣٤٤.

[٥] المرجع السابق–٤/٢٣٤٥.

﴿شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨] وينتهي بهذا الإعلان هذا القدر من قصة موسى عليه السلام في هذه السورة، تتجلى فيه رحمة الله ورعايته بحملة دعوته وعباده، حتى عندما يبتلون فيخطئون"[١].

– إن في ذكر قصص الأمم الغابرة، وأحوال المعرضين، ومشاهد القيامة لرحمة بأولئك الكفرة العتاة، ليكون لهم عبرة وعظة وزجراً وإنذاراً ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه:٩٩] [٢].

ثالثاً: قصة آدم عليه السلام :

وتبرز عناية الله ورعايته في قصة آدم من وجوه[٣]:

– تذكير الله لآدم بنعمة التفضيل بإسجاد الملائكة له ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه:١١٦] .

– حدد له عدوه، وحذره منه ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه:١١٧] ، "وكانت هذه رعاية من الله وعنايته أن ينبهه إلى عدوه، ويحذره غدره عقب نشوزه وعصيانه، والامتناع عن السجود لآدم كما أمره ربه"[٤].

– تذكيره بنعمه عليه في إسكانه الجنة ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه:١١٨-١١٩].

– قبوله توبته بعدما عصاه فكانت رحمة الله عليه، فيذكر في قصة آدم أن ربه اجتباه فتاب عليه وهداه ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه:١٢٢] .

رابعاً: الخاتمة :[الآيات من١٢٨-١٣٥]

نجد في الخاتمة العناية بالرسول ﷺ في توجيه الله ﷻ له إلى ما يعينه في دعوته إلى الله ، فأمره بالصبر على ما يقوله الكفار، وأمره بالتسبيح وبالاصطبار بالصلاة .[٤]

---

[١] في ظلال القرآن–سيد قطب –٢٣٤٩/٤.

[٢] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٥٩٦/٤.

[٣] انظر: المرجع السابق–٦١٦/٤.

[٤] في ظلال القرآن–سيد قطب–٢٣٥٤/٤.

[٥] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٦٢٣/٤.

المطلب الثالث: المناسبات في السورة

أولاً: المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

إن العلاقة بين اسم السورة التوقيفي "طه" ومحورها الذي هو العناية بالدعاة والمدعوين واضحة؛ حيث إن "طه" أول كلمة ابتدئت بها السورة، والتي هي خطاب للنبي ﷺ لتكون تمهيداً لما سيعقبها من عناية بالنبي ﷺ في ثنايا السورة، أو فيما يحكيه له ربه من قصص الأنبياء التي تضمنت العناية بالرسل والمدعوين.[١]

ثانياً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

إن المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها واضحة وجلية؛ حيث يقول سيد قطب: في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [طه:١٣٥] "بذلك تختم السورة التي بدأت بنفي الشقاء عن النبي ﷺ من تنزيل القرآن، وحددت وظيفة القرآن ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [طه:٣] والختام يتناسق مع المطلع كل التناسق، فهو التذكرة الأخيرة لمن تنفعه التذكرة، وليس بعد البلاغ إلا انتظار العاقبة، والعاقبة بيد الله"[٢].

فخاتمة السورة تضمنت أمراً من الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يقول للمشركين قولاً خاتماً بعد إنذارهم وإقامة الحجة عليهم، "ولقد علموا يقيناً ذلك يوم فتح مكة المشرفة، واشتد اغتباطهم بالإسلام، ودخلوا رغبة في الحلم والكرم، ورهبة من السيف والنقم، وكانوا بعد ذلك يعجبون من توقفهم عنه، ونفرتهم منه، وهذا معناه أنه ﷺ ومن اتبعه هم السعداء الأغنياء الراضون في الدنيا والآخرة، وهو عين قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه:٢] فقد انطبق الآخر على الأول، ودل على أن العظيم يعامل بالحلم فلا يعجل، والله أعلم"[٣].

ويقول ابن عاشور:" ومن محاسنها: أن فيها شبيه رد العجز على الصدر، لأنها تنظر إلى فاتحة السورة، وهي ﴿طه ۞ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[طه:١-٢] لأن الخاتمة تدل على أنه قد بلَّغ كل ما بعث به من الإرشاد والاستدلال، فإذا لم يهتدوا به فكفاه انثلاج صدر أنه أدى الرسالة والتذكرة، فلم يكونوا من أهل الخشية، فتركهم وضلالهم حتى يتبين لهم أنه الحق"[٤].

---

[١] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن- نخبة من علماء التفسير-٤/٤٩٥.

[٢] في ظلال القرآن-٤/٢٣٥٨.

[٣] نظم الدرر- البقاعي- ١٢/٣٧٧.

[٤] التحرير والتنوير-١٦/٣٩٤.

ثالثاً: المناسبة بين سورة طه وما قبلها:

وقد ذكر ذلك في المبحث السابق عند ذكر مناسبة سورة مريم لما بعدها[١].

رابعاً: المناسبة بين سورة طه وما بعدها:

– إن سورتي طه والأنبياء مكيتان، فكلاهما يعالج موضوع العقيدة وإثبات أصول الدين المتمثل بالتوحيد والنبوة والبعث، وإقامة الدلائل القاطعة على ذلك، وهذا ما نجده في السورتين، بالإضافة لقصص الأنبياء ووحدة هدفهم، وما جرى لهم مع أقوامهم، وما فيه من عبر وعظات، وتأنيس للنبي ﷺ ليتقرر لديه أنه سنة الله في عباده، فيهون عليه مكابدة قريش[٢]، فوجه المناسبة بين السورتين ظاهر، وقد اكتفى الألوسي بقوله عن مناسبة سورة الأنبياء لما قبلها: " ووجه اتصالها بما قبلها غنيٌ عن البيان"[٣].

– إنه لما ختمت سورة طه ببيان أن العلم بالشقي والسعيد حاصل لا محالة ﴿**قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى**﴾ [طه:١٣٥] ، افتتحت سورة الأنبياء بما يؤكد ذلك ويقرره، وهو يوم الحساب في الآخرة، مخبراً أنه قريب الوقوع، فقال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء:١] [٤].

– إنه لمّا حذر الله ﷻ من الإغترار بالدنيا في نهاية سورة طه:﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه:١٣١] ، افتتح سورة الأنبياء بما يقتضي الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا لدنوها من الزوال، والعمل للآخرة، فقال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء:١].[٥]

---

[١] ارجع ص١٦ من هذه الرسالة.

[٢] انظر: نظم الدرر– البقاعي–٣٨١/١٢، التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٤/٥.

[٣] روح المعاني– ٣/٩.

[٤] انظر: نظم الدرر– البقاعي–٣٧٩/١٢، التفسير المنير– الزحيلي–٥/١٧، أسرار ترتيب القرآن– السيوطي– ص ١١٠.

[٥] انظر: التفسير المنير– الزحيلي–٦/١٧، أسرار ترتيب القرآن– السيوطي– ص ١١٠.

الفصل الثاني

الإصلاح والتغيير في سورة مريم

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي

المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي

المبحث الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي

المبحث الخامس: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي

المبحث الأول

منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الربوبية والألوهية والصفات

المطلب الثاني: كمال قدرة الله تعالى

المطلب الثالث: نفي الولد عنه سبحانه

المطلب الرابع: إثبات حقيقة البعث

المطلب الخامس: البراءة من عقيدة الكفر

المطلب السادس: مظاهر وأحوال العباد يوم القيامة

بين يدي المبحث:

إن العقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي أهم ما يجب معرفته، وهي الأولى بالاتباع والالتزام؛ لأنها الحق، والحق أحق أن يُتّبع، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ** ...﴾ [آل عمران:١٩] ، والله ﷻ لا يقبل أي عمل إلا إذا بُني على عقيدة صحيحة سليمة، فلا تستقيم الشريعة إلا بسلامة العقيدة ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾ [الزُّمر:٦٥] ، لذلك نجد أن جهود الأنبياء اتجهت إلى إصلاح عقائد المجتمعات قبل كل شيء، فكل نبي أرسله الله دعا قومه إلى عقيدة التوحيد ﴿... **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ...﴾ [الأعراف:٥٩] وبهذا دعا نوح وهود وصالح وإبراهيم وسائر الرسل عليهم السلام، حيث قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ...﴾ [النحل:٣٦] ، ونبينا محمد ﷺ مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى العقيدة الصحيحة ونبذ الشرك وسائر المعتقدات الفاسدة وكان يقول: **(قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)**[١]؛ لأن العقيدة هي أصل الدين الذي يُبنى عليها[٢]، "وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له؛ وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح، ولأنه لا يرجى صلاح قوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة ... وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي لأن المرء بروحه لا بجسده"[٣].

إن إصلاح عقيدة الفرد والمجتمع من أهم وجوه الإصلاح في هذا الوقت بالذات الذي ابتعد الناس فيه عن دينهم الحق، ولم يفقهوا عقيدتهم، التي هي سبب نجاتهم في الدنيا والآخرة ، لذا على الدعاة والمصلحين الاهتمام بإصلاح العقائد؛ لأن صلاح اعتقاد الفرد صلاح لسلوكه، وإذا صلح الفرد صلح المجتمع، والعقيدة الإسلامية لها تأثير واضح على الفرد وفي واقع المجتمع المسلم الذي يتبناها ويسير وفقها، فهي نور يضيء الطريق نحو العزة.

وقد عالجت سورة مريم أمور العقيدة، وسأبين ذلك بإذن الله من خلال منهجيات الإصلاح والتغيير في هذا المبحث.

---

[١] مسند أحمد–مسند المدنيين–حديث شيخ بن بني مالك بن كنانة–١٤٨/٢٧–رقم١٦٦٠٣، وقال المحقق: حديث صحيح.

[٢] انظر: شرح العقيدة الطحاوية– عبد العزيز الراجحي– ٦/١.

[٣] التحرير والتنوير–ابن عاشور–١٩٤/٣.

المطلب الأول: توحيد الربوبية والألوهية والصفات

إن العقيدة الصحيحة المتمثلة في إفراد الله ﷻ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته هي طريق النجاة، حيث يُعد توحيد الربوبية الأساس لأنواع التوحيد والذي يعني: الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ وحده ربّ كل شيء، ومالكه، وخالقه، وأنه المحيي والمميت، والنافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء، وله الأمر كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك. وهذا وحده لا يُدخل صاحبه الإسلام، لذا يستلزم توحيد الألوهية الذي يعني: الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ هو الإله الحق ولا إله غيره، وإفراده تعالى بالعبادة.[١]

أما توحيد الله في أسمائه وصفاته فيعني: الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ يتصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في كتاب الله وسنته من غير تحريف لألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عنه ﷻ، ولا تكييفها أو إثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين.[٢]

*** توحيد الربوبية والألوهية في ضوء سورة مريم:**

إن توحيد الله ﷻ هو أساس الإيمان الصحيح، وهو الصراط المستقيم، حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم:٣٦] ، ففي هذه الآية تقرير لربوبيته ﷻ وحده، ودعوة إلى توحيده ﷻ بالعبادة، وهو ما أمر به عيسى عليه السلام قومه وهو في المهد [٣]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] الآية صريحة في إثبات التوحيد، ونفي الند والسميّ والشبيه، فهو الخالق المالك المدبر، لا رب غيره، ولا معبود سواه، ولا نظير له ولا شبيه.[٤]

---

[١] انظر: شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي–٧٨/١، الإيمان– محمد نعيم ياسين– ص٧ وص١١، أصول العقيدة الإسلامية – نسيم ياسين – ص٤٣ وص٤٩.

[٢] انظر: الإيمان– محمد نعيم ياسين– ص ١٥.

[٣] انظر: تفسير القرآن العظيم– ابن كثير–٢٣٠/٥، الدرر المصون– السمين الحلبي–٦٠٠/٧، في ظلال القرآن–سيد قطب– ٢٣٠٨/٤.

[٤] انظر: تفسير القرآن العظيم– ابن كثير–٢٥٠/٥.

والتوحيد هو رسالة الأنبياء، فمن أجله أُرسلت الرسل، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، يدعو أباه للتوحيد الخالص، ليصلح عقيدته الفاسدة المبنيّة على الشرك ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾ [مريم:٤٢]، فيخاطبه ما الذي يرغمك على عبادة أحجار لا تسمع ولا تبصر؟ وكيف تتوجه لها بالتضرع والدعاء؟، فالأصل في العبادة أن تكون موجهة لذي الكمال، وإن في ذكر قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه تذكيراً للناس بما كان عليه إبراهيم من توحيد الله[١].

والتوحيد هو أول مقامات السالكين؛ فأول ما نطق به عيسى عليه السلام في المهد أنه عبد الله، وهذا نصٌّ على إثبات عبوديته لله ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ [مريم:٣٠] [٢].

وإن من منهج القرآن في الإصلاح والتغيير في سورة مريم الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان توجه الأنبياء إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والاستعانة به، فهذا نبي الله زكريا عليه السلام يدعو ربه أن يهبه غلاماً زكيا ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾[مريم:٤] ، وهذه مريم تستعيذ بالله من ذلك الملك المتمثل بالبشر ﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**﴾ [مريم:١٨] ، وهذا إبراهيم عليه السلام يدعو ربه ألا يكون بدعائه شقياً ﴿... **وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾ [مريم:٤٨] ، فالله وحده هو الذي يستحق العبادة، ولا استعانة إلا به، ولا ترفع الأكف إلا له، وعندما يعتقد الإنسان بذلك فلن يلجأ في جميع أحواله إلا إلى الله عز وجل، بل يعتبر أن الاستعانة والتوكل واللجوء لغيره شركاً بالله.

والله سبحانه وتعالى يحذرنا من الشرك، فيبين أن الآلهة التي تعبد من دون الله تبرأ يوم القيامة من عبيدهم وتشهد عليهم، قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۞ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا**﴾[مريم:٨١-٨٢] [٣]، ويحذرنا أيضاً من الشيطان فهو الداعي إلى الشرك والموسوس به، قال تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ [مريم:٨٣]، فكل من سلك طريق الغواية والضلال فهو عابد للشيطان وولي له، لذا حذر سيدنا إبراهيم عليه السلام

---

[١] انظر: في ظلال القرآن- سيد قطب-٤/٢٣١١، البحر المحيط-أبو حيان-٧/٢٦٧.

[٢] انظر: التفسير الكبير- الرازي-٢١/٥٣١، روح المعاني-الألوسي-٨/٤٠٧.

[٣] انظر :روح المعاني-الألوسي-٨/٤٤٩، في ظلال القرآن-سيد قطب-٤/٢٣٢١.

أباه وهو يعظه من الشيطان فقال: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم:٤٤][١].

ومن خلال سورة مريم الكريمة نستنبط أن صلاح التوحيد عند الفرد يورث الرحمة والكرامة، فعيسى عليه السلام صاحب العبودية الخالصة يمنحه الله العناية والرحمة والكرامة ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم:٢] ، حيث استجاب دعاءه، ورزقه الولد مع كبر سنه وعقم زوجه[٢]، وهذه مريم العابدة يهبها الله غلاماً بلا أب ﴿... وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:٢١] أي نرحم به العباد بأن يدعوهم أن يفردوا الله في العبادة وحده لا شريك له، وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والشركاء[٣]،إنها العبودية الخالصة تورث الرحمة والكرامة من الله.

*** توحيد الأسماء والصفات في ضوء سورة مريم:**

لله كمال الأسماء والصفات، وهو الذي يستحقها ويتصف بها حقيقةً ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١] ، فهو منزه عن المثيل والشبيه والسميّ ﴿... هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، لا اسم أعظم من اسمه الذي اختص الله به نفسه، ووصف به ذاته(الله)[٤] .

وقد تكرر اسم الرحمن في سورة مريم ست عشرة مرة منها:

- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨] .
- قوله تعالى: ﴿... فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم:٢٦] .
- قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم:٤٤].
- قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم:٤٥] .
- قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم:٦١] .

وتكررت صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى في أربعة مواضع :

- قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم:٢] .

---

[١] انظر: روح المعاني- الألوسي- ٤١٥/٨.

[٢] انظر: التفسير الوسيط- الواحدي-١٧٥/٣.

[٣] انظر: قصص الأنبياء-ابن كثير-٣٨٧/٢.

[٤] انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور-١٤٣/١٦، التفسير الموضوعي-نخبة من علماء التفسير-٤٦٤/٤.

- قوله تعالى: ﴿ ... وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:٢١].
- قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٠].
- قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٣].

وإن من آمن بأن من أسماء الله ﷻ (الرحمن) ومن صفاته (الرحمة)، فإن ذلك يدعوه إلى عدم اليأس من روح الله، وإلى عدم القنوط من رحمته، بل ينشرح صدره لما يرجو من رحمة ربه ومغفرته، وهذا صلاح للفرد ومن ثَمّ للمجتمع المؤمن الموحد.[١]

*** الإصلاح والتغيير في الالتزام بالتوحيد:**

إن الالتزام بهدي القرآن في عقيدة التوحيد لهو صلاح للفرد والمجتمع، ففيه السمو والارتقاء والنهوض والتحرر والعزة، كيف لا... وبالتوحيد يتحرر الفرد المسلم من كل ولاء لغير الله ﷻ، ويخلص العبودية لله ﷻ، ويرفض أي انتماء لغير الله، ويتمرد على أي نظام أو حكم غير حكم الله، ويعيش مطمئن النفس، قرير العين، وبالتوحيد يتوحد المجتمع، فالجميع يدين إلى رب واحد، تحت قيادة واحدة، ودستور واحد ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، والتوحيد يعطي المجتمع صبغة ثابتة ومنهجًا واضحًا يميزه عن غيره من المجتمعات الكافرة، ويدفع به إلى التقدم والرقي؛ لأنه ينفي عن المجتمع المساوئ الكثيرة للشرك، ولأنه يهيئ الأذهان لرفض الأوهام والخرافات التي تفتك بالمجتمع وتضعفه، وتجعله في اضطراب مستمر، وتقف حاجزًا دون رقيه وازدهاره، فالحاجة للتوحيد تتمثل في سائر أوضاع الحياة البشرية والدينية والاقتصادية والسياسية والزراعية والاجتماعية وغير ذلك.[٢]

ولابد في هذا المقام أن ننبه إلى بعض الظواهر الفاسدة والمخالفة للتوحيد تحذيراً منها، والتي تنتشر بين بعض الناس، ومن شأنها أن تفسد عقائدهم مثل: التبرك بالصالحين والتمسح بهم، أو تقبيل قبورهم والتمسح بها، أو التوسل إلى الله بهم، فهذا من الشرك، وكذلك فعل التمائم التي تعلق على المرضى والأطفال لدفع البلاء، وادعاء علم الغيب والسحر، فهذا مخالف لعقيدة التوحيد.[٣]

---

[١] انظر: مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية-عبدالله الجبرين-ص٦٩.

[٢] انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم- محمد ملكاوي-ص١٣١، أصول العقيدة الاسلامية- ياسين-ص١٧.

[٣] انظر: منهج القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام-حمود الرحيلي-١/١٣٠.

المطلب الثاني: كمـــال قـــدرة الله تعـالى

القدير سبحانه هو كامل القدرة، فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته سوّاها وأحكمها[1]، وهو على كل شيء قدير، فقدرته ﷻ مطلقة وإرادته نافذة، لا يحدّها حدود ولا تقيّدها قيود.

*** كمال قدرة الله في ضوء سورة مريم:**

إن المتأمل لآيات سورة مريم يبرز له كمال قدرة الله ﷻ، خاصةً في قصتي زكريا ومريم، وإن في قصصهم لعبرة وآية لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً.[2] يتجلى كمال قدرة الله ﷻ في السورة من خلال:

١- ولادة العاقر من زوجها الشيخ الكبير: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا۞قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا۞قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[مريم:٧-٩]، فالله ﷻ القادر يهب زكريا الولد رغم كبر سنه وعقم زوجه، فسبحانه لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء.

٢- امتناع زكريا عن الكلام وإفهامه لغيره بالإشارة فقط: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١٠-١١]، فقد احتبس لسانه عن الكلام بقدرة الله ﷻ كعلامة على بداية وقوع الحمل، رغم أنه صحيح لا علة به من خرس، ولا مرض يمنعه عن الكلام.[3]

٣- ولادة مريم العذراء من غير بعل: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا۞قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا۞ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم:٢٠-٢٣]، فالمولى ﷻ هو القادر على خلق عيسى عليه السلام من أم دون أب، وفي ذلك دلالة وحجة وبرهان على كمال قدرته على أنواع الخلق.[4]

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٩٤٧/١.

[2] انظر: شرح العقيدة الواسطية-محمد الهراس-٢٥٣/١.

[3] انظر: جامع البيان-الطبري-١٥١/١٨.

[4] انظر: التفسير الوسيط- الواحدي-١٨٠/٣، قصص الأنبياء-ابن كثير-٣٨٧/٢.

٤- **إنباع الماء في غير موضعه:** ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم:٢٤] ، والسري: هو الجدول أي النهر الصغير الجاري، لأن الماء يسري فيه.[١]

٥- **إخراج الرطب في غير حينه من يابس الحطب:** ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾[مريم:٢٥-٢٦]، يرزق الله مريم بالرطب بقدرته، حيث قيل كانت النخلة يابسة فاخضرت أو أثمرت في غير أوانها، حيث كان الميلاد في الشتاء إذ ليس وقت ثمر، وذلك كرامة لمريم، وإظهاراً لقدرة الله ﷻ.[٢]

٦- **نطق عيسى في المهد:** ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[مريم:٢٩-٣٤]، تبين الآية كمال قدرة الله؛ حيث أنطق عيسى عليه السلام وهو في المهد.

٧- **خلق الإنسان الأول من غير أب ولا أم:** ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾. [مريم:٦٦-٦٧]. ، أولا يفكر الإنسان في نفسه وحياته كيف خلقه الله ولم يك شيئاً؟، ثم نقله من ضعف إلى قوة، ومنحه العقل والإدراك، إن في ذلك لعبرة .

*** الإصلاح والتغيير في التأمل بكمال قدرة الله:**

إن في استشعار الإنسان لكمال قدرة الله في خلقه لوقفة مع النفس يتأمل فيها عظمة الله وقدرته، فيثمر إيماناً في قلب الكافر، ويثمر في قلب المؤمن زيادة في الإيمان، ورسوخاً في اليقين، وخشيةً من الله، يجلب له النور والبصيرة، التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المجرمة، فينعكس ذلك كله على تفكيره وسلوكه، فيصبح فرداً مسلماً صالحاً في ذاته مصلحاً لغيره نواةً للمجتمع المسلم.[٣]

---

[١] انظر: جامع البيان-الطبري-١٨/١٧٥.

[٢] انظر: قصص الأنبياء-ابن كثير-٢/٣٩١.

[٣] انظر: الإيمان بالله – علي الصلابي- ص١٢.

المطلب الثالث: نفـــي الولـــد عن الله ســبحـــــانه

نفى القرآن الكريم ما ينسبه المشركون لله ﷻ من اتخاذه الولد، فالله ﷻ منهزه عن اتخاذ الولد، وهو غني عن العالمين، وإن في قصة مولد عيسى عليه السلام من مريم العذراء ونطقه في المهد لتنزيهٌ لله عن الولد، وردٌ على النصارى الذين زعموا أنه إله وابن الله، تعالى الله ﷻ عما يقولون علواً كبيراً .

*** منهجية الإصلاح والتغيير في نفي الولد عن الله ﷻ في ضوء سورة مريم:**

لقد عرضت السورة قصة عيسى عليه السلام عرضاً واضحاً، وهو الحق لا أصدق منه قيلا، فهو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[مريم:٣٤-٣٥] فالله ﷻ منزهٌ عن اتخاذ الولد، إذ اتخاذ الولد افتقار إليه، والله ﷻ هو الغني فلا يفتقر إلى أحد، فما يريد تحقيقه يحققه بتوجه الإرادة لا بالولد والمعين.[١]

لقد بينت السورة اختلاف اليهود والنصارى في شأن عيسى عليه السلام وفساد عقيدتهم، قال تعالى: ﴿**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[مريم:٣٧] حيث قال اليهود عنه ابن زنا، وقال النصارى ابن الله، وما ذلك إلا بسبب جهلهم واتباعهم الهوى، والإعراض عن الحق فضلوا ضلالاً بعيداً، وافتروا على الله الكذب، فويل لهم من أهوال يوم القيامة، أما المسلمون فيقولون أنه عبد الله ونبيه. والله ﷻ ينفي أن يكون له ولد وارث، فهو ﷻ الذي يرث ولا يُورث، والملك خالص له لا ينازعه فيه أحد، حيث قال تعالى:﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾[مريم:٣٩-٤٠]أي: أنذرهم ذلك اليوم الذي لا شك فيه، فكل ما على الأرض عائد إلى الله، عودة الميراث كله إلى الوارث الوحيد.[٢]

لقد توالت الآيات في سورة مريم ترسخ العقيدة الصحيحة بتنزيه الله عن الولد، وتبطل العقيدة الفاسدة بدفع المزاعم ورد المقولة الباطلة في حق الله، حيث قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ**

---

[١] انظر: تيسير الكريم الرحمن- السعدي-٤٩٣/١، في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٠٨/٤، شرح العقيدة الواسطية-محمد الهراس-٨٣/١.

[٢] انظر: في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٠٩/٤، التفسير الموضوعي -عدد من علماء التفسير-٤٤٢/٤.

﴿الرَّحْمَنُ وَلَدًا۞ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[مريم:٨٨-٨٩] والإدّ: هو المنكر العظيم والأمر الفظيع[١]، قال الألوسي: "وفي هذا ردٌ لمقالتهم الباطلة، وتهويل لأمرها بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب، المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيلٌ عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة"[٢].

إن الكون كله مجبول على العقيدة الصحيحة، فها هو يستنكر هذه الدعوة الباطلة، قال تعالى:﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا ۞ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾[مريم:٩٠-٩١]، فالسماوات تكاد حين تسمع هذا القول المنكر أن تتشقق غيظاً وغضباً، وتنشق الأرض من هوله وبشاعته، وتخر الجبال فتهوي كما يهدم البناء غضباً وغيرةً لله[٣]، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:٩٢] فهو الغني فلا يفتقر إلى أحد، وهو الملك فكل ما سواه مملوك، وهو الحي الذي لا يموت، وهو الوارث الباقي، تعالى ربُّنا وتقدس[٤].

ها هو منهج القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير، إنه نزل ليصلح ويصحح العقائد الفاسدة، وهاهي سورة مريم ترسخ لنا المنهج الصحيح في عقيدة نفي الولد عن الله ﷻ، وهذا يدعونا دائماً إلى العودة إلى المنبت الأساسي الذي رسمه القرآن الكريم من خلال غرس العقائد الصحيحة لنلقى الله ﷻ وهو راضٍ عنا بعقيدة صافيةٍ نقية.

المطلب الرابع: إثبات حقيقة البعث

إن البعث حقيقة لا مراء فيه، وقد دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، وهو من الإيمان باليوم الآخر، والبعث: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم يوم القيامة، حيث يأمر الله ﷻ بالنفخة الأخرى، فإذا بالحياة تدب في الخلق من جديد، ويقوم الناس من القبور بالروح والجسد كما كانوا في الدنيا، ويسمى المعاد لإعادة الأرواح إلى الأبدان، وكذلك النشور لانتشار المخلوقات إلى الموقف.[٥]

---

[١] انظر: المفردات في غريب القرآن-الراغب الأصفهاني-ص٦٩، الجامع لأحكام القرآن- القرطبي-١١/١٥٦.

[٢] روح المعاني -٨/٤٥٤.

[٣] انظر: تفسير القرآن العظيم- ابن كثير-٥/٢٦٦.

[٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-١١/١٥٨.

[٥] انظر: شرح ثلاثة الأصول-محمد العثيمين-١/١٠٠.

*** إثبات عقيدة البعث في ضوء سورة مريم:**

لقد أنكر الكفار البعث بعد الموت، وهذا زعم باطل، دل على بطلانه القرآن الكريم، حيث تعرض الله ﷻ في سورة مريم لهذه الشبهة ودحضها بالحجة والبرهان، حتى يصلح ما فسد من عقائدهم، ويهديهم إلى طريق النجاة والفلاح، واستخدم أسلوب الحوار الذي يخاطب القلوب ويحاور العقول، قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۞ أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا**﴾[مريم:٦٦-٦٧] ينكر الكافر مصيره ويتناسى أصله، ويقول على وجه الإنكار والاستبعاد أإذا متُّ وأصبحت تراباً ورفاتاً سوف أُخرج من القبر حياً!، ولام لسوف للمبالغة في الإنكار، وهو إنكارٌ منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى أين كان؟ وكيف كان؟ فلو أمعن فكره وأعمل عقله لما وصل إلى هذا القول، فهل فكّر في نفسه وحياته كيف خلقه الله؟ ألا يتذكر أنه خُلق من قبل ولم يك شيئاً؟ فيستدل بالبداءة على الإعادة؟ فالنشأة الأولى أعجب وأدلّ على قدرة الله، والله الذي خلقه من العدم قادر على أن يعيده بعد الفناء وتشتت الأجزاء ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ...**﴾ [الرُّوم:٢٧].[١]

ويقسم الله ﷻ باسمه مضافاً إلى نبيه تشريفاً له بتحقق البعث ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**﴾ [مريم:٦٨] ، متوعداً لهؤلاء المشركين الضالين بالحشر مع الشياطين الذين أضلوهم، ثم هم بعد هذا الحشر مساقون إلى جهنم جاثين على ركبهم في هوان وذلة.[٢]

وإن في قول الله تعالى:﴿**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾[مريم:٤٠] إثبات للبعث بتذكير المشركين بأن ما هم فيه من شغل بمال وبنين، لن يكون لهم فيه شيء بعد مفارقتهم للحياة الدنيا، حيث يحشرون مجردين من كلّ ما كان لهم في الدنيا، وتأكيد جملة (إنا نحن نرث الأرض) بحرف التوكيد لدفع الشك لأن المشركين ينكرون الجزاء، فهم ينكرون أن الله يرث الأرض ومن عليها، وقوله (وإلينا يرجعون) أي يُردّون إلينا يوم القيامة فنجازي كلاً بعمله، وبذلك كان موقع جملة (وإلينا يرجعون) بيّناً، والتقديم يفيد التأكيد والقصر.[٣]

---

[١] انظر: التفسير الواضح-حجازي-٤٦٥/٢،صفوة التفاسير-الصابوني-٢٠٥/٢،التفسير القرآني-الخطيب-٧٥٤/٨، التفسير الموضوعي -عدد من علماء التفسير-٤٦٧/٤.

[٢] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-١٤١/١٦، التفسير القرآني للقرآن- الخطيب-٧٥٣/٨.

[٣] انظر: تفسير القرآن العظيم- ابن كثير-٣٩٤/٣، التحرير والتنوير-ابن عاشور-١١٠/١٦.

*** الإصلاح والتغيير في الإيمان بالبعث:**

إن من عدل الله وحكمته بعد أن خلق الخلق لعبادته، وبيَّن لهم طريق الخير وطريق الشر، أن يفرق بين المحسن والمسيء، لذلك جعل اليوم الآخر بعد هذه الحياة؛ لينال فيه كل إنسان جزاءَ عمله من الثواب والعقاب، وواقع الحال أننا نرى كثيراً ممن ارتكبوا جرائم يفارقون الحياة بجرائمهم ولم يقتص منهم، كما نرى أناساً آخرين يغادرون وهم مظلومون، ولم تُردّ إليهم مظالمهم، فكانت إعادة الحياة بعد الممات ليجزي الله كل نفس بما كسبت، قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**﴾ [آل عمران:١٨٥] .[١]

إن في إثبات القرآن الكريم للبعث بالاستدلال بالنشأة الأولى، للفت للأنظار إلى التأمل والتبصر في خلقه لأخذ العبرة منها، والتأهب والاستعداد لما يتبع البعث من حساب وجزاء، وفي ذلك صلاح للنفس فتعود لإيمانها وتشعر بالاستقرار والطمأنينة، وللإيمان بالبعث واليوم الآخر ثمرات جليلة، من شأنها أن تكون سبباً في صلاح الفرد والمجتمع:

١- الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها؛ رجاءً لثواب ذلك اليوم.

٢- الرهبة من فعل المعصية، ومن الرضى بها؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

٣- تسلية المؤمن عمّا يفوته من الدنيا، بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.[٢]

المطلب الخامس: البراءة من عقيدة الكفر

إن الولاء والبراء جزء من العقيدة، وأصل من أصول الإسلام، ومعرفتها معرفةً صحيحةً أمر ضروري للمسلم، ليلقى الله على عقيدةٍ صحيحة تكون فيها النجاة في الآخرة، والفلاح والعزة له وللأمة الإسلامية.

والبراء هو البعد والعداوة بعد الإنذار والإعذار، وهو ضد الولاء والمحبة والنصرة، وقد حرص الإسلام على أن يكون انتماء المسلم لدينه فقط من أول لحظة يعلن فيها (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، والبراءة من كل معبود أو متبوع أو مطاع سوى الله، حيث قال تعالى: ﴿**...فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ...**﴾ [البقرة:٢٥٦]، والمصطفى ﷺ حرص على تربية أمته، والبعد بها عن مفاخر الأنساب والأحساب التي لا

---

[١] انظر: منهج القرآن في دعوة المشركين-محمود الرحيلي-٥٧٧/٢.

[٢] انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية -ابن عثيمين- ٥٥/١.

تستمد قوتها من هذا الدين، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(إن الله قد أذهب عنكم عبيّة[1] الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي أو فاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان[2] التي يدفع بأنفها النتن)**[3]، فالمؤمن يجب أن يوالي المؤمن المستقيم على دينه ولاءً كاملاً ويحبه وينصره نصرةً كاملة، ويبرأ من الكفار والملحدين والمشركين والمرتدين، ويعاديهم عداوةً وبغضاً كاملاً، ولو كانوا آباءه أو أقاربه، ويترك كل فكرٍ أو عقيدة أو منهج سوى منهج الإسلام.[4]

*** البراءة من الكفر في ضوء سورة مريم:**

إن من منهج القرآن في إصلاح عقيدة الناس وبيان عقيدة البراء من الكفر هو ضرب المثل، فقد كان نبي الله إبراهيم عليه السلام وخليل الرحمن أبرز مثال في ذلك، بل كان القدوة الأولى في ولائه لربه ودينه وعباد الله المؤمنين، وبراءته ومعاداته لأعداء الله ومنهم والده، وقد بينت ذلك سورة مريم حيث قال تعالى : ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾[مريم٤١-٤٢] لقد بدأت دعوة خليل الرحمن بأقرب الناس إليه، فلما رفض التجاوب مع هذه الدعوة، اعتزل هذا الباطل وأصحابه لعلّ في ذلك رداً وجزراً وتفكراً في هذا الأمر، وهو نجاةٌ للداعية من مشاركة أهل الباطل في باطلهم أو موالاتهم بأي صورة من الصور﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾[مريم:٤٦-٤٨] وأعتزلكم وما تدعون أي: أفارقكم وأفارق ما تعبدون من آلهة من دون الله، هذا إعلان البراءة مما عليه أبوه وقومه من كفر، واعتزاله لهم بعد أن دعاهم وأعذر وأنذر، مع رجائه وحرصه عليهم.[5]

---

[1] العبية: الكبر والفخر، (انظر: تحفة الأحوذي- المباركفوري-٣١٧/١٠).

[2] الجعل: دابة سوداء، وجمعه جِعْلان، (انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير- الحدادي- ٢١٩/٢، لسان العرب-ابن منظور-١١٢/١١).

[3] سنن أبي داوود-كتاب الأدب-٣٣١/٤-٥١١٦، الترمذي-المناقب-٧٣٤/٥-٣٩٥٥، وقال حديث حسن.

[4] انظر: الولاء والبراء في الإسلام-القحطاني-١٠٤/١.

[5] انظر: تفسير القرآن العظيم- ابن كثير-٢٣٦/٥، الوجيز- الواحدي-٦٨٣/١.

*** أثر البراءة من عقيدة الكفر والإصلاح فيها:**

إن إعلان المؤمن لبراءته من الكفر وأهله، سيجعل أعداء الله يمكروا به، وقد يتعرض للتعذيب والإيذاء، ولكن بإيمانه يتحدى ذلك، فإذا وجدت محبة الله في القلب تحمل المؤمن حينئذ وتقبل تكاليف التزامه بالعقيدة الصحيحة، ومن ذلك جهاد أعداء الله وبغضهم وهجرتهم والصبر على الأذى في سبيل الله، بل يزيده ذلك ثقة وتمسكاً بولائه لله ﷻ وبراءته من الشرك وأهله.[1]

ما أحوج الداعية المسلم أن يتحلى بعقيدة البراءة من الكفر وأهله، متأسياً بسنة الله في أنبيائه فيصبر على الأذى، فيجد معية الله تصحبه وترعاه وتحفظه، وحين يثبت المؤمنون على الحق ولا يخافون إلا الله، فسيكون هذا دافعاً عظيماً لدخول الناس في دين الله، والاهتداء بهديه[2]، ولقد تغير حال الجاهلية لما جاء الإسلام بهذه العقيدة العادلة، ولو طبقها أهل هذا الزمان على حقيقتها لتغير حالهم إلى الصلاح والخير والعزة.

المطلب السادس: مظاهر وأحوال العباد يوم القيامة

عرضت سورة مريم بعض مشاهد يوم القيامة وأحوال العباد ومصائر البشر في مواقف حيّة، وقد استقرأ الباحث الآيات الدالة على ذلك على النحو التالي:

- العرض على الله فرادى: قال تعالى﴿ **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۞ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا**﴾[مريم:٩٣-٩٥] الجميع يعرض على الله فرداً وحيداً، لا يأنس بأحد، ولا يعتز بأحد، فلا ينفعه إلا ما قدم، فالله قد أحاط بهم جميعاً وجمعهم، وعدّهم عدّا فلا مجال لهرب أحد، أو نسيان أحد، والخلق كلهم عبيد لله ﷻ، ومن لم يقر بعبوديته في الدنيا سوف يقرّ حين يرى العذاب.[3]

- المرور على الصراط: قال تعالى:﴿ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾[مريم:٧١-٧٢] ذكر العلماء أن المراد بالورود هو المرور على

---

[1] انظر: أصول العقيدة الإسلامية-نسيم ياسين-ص٢٨٤، الولاء والبراء في الإسلام-القحطاني-١٠٨/١.

[2] انظر: الولاء والبراء في الإسلام-القحطاني-١٥٢/١.

[3] انظر: في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٢١/٤.

الصراط، وهو جسر ممدود على ظهر جهنم، يمر به المؤمن والكافر، فينجي الله المتقين، ويتساقط أهل الضلال، تنزلق أقدامهم فتتخطفهم الكلاليب لتلقى بهم في النار.[١]

- **لا أحد يملك الشفاعة:** قال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧] ، إن الشفاعة لله ﷻ وحده، يمنحها لمن يشاء، فلا يملك أحد في هذا اليوم الشفاعة إلا من اتخذ عند الله عهداً، وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها، بأن كان صالح الإعتقاد والقول والعمل، وكان في الدنيا هادياً مصلحاً، أما شفاعة الآلهة المزعومة فهي أوهام زائفة، لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً.[٢]

- **من مشاهد الحشر:** قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۞ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[مريم٨٥-٨٦]، يبين الله ﷻ مشهد المتقين وهم يُزفّون إلى الرحمن، حيث يحشرون بهيئة حسنة، يحشرون وفوداً مكرمة مطهرة، وفي المقابل مشهداً مروعاً، مشهد المجرمين وقد صُفّدوا بالسلاسل والأغلال، وانحنت الظهور وتثاقلت الخُطا، وهم يُساقون إلى جهنم عطشى في حال ظمئهم، ووجوههم كالحة، قلوبهم مرتعدة، خطواتهم ثقيلة، بائسين وبئس المصير.[٣]

- **وصف الجنة:** قال تعالى:﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا۞لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم:٦١-٦٢]، تلك الجنان التي وعد الرحمن بها عباده المؤمنين، فآمنوا بها دون أن يروها، جنات إقامة دائمة، ووعد الله صارم وآت، ومن تمام نعمته لأهل الجنة أنهم في أمن وسلام، ولا يسمعون فيها لغواً أي فضول القول وقبيح الكلام، إذ الجنة دار السلامة من كل المنغصات، فلا يسمعون إلا سلام الملك عليهم، وسلام بعضهم على بعض، وقيل سلام الملائكة عليهم، ولهم رزقهم فيها من المطاعم والمشارب بالغدو والرواح، قال المفسرون: ليس في الجنة بكرة ولا عشية، ولكنهم يؤتون رزقهم على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشاء.[٤]

---

[١] انظر: شرح العقيدة الطحاوية-ابن أبي العز الحنفي-ص٤١٥، شرح الواسطية- هراس-ص٢١٢.

[٢] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-١٦٢/١٦، التفسير الواضح-حجازي-٤٧١/٢.

[٣] انظر: التفسير الواضح-حجازي-٤٧١/٢.

[٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي-١٢١/١١، لباب التأويل- الخازن-١٩٢/٣، فتح القدير-الشوكاني-٤٠١/٣.

- حال الكفار في النار: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾[مريم:٦٨-٧٠]

يُحشر كل كافر مقروناً مع شيطان في سلسلة، ويُحضر الكفار جاثين على ركبهم حول جهنم، ويُنزع من كل فرقة تشايعت على الباطل أشدهم عتوّاً ونفوراً وفجوراً، وهم الكبراء والرؤساء، فيتقدمون أتباعهم، ويقودونهم إلى جهنم، ويطرحون فيها، فتزداد بهم صليّاً أي حرارة ولهيباً وإحراقاً، فترتيب دخولهم النار وفق حساب دقيق، يرجع إلى قدر جرمهم الفاضح، وعذابهم فيها يتفاوت بتفاوت عملهم الطالح، والله أعلم بمن هو أحق بالنار إحراقاً، وأحقهم بعظيم العقوبة.[١]

*** دور الإيمان بأهوال يوم القيامة في الإصلاح والتغيير:**

ما أحوج كل عاقل أن يتذكر هذا اليوم ويتأمل أهواله ويتزود له، فإن ذلك له أثر عظيم في حياة الإنسان، حيث يحثه على إزدراء الكفر ومقت الكافرين، لأن عاقبة هؤلاء جهنم وبئس المصير، ويدفع الإنسان لمراقبة الله في أقواله وأفعاله، فيُصلِح سلوكه ويضبط عمله، ويكثر من الخير ابتغاء ثوابه، ويبتعد عن الشر خوفاً من عذابه، ويجعل المؤمن به أيضاً متوازناً في كلّ أموره، فلا يطغى الجانب المادي على الجانب الروحي ولا العكس، وهذا مدعاة لتغير أحوال الناس إلى الخير والصلاح والهدى والتقى[٢].

---

[١] انظر: جامع البيان-الطبري-٢٢٩/١٨، تفسير القرآن العظيم- ابن كثير-٢٥١/٥، التفسير الواضح حجازي -٤٦٦/٢، التفسير المنير-الزحيلي-١٤٥/١٦، التفسير الموضوعي-نخبة من علماء التفسير-٤٦٨/٤.

[٢] انظر: أصول العقيدة الإسلامية-نسيم ياسين-ص٢٥٠.

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: الدعاء بالخفاء وإظهار الضعف

المطلب الثاني: المداومة على ذكر الله

المطلب الثالث: أهمية الخلوة للعبادة

المطلب الرابع: التلازم بين الصلاة والزكاة

المطلب الخامس: خشوع الجوارح والقلب

المطلب السادس: التوبة باب مفتوح

المطلب السابع: وراثة الجنة بالتقوى

المطلب الثامن: حاجة العابد للصبر على الطاعة

المطلب التاسع: تلازم ترك الصلوات واتّباع الشهوات

بين يدي المبحث:

إن للعبادة في الإسلام منزلة رفيعة، ومكانة جليلة، فهي نهاية الخضوع وقمة الشعور بعظمة المعبود، وهي مدارج الصلة بين المخلوق والخالق، وقد جاء الإسلام بعبادات لها أثر حسن في إصلاح القلوب وتهذيب النفس، فكما أحدث نقلة عميقة شاملة في مجال العقيدة، أحدث في مجال العبادة إصلاحاً وتغييراً جذرياً بين ما كان عليه الناس في جاهليتهم من باطل، وما دعا إليه الإسلام من عبادات وأحكام شرعية، لها وزنها في تربية الفرد والجماعة، وأوضح دليل على هذا التغيير وهذه النقلة ما جاء في حديث جعفر بن أبي طالب[1] للنجاشي ملك الحبشة، إذ يوضح ما كان عليه العرب في الجاهلية من ضلال وفساد في العبادات والسلوك، حيث قال جعفر ﷺ: " أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبده نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... "[2].[3]

إن صلاح الفرد والمجتمع منوطٌ بأداء العبادات التي شرعها الله على وجهها، وطاعة الله فيما أمر من الشرائع والشعائر؛ لأن العبادة هي الغاية من الوجود الإنساني، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ، ولا تكون للحياة أهمية ما لم تكن جميع مظاهرها معبرة عن معاني التذلل والخضوع لله ﷻ، والإسلام يقضي أن تكون الحياة كلها عبادة وطاعة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] ، وللعبادة آثار على الفرد والمجتمع، بعضها عاجلة تتمثل في تزكية النفس، ونشر الخير والفضيلة بين

---

[1] هو جعفر بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي، ابن عم رسول الله، وأخو علي بن أبي طالب، ويلقب جعفر الطيار، كان أمير المهاجرين إلى الحبشة، وقتل يوم مؤتة، (انظر: أسد الغابة- ابن الأثير-٥٤١/١، الطبقات الكبرى-ابن سعد-٢٥/٤).

[2] مسند أحمد-٢٦٦/٣، سيرة ابن هشام-٣٣٦/١، بإسناد حسن أو صحيح عن أم مسلمة، انظر: تخريج أحاديث وآثار في ظلال القرآن-علوي السقاف-١٠٣/١.

[3] انظر: منهج القرآن في دعوة المشركين-الرحيلي-٦٩٦/٢، ماذا يعني انتمائي للاسلام-فتحي يكن-ص١٩.

الناس، وأخرى آجلة يلقاها العبد يوم القيامة، عند ربه في جنات النعيم، وكلما كان الناس عبّاداً ربانيين، كان المجتمع أقرب للصلاح، والعكس بالعكس، فإن انهمكوا في المعاصي والسيئات وتركوا الواجبات والطاعات كان ذلك مؤذناً بفساد المجتمع، وسأبين بإذن الله كيف ساهمت سورة مريم بترسيخ منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: الدعاء بالخفاء وإظهار الضعف

شرع الله للناس اتصالاً عاجلاً به، يلجئون إليه لتحقيق حاجاتهم، وهو الدعاء والتوجه إليه ﷻ، والدعاء الخالص هو عبادة حقيقية؛ لأنه دليل تقدير العبد للمعبود، وثقته بربه، والدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.[1]

*** الدعاء بالخفاء وإظهار الضعف في ضوء سورة مريم:**

من المعلوم أن إخفاء الدعاء أو الجهر به عند الله سواء، فهو ﷻ سميع الدعاء، ولكن الدعاء في السر له ميزة، فهو أدعى للخضوع وأرجى للقبول، ولنا في سيدنا زكريا عليه السلام قدوة حسنة، قال تعالى: ﴿**إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾ [مريم:٣] أي سأل الله بنداء خفيّ، وهو مستتر بدعائه ومسألته إياه، لأنه أحب إلى الله، وأبعد من الرياء، ومن أدب الدعاء أن ندعوه ﷻ كما أمرنا ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ...**﴾ [الأعراف:٥٥] ، وإن إظهار الضعف والذل في الدعاء له أهمية كبيرة وهذا واضح في دعاء زكريا عليه السلام ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾ [مريم:٤] أي ضعفت عظامي وخارت قواي، وانتشر الشيب فيه، وفي هذا إشارة إلى فقره إلى رحمة الله، قال العلماء: يستحب للمرء أن يجمع في دعائه بين الخضوع، وذكر نعم الله عليه كما فعل زكريا هاهنا، فإن في قوله: ﴿**وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾، غاية الخضوع والتذلل وإظهار الضعف والقصور عن نيل مطالبه، ثم يذكر زكريا مسوغاً آخر يستدعي العطف والرحمة وهو كونه مستجاب الدعوة، فلم يعهد من ربه إلا إجابة دعائه، فهو الرجاء والغاية والمقصد.[2]

---

[1] انظر: شرح الطحاوية–ابن جبرين–٩/٧٧، دعوة الرسل–أحمد غلوش–٢٥١/١.

[2] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن– الطبري–١٤٢/١٨، تفسير القرآن العظيم –ابن كثير–٢١١/٥، تفسير أبي السعود–٥٣/٥، تفسير الشعراوي–٩٠٢٣/١٥، التفسير القرآني للقرآن–الخطيب–٧٢٢/٨، التفسير المنير – الزحيلي–٥٤/١٦.

*** الإصلاح والتغيير في إخفاء الدعاء وإظهار الضعف فيه:**

إن من أراد أن يغير من حاله، ويصلح من شأنه، وخاصة في هذه الظروف التي نحياها، عليه أن يلجأ إلى الله بالدعاء، فإنّ كثيراً من الناس في هذا الوقت يقولون من ضيق الحال: ماذا نصنع؟ وماذا بأيدينا أن نعمل؟ نقول لهم: المطلوب أن نتوجه إلى الله بأكف ضارعة وقلوب خاشعة وعيون دامعة، وأن نصدق الله ﷻ في دعاء من أعماق قلوبنا، ندعوه بخفاءٍ تضرعاً وتذللاً وخشية، ونظهر ضعفنا فيه، فهذا أغلى ما نملك، والله لا يرد من أقبل عليه، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ...﴾ [البقرة:١٨٦]، وقد ذكر العلماء فوائد عديدة لإخفاء الدعاء منها:

١. أنه أعظم إيماناً لعلم صاحبه أن الله يسمع الدعاء الخفي.
٢. أنه أعظم في الأدب والتعظيم.
٣. أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ومقصوده.
٤. أنه أبلغ في الإخلاص لله تعالى.
٥. أنه أبلغ في إجتماع القلب على الذلة في الدعاء.
٦. أنه دليل على قرب الداعي من مولاه القريب منه.
٧. أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال.
٨. أنه أبعد للداعي من القواطع والمشوشات.
٩. أن فيه إخفاء للنعمة –أي نعمة الاقبال والتعبد– من أعين الحاسدين.
١٠. أن الدعاء نوع من الذكر متضمن للطلب منه.[١]

المطلب الثاني: المداومة على ذكر الله

إن ذكر الله من أفضل الطاعات وأيسر العبادات وأجل القربات وأعظمها أجراً، والمداومة عليه من أهم أسباب الصلاح للفرد والمجتمع، فإن من لازم ذكر الله ارتبط قلبه بالله، فصار رقيقاً خاشعاً، يتأثر بالموعظة، ويبادر للطاعة، ويرق قلبه للخلق ويمتلئ رحمة وحباً للمؤمنين، فينعكس هذا على سلوكه وتعامله مع الخلق بالحق والإنصاف والإيثار، وللذكر أكثر من مائة فائدة ذكرها ابن قيم الجوزية[٢].

---

[١] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول–عدد من المختصين بإشراف صالح بن حميد–١٩٠٢/٥.

[٢] انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب–ابن قيم الجوزية–٤١/١.

*** المداومة على ذكر الله في ضوء سورة مريم:**

لقد جاءت سورة مريم تحثُّ على المداومة على ذكر الله، فنبي الله زكريا عليه السلام رغم منعه من الكلام كآية لبشرى الولد إلا أنه يواصل ذكر الله عز وجل، ويأمر الناس بالإشارة بما يُفهم منه المداومة على الذكر، قال تعالى: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم:١١] فلنتأمل كيف يواصل زكريا عليه السلام ذكر الله حتى وهو ممنوع عن الكلام، فقد أشار إليهم أن يداوموا على التسبيح في جميع الأوقات وخاصة الصباح والمساء، فتلك أوقات يُقبل الله فيها على عباده لأنهم يُقبلون عليه، وقد هدأ الكون وسكن الناس وصفت النفوس وخلت من مشاغل الدنيا وضجيج الحياة، وإنما خصّ التسبيح من سائر الذكر ليتناسب مع هذه الآية العجيبة التي ستنطق الأفواه بالتسبيح تنزيهاً لله سبحانه وتعالى، وشكراً لله على ما أولاه من ولادة ولدٍ من أم عاقر وأب عجوز.[١] والتسبيح يعني قول سبحان الله، ومعناه: تنزيه الله بما لا يليق به من كل نقص، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر.[٢]

*** دور المداومة على ذكر الله في الإصلاح والتغيير:**

معلوم أن القلوب قد تصدأ كما يصدأ الحديد، فتحتاج إلى ما يزيل عنها الأصداء، والمرء في هذه الحياة محاط بالأعداء من كل جانب، نفسه الأمارة بالسوء وهواه وشياطين الإنس والجن، فهو بحاجة ماسة إلى ما يؤمّنه، ويُسكن مخاوفه، ويطمئن قلبه، وإن من أكثر ما يزيل ذلك هو ذكر الله سبحانه وتعالى والإكثار منه، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨]، فالمداومة على ذكر الله سبحانه وتعالى صلاح للفرد، قال ابن القيم رحمه الله: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدّس الله روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!" [٣] .

---

[١] انظر: التفسير الواضح-حجازي-٤٤٦/٢، التفسير المنير-الزحيلي-٥٧/١٦، روح المعاني-الألوسي-٣٩١/٨.

[٢] انظر: فتح الباري-ابن حجر-٢٠٦/١١، التعريفات-الجرجاني-ص٥٧، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول-عدد من المختصين بإشراف صالح بن حميد-٩٨٢/٣.

[٣] الوابل الصيب من الكلم الطيب-٤٢/١.

المطلب الثالث: أهمية الخلوة للعبادة

إن الخلوة للعبادة، وللتفكر في آلاء الله ونعمه وبديع خلقه، ذات أهمية كبيرة؛ فبها ينطق القلب ﴿... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] ، ويصفو الذهن وتدمع العين، فيكون صاحبها من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظلّه حيث منهم رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه[١]. والخلوة تعني اختلاء الفرد بربه فترة من الزمن ينسلخ فيها من هموم الدنيا ومشاغلها، ويتوجه إلى الله بالذكر والدعاء والمناجاة، فهي ليست البعد عن الناس حباً في العزلة، أو هروباً من مواجهة أعباء الحياة ومسؤوليتها، بل هي فترة محدودة لتصفية الذهن وتنقية النفس وتطهير الروح. وقد حبب الله لنبينا محمد ﷺ الخلاء، فكان يخرج من مكة بعيداً عن الضجيج، ويمكث وحيداً في غار حراء، ومعه زاده وعدته، مدة تضم الليالي ذوات العدد، حيث يقضيها في خلوته وانقطاعه عن الناس ليخشع قلبه، فيجد الوحي منه حين وروده مراداً سهلا.[٢]

*** أهمية الخلوة للعبادة في ضوء سورة مريم:**

إن في خلوة مريم العذراء واعتزالها للعبادة لدلالة على أهمية الخلوة للعابد والداعية والمربّي والمُصلح، فهي رياضةٌ للنفس، وسمو للروح، وشحذ للهمة، وصفاء للقلب، وزيادةُ قرب من المولى ﷻ، قال تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۞ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[مريم:١٦-١٧] الانتباذ هو الاعتزال والانفراد، والمكان الشرقيّ هو شرقي بيت المقدس، حيث اتجهت إليه لتعتكف وتختلي للعبادة، فقد تركت أهلها أقرب الناس إليها ليكون أُنسها برب الأهل والناس، واتخذت من دونهم حجاباً أي جعلت بينها وبينهم ستراً حتى لا يشغلها شيء عن العبادة، وحتى تستأنس بالحق عن الخلق، وينصرف قلبها للعبادة.[٣]

*** الإصلاح والتغيير في الخلوة للعبادة:**

إن الخلوة من أهم الوسائل المعينة على التربية الذاتية وعلى العبادة الخالصة، بل هي

---

[١] ارجع: صحيح البخاري-باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة-١/١٣٣-برقم٦٦٠.

[٢] انظر: الرحيق المختوم-المباركفوري-١/٥٥، السيرة النبوية والعهد المكي-أحمد غلوش- ١/٣٠٢.

[٣] انظر: الكشاف-الزمخشري-٣/٩، إرشاد العقل السليم- أبو السعود-٥/٢٥٩، تيسير الكريم الرحمن- السعدي-١/٤٩١، الخواطر-الشعراوي-١٥/٩٠٥٠، التفسير المنير-الزحيلي-١٦/٦٨.

منهجية مهمة فيها صلاح للفرد والمجتمع، خاصة في ظل كثرة الفتن، وتنوع أصناف الشهوات والشبهات، وفي ظل إصابة بعض المستقيمين بالانتكاس أو الفتور، فكلّ إنسان يحتاج من وقت لآخر أن يخلو بنفسه، ويبتعد قليلاً عن صخب الحياة وضغوطاتها، فيتفرغ للعبادة ويشتغل بالقربات بدلاً من الانشغال بالدنيا واللهو، ويشتغل بالخالق ويقبل عليه بدلاً من الانشغال بالخلق، ومعلومٌ أيضاً أن الإنسان لا يخلو من غفلةٍ أو ذنبٍ يكون سبباً في قسوة قلبه تحرمه لذة الطاعة، فحينها لابد أن يعالج قلبه ويصلحه، فعليه أن يتفرغ في جزء من وقته للعبادة، فيصحو القلب ويحب العبادة ويشعر بلذة المناجاة.

فحبذا أن يجعل الإنسان لنفسه ساعة من الليل حين تنام العيون، فيختلي مع ربه، ويأنس بمناجاته ودعائه وذكره وتلاوته لآياته، فإنها والله لمن أسعد اللحظات في حياة الإنسان، يجد فيها اللذة، فينسى الدنيا بما فيها، إنها حلاوة المناجاة بينه وبين الله، ولذة القيام في تلك اللحظات.

المطلب الرابع: التـــــلازم بين الصـــــلاة والزكـــاة

لقد جاء الإسلام ليصلح المجتمع الجاهلي بعد أن استشرى فيه الفساد الذي هتك بالفرد والمجتمع، فقد عني بالصلاة؛ لما فيها من الفضائل ولما تشتمل عليه من الخير والنفع، فشدد كل التشديد في طلبها، وحذر من تركها، فهي عمود الدين، ومفتاح الجنة، وخير الأعمال، وأول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة، ولقد اقترنت الصلاة بالزكاة في كثير من آيات القرآن الكريم، حيث ذكرت الزكاة بعدها؛ وذلك لشدة الاعتبار بها، ولأهميتها في الشريعة الإسلامية، ولأن الصلاة والزكاة توأمان، فهما من ناحية الفرض والوجوب سيان، والصلاة هي من أعظم حقوق الله، والزكاة من أجلّ حقوق عباده.

*** التلازم بين الصلاة والزكاة في ضوء سورة مريم:**

لقد جاءت سورة مريم تبرز التلازم بين الصلاة والزكاة، فقد نطق عيسى عليه السلام وهو في مهده بهما عندما تحدث عن نفسه، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾[مريم:٣١] أي: أوصاني بحقوقه التي من أعظمها الصلاة بالمحافظة عليها، وحقوق عباده التي من أجلِّها الزكاة، مدة حياتي[١].

---

[١] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– السعدي – ٤٩٢/١.

وقد مدح الله إسماعيل عليه السلام بهما عند الحديث عن صفاته فقال: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۞وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾[مريم:٥٤-٥٥]أي أن من صفاته أنه كان حريصاً على صلاح أهله واستقامتهم، فيأمرهم برعاية حقوق الله وحقوق العباد ويرغبهم في المحافظة على الصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وإيتاء الزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد[١] .

*** الإصلاح والتغيير في الالتزام بالصلاة والزكاة:**

إن في الوفاء بحق الله عز وجل وحق عباده بأداء الصلاة والزكاة، تحصيلاً لرضى الله، فلا يكفي أداء الصلاة لوحدها وترك زكاة الفطر أو المال، وقد فهم أبوبكر الصديق رضي الله عنه هذا التلازم مما حمله على قتال مانعي الزكاة، حيث قال: **(والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه)**[٢]. [٣]

وإن ترك المجتمع الإسلامي للزكاة يجعل الناس يعانون من الفقر والبطالة، وينشر الأحقاد والضغائن، ويسبب كثيراً من الجرائم، لذا لابد من أخذ الزكاة مأخذاً جاداً من أفراد المجتمع بأدائها بحقها، وكذلك من الحكومات بوضع الترتيبات التي تكفل تحصيلها، ثم تكفل إنفاقها في مصارفها كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ..**﴾[التوبة:٦٠]وبذلك يرتقي المجتمع بإذن الله.

والزكاة تشتمل على كثير من الفضائل منها:

- إنها تغرس في نفس المؤمن فضيلة السخاء، وتطهر نفسه من رذيلة الشح، فيفوز برضا الله.
- إن في الزكاة سدّ لحاجة الفقراء، وتفريج لكربات المحتاجين، وعون على المصالح العامة.
- إنها تخرج الأضغان من قلوب البائسين وحقدهم على الأغنياء المترفين، وتملأ قلوبهم بمحبتهم، وتمنعهم من الإساءة إليهم، وبذلك يسود الأمن والألفة والإخاء.
- إن الزكاة ضمان إجتماعي؛ لأن الإسلام يأبى أن يكون في مجتمعه من لا يجد القوت الذي يكفيه، والثوب الذي يواريه، والبيت الذي يؤويه، فهذه ضرورات يجب أن تتوافر لكل إنسان يعيش في ظل الإسلام، والمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضرورات.[٤]

---

[١] انظر: المرجع السابق ٤٩٦/١، التفسير الموضوعي لسور القرآن- نخبة من علماء التفسير-٤٥٥/٤.

[٢] صحيح البخاري-كتاب الزكاة-باب وجوب الزكاة- ١٠٥/٢- رقم١٣٩٩.

[٣] انظر: فتاوى الشبكة الإسلامية- ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٤هـ- http://www.islamweb.net .

[٤] انظر: العبادات وأثرها في إصلاح المجتمع-محمود السيد شيخون-٩٤/١.

المطلب الخامس: خشوع الجوارح والقلب

إن الخشوع هو الخضوع والسكون والذلّ لعظمة الله والاستسلام لقضائه الكوني والشرعي، والخشوع يتضمن معنيين: أحدهما التواضع والذل، والثاني السكون والطمأنينة المستلزم للين القلب المنافي للقسوة[١]، والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب فيها بين يدي الله ﷻ محبة له وإجلالاً وخوفًا من عقابه ورغبة في ثوابه، مستحضرًا لقربه فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه وتسكن حركاته، متأدبًا بين يدي ربه، مستحضرًا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته من أولها إلى آخرها، فتزول بذلك الوساوس والأفكار، والخشوع هو روح الصلاة والمقصود الأعظم منها فصلاة بلا خشوع كبدن بلا روح[٢].

وأصل الخشوع خشوع القلب الذي هو ملك الأعضاء وهو انكساره لله، وخضوعه وسكونه عن التفاته إلى غير الله ﷻ، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها تبعاً لخشوعه، ولهذا كان النبيّ ﷺ يقول في ركوعه: **(خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظامي وما استقل به قدمي)**[٣].[٤]

*** خشوع الجوارح والقلب في ضوء سورة مريم:**

إن لنا في الأنبياء الكرام قدوة حسنة، حريٌّ بنا أن نتأسى بهم حتى نصلح من أنفسنا ونرتقي بها لصفات الأنبياء الكرام، فبعد أن نثر الله ﷻ في سورة مريم ذِكر بعض الأنبياء الكرام، بيّن أن هؤلاء الذين اصطفاهم بالنبوة من كريم خِلالهم ودليل صِدقهم: حسن تدبرهم وتأثرهم بكلام الله ﷻ حين يتلى عليهم، فتراهم حين يسمعون كلام الله يسارعون للسجود والبكاء، خشوعاً وخضوعاً وهيبة وإجلالاً لمقام ربهم وعظمة كتابه الذي يرقق القلوب ويغذي العقول، قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ [مريم:٥٨][٥].

---

[١] انظر: شرح ثلاثة أصول-محمد العثيمين-٥٩/١، مجموع الفتاوى-ابن تيمية-٢٨/٧.

[٢] انظر: تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥٤٧/١.

[٣] صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها-باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه-٥٣٤/١-رقم٧٧١.

[٤] انظر: فتح الباري-ابن رجب-٣٦٧/٦.

[٥] انظر: الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-١٢٠/١١، جامع البيان في تأويل القرآن-الطبري-٢١٤/١٨، تيسير الكريم الرحمن – السعدي – ٤٩٦/١، التفسير الموضوعي لسور القرآن- نخبة من علماء التفسير-٤٥٧/٤

*** الإصلاح والتغيير في خشوع الجوارح والقلب:**

إن الظواهر التي تظهر على الكثير من قسوة القلب وقحط العين، وضعف أو انعدام الخشوع هي بسبب قلة تعلق القلب بربه، وتعلقه بالمخلوق كالدنيا والمال والمنصب والجاه، فلابد للقلوب أن ترجع لحالتها الصحيحة، بإصلاحها وتتطهيرها من كل ما علق بها من قسوة، ولكي يتحقق الخشوع لابد أن يعقل العبد ما يقوله أو يفعله في الصلاة، أو في قراءة القرآن فيتدبر الآيات والذكر والدعاء، ويستحضر أنه مناج لله ﷻ، ويظهر فقره إليه في عبادته، فيبكي وإن لم يستطع يتباكى، فكلما ذاق العبد حلاوة العبادة، يتحقق ما في القلب من خشية ومحبة لله، فيخشع القلب وتبكي العين وتخشع الجوارح، ومن مظاهر خشوع الجوارح في الصلاة: قبض اليد اليمنى على اليسرى، والنظر إلى موضع السجود، وعدم رفع البصر إلى السماء، وعدم الالتفات أو الحركة أو العبث بالملابس وتفقيع الأصابع، بل السكينة والطمأنينة والانكسار وحسن التأدب، والبكاء وإطالة السجود الناتج عن خشوع القلب، وفي ذلك كله أثر بالغ في تحقيق الإصلاح، وتغيير حال الإنسان ليصل إلى مرتبة العابد الربانيّ.

المطلب السادس: التوبة باب مفتوح

إن الإنسان ضعيف في نفسه وعزمه، ولا يستطيع أن يحتمل تبعة ذنوبه، فخفف الله على الإنسان رحمة به، فشرع التوبة، وجعل بابها مفتوحاً أمام العصاة، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)**[1]، فالله ﷻ كما جعل الوسائل للوقاية من الذنوب، جعل دواءً للعلاج منها ومحوها وهو التوبة، فمن أذنب وعصى فلا يعني ذلك هلاكه، بل عليه أن يعلم أن له رباً كما يعاقب بالذنب، فإنه يغفر ويقبل التوبة عن عباده، ويتجاوز عن السيئات، وحقيقة التوبة هي ترك الذنب لقبحه خوفاً من الله، ورجاءً لما أعده لعباده، فحاجتنا إلى التوبة ماسة وضرورية، فنحن نذنب ونقصر في حق الله، فنحتاج إلى ما ينقينا من الذنوب والمعاصي.

*** التوبة في ضوء سورة مريم:**

لقد جاءت سورة مريم ترسخ منهجية التوبة التي من شأنها أن تصلح من حالنا وتغيرها إلى الأفضل بإذن الله، فبعد أن ذكر الله ﷻ في سورة مريم من اختاروا طريق الشقاء، وانحرفوا

---

[1] صحيح مسلم-كتاب التوبة-باب قبول التوبة من الذنوب-٤/٢١١٣-رقم ٢٧٥٩.

عن نهج أسلافهم، وبيّن عاقبتهم، قال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم:٥٩] استثنى من هذا العذاب أهل التوبة والإنابة، فقال: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ [مريم:٦٠] فمن يرجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فإن الله يقبل توبته، ويرشده طريق الإيمان والصلاح الذي ينجيه من العذاب[١]، يقول سيد قطب: " ثم يفتح باب التوبة على مصراعيه تنسم منه نسمات الرحمة واللطف والنعمة: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ [مريم:٦٠]فالتوبة التي تنشئ الإيمان والعمل الصالح، فتحقق مدلولها الإيجابي الواضح، تنجي من ذلك المصير فلا يلقى أصحابها غَيًّا إنما يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا"[٢].

*** الإصلاح والتغيير في التوبة وآثارها:**

إن التوبة منهجية من منهجيات الإصلاح والتغيير، فهي تصلح شأن الإنسان، وتمحو الذنب الذي ارتكبه، وتبدّل سيئات صاحبها إلى حسنات؛ فكل ما يؤدي إلى الكف عن المعاصي، أو إلى فعل الخير فهو إصلاح، فالتوبة سبب الفلاح وطريق السعادة والصلاح. ولكي تتحقق التوبة النصوح لابد أن يجتمع فيها ثلاثة شروط : (الإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على أن لا يعود إليه)، وإن كان ذلك الذنب حق لآدميّ لزم استحلاله منه، والتوبة مشروطة بزمان هو قبل الغرغرة والاحتضار، وقبل طلوع الشمس من مغربها، فكل إسراع فيها هو إصلاح للنفس وسبب قويّ للقضاء على الشر.[٣] وللتوبة فضائل وبركات وآثار متعددة ومتنوعة منها:

– أن يعرف العبد سعة حلم الله وكرمه في ستره، وأنه لو شاء لعجل عقابه على الذنب، ولهتكه بين عباده، بل أظله بستره، وغشاه بحلمه، وأمده بالحول والقوة، والرزق والقوت.

– أن يعرف حقيقة نفسه، وأنها نفس أمارة بالسوء، وأن ما صدر منها من خطيئة وذنب وتقصير هو دليل على ضعف النفس، وأنه لا غنى بها عن الله ليزكيها ويهديها.

– شرع الله ﷻ التوبة ليستجلب بها أعظم أسباب سعادة العبد، وهو اللجوء إلى الله والاستعانة به، كما يستجلب بها أنواع الدعاء والتضرع والابتهال والمحبة والخوف والرجاء، فتقرب النفس من خالقها قربا خاصا.

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم– ابن كثير– ٢٤٦/٥.

[٢] في ظلال القرآن–٢٣١٤/٤.

[٣] انظر: معارج القبول بشرح سلم القبول– حافظ الحكمي–١٠٤٤/٣.

– أن يغفر الله له ما سلف من ذنبه، ويبدّل سيئاته حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠] .

– أن يعامل الإنسان بني جنسه –في إساءتهم إليه، وزلاتهم معه – بما يحبّ أن يعامله الله به في إساءته وزلاته وذنوبه، فإذا عامل الناس بهذه المعاملة الحسنة تعرض لمثلها من ربه ﷻ، وأنه ﷻ يقابل إساءته وذنوبه بإحسانه، كما كان هو يقابل إساءة الخلق إليه.

– أن يعلم أن نفسه كثيرة الزلات والعيوب، فيوجب له ذلك الإمساك عن عيوب الخلق، ويشتغل بإصلاح نفسه عن التفكر في عيوب الآخرين.[١]

المطلب السابع: وراثة الجنة بالتقوى

التقوى هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، والمتقون هم الذين اتخذوا وقاية من عذاب الله، بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وقد بين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، فالمتقون هم الذين يراهم الله حيث أمرهم ولا يقدمون على ما نهاهم عنه، وهم الذين يعترفون بالحق قبل أن يشهد عليهم ويعرفونه ويؤدونه، وينكرون الباطل ويجتنبونه، ويخافون الرب الجليل الذي لا تخفى عليه خافية، وهم الذين يعملون بكتاب الله فيحرمون ما حرمه ويحلون ما أحله، ولا يخونون في أمانة، ولا يرضون بالذل والاهانة، ولا يعقّون ولا يقطعون، ولا يؤذون جيرانهم ولا يضربون إخوانهم، يصلون من قطعهم، ويعطون من حرمهم، ويعفون عمن ظلمهم، الخير عندهم مأمول، والشر من جانبهم مأمون، لا يغتابون، ولا يكذبون، ولا ينافقون، ولا ينمّون، ولا يحسدون، ولا يراءون، ولا يرابون، ولا يقذفون، ولا يأمرون بمنكر، ولا ينهون عن معروف، بل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويراقبون الله في كل أقوالهم وأفعالهم، تلك صفات المتقين حقًا الذين يستحقون وراثة الجنّة، والناس متفاوتون في التقوى فكلما زادت طاعة الإنسان زادت تقواه.[٢]

*** وراثة الجنة بالتقوى في ضوء سورة مريم:**

الجنّة هي دار المتقين ومنازلهم، يرثوها بصالح أعمالهم، وينزلوها بفضل ربهم ورحمته، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣] أي: إن الجنة التي سبق

---

[١] انظر: الإسلام أصوله ومبادئه– محمد السحيم–١٥٦/٢.

[٢] انظر: شرح العقيدة الواسطية– ابن العثيمين–٢٣٢/١، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد– محمد الصالحي الشامي–٤٢١/١، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار–عبد العزيز السلمان–١٨٧/٢.

وصفها في الآيات التي سبقت هذه الآية يورثها الله لمن كان ذا اتقاء لعذابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، فهذه الآية فيها دلالة على أن الجنة يختص بدخولها من كان متقياً أي متصفاً بالتقوى، والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع، ولا تبطل برد ولا إسقاط.[١]

فمن شاء الوراثة الحقيقية –وراثة الجنة– فالطريق معروف (التقوى)، أما وراثة النسب فلا تجدي إن لم يكتنفها عملٌ صالح، فقد ورث قوم نسب أولئك الأنبياء الأتقياء من النبيين وممن هدى الله واجتبى، ولكنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فلم تنفعهم وراثة النسب، قال تعالى:﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم:٥٩][٢]، ويؤكد ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال:(**.. من بطّأ به عمله لم يُسرِع به نسبُه**)[٣] .

*** تحقيق الإصلاح والتغيير بالتقوى:**

إننا محتاجون للتقوى أشد من احتياجنا للماء والهواء، فكلنا لا محالة مسافرون عن هذه الدار، وكل مسافر يأخذ أهبته، ويسعى في تأمين راحلته، وسفرنا إلى دار الآخرة لا يحتاج إلا إلى زاد واحد، هو التقوى، قال تعالى: ﴿ **...وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة:١٩٧] وأنعم به من زاد، يكفل السعادة الأبدية، والطمأنينة الكاملة، والعيش الرغيد في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فلو تحلّى كل منّا بالتقوى لتغيرّ حالنا، وصَلُح أمرنا كله، وكنا يوم القيامة من النّاجين بوراثة الجنة.

المطلب الثامن: حاجة العابد للصبر على الطاعة

إن من أنواع الصبر أن يصبر العبد على الطاعة[٤]، وهذا منهج إصلاح للنفس، وارتقاء بها؛ لأن النفس قد تكون غير منقادة للطاعة، وقد تشق عليها بعض الطاعات، فيحملها على هذا بالصبر، فيتمّها ويتقنها ويجيدها ويستمر عليها، فالصبر على العبادة هو حبس النفس،

---

[١] انظر: جامع البيان– الطبري–٢٢٢/١٨، مفاتح الغيب–الرازي–٥٥٤/٢١، الفواتح الإلهية–النخجواني–٥٠٣/١، أنوار التنزيل وأسرار التأويل–البيضاوي–١٥/٤، إرشاد العقل السليم–أبو السعود–٢٧٣/٥.

[٢] انظر: في ظلال القرآن–سيد قطب–٢٣١٥/٤.

[٣] صحيح مسلم–كتاب الذكر والدعاء–باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن–٢٠٧٤/٤–رقم٢٦٩٩.

[٤] انظر: مدارج السالكين– ابن القيم الجوزية–١٥٦/٢.

ومنعها من التفلُّت من الطاعة التي فرضها الله ﷻ على عباده، وحملها عليها، والصبر على أدائها لثقلها، لا سيما عند تسلط الشيطان، وغلبة الهوى، وحب الركون إلى الراحة والخمول والكسل[1].

*** حاجة العابد للصبر على الطاعة في ضوء سورة مريم:**

قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ...﴾ [مريم:٦٥]

أي: الزم طاعته، واصبر صبراً عظيماً بغاية جهدك على كل ما ينبغي الاصطبار لأجل العبادة، واثبت لها ولا تهن ولا يضيق صدرك، فإنها لا تكون إلا عن مجاهدة شديدة، ففي الآية أمرٌ بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف، وقد تتضمن معنى الثبات لأن العبادة ذات تكاليف قلّ من يثبت لها، ويشير إلى ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ...﴾[طه:١٣٢]. [2]

يقول سيد قطب: " ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ اعبده واصطبر على تكاليف العبادة، وهي تكاليف الارتقاء إلى أفق المثول بين يدي المعبود، والثبات في هذا المرتقى العالي، اعبده واحشد نفسك وعبىء طاقتك للّقاء والتلقي في ذلك الأفق العلوي، إنها مشقة، مشقة التجمع والاحتشاد والتجرد من كل شاغل، ومن كل هاتف ومن كل التفات، وإنها مع المشقة للذة لا يعرفها إلا من ذاق، ولكنها لا تنال إلا بتلك المشقة، وإلا بالتجرد لها، والاستغراق فيها، والتحفز لها بكل جارحة وخالجة، فهي لا تفشي سرها ولا تمنح عطرها إلا لمن يتجرد لها، ويفتح منافذ حسه وقلبه جميعاً ... والعبادة في الإسلام ليست مجرد الشعائر، إنما هي كل نشاط، كل حركة، كل خالجة، كل نية، كل اتجاه، وإنها لمشقة أن يتجه الإنسان في هذا كله إلى الله وحده دون سواه، مشقة تحتاج إلى الاصطبار، ليتوجه القلب في كل نشاط من نشاط الأرض إلى السماء، خالصاً من أوشاب الأرض وأوهاق[3] الضرورات، وشهوات النفس، ومواضعات الحياة...إنه لمنهج يحتاج إلى الصبر والجهد والمعاناة "[4].

---

[1] انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول-عدد من المختصين بإشراف صالح بن حميد-٢٤٤٢/٦.

[2] انظر: جامع البيان-الطبري-٢٢٦/١٨، نظم الدرر-البقاعي-٢٣٢/١٢، مفاتح الغيب-الرازي-٥٥٥/٢١، الدرر المصون-السمين الحلبي-٦١٦/٧، التفسير القرآني للقرآن-الخطيب-٧٥٣/٨.

[3] الوهق هو حبل يلقى في عنق شخص يؤخذ به، وأصله للدواب، والجمع أوهاق، (انظر: المصباح المنير-الفيومي-٦٧٤/٢).

[4] في ظلال القرآن-٢٣١٥/٤.

*** الإصلاح والتغيير في الصبر على الطاعة والحاجة إليها:**

إن الصبر على الطاعة منهجية عظيمة من منهجيات الإصلاح والتغيير، حيث يقول أبو الحسن الماوردي: "الصبر على امتثال ما أمر الله ﷻ به، والانتهاء عما نهى الله عنه تخلص به الطاعة، وبخلوص الطاعة يصح الدين، وتؤدى الفروض، ويستحق الثواب ... ، وليس لمن قل صبره على طاعة حظ من بر، ولا نصيب من صلاح، ومن لم ير لنفسه صبراً يكسبها ثواباً ويدفع عنها عقاباً كان مع سوء الاختيار بعيداً من الرشاد، حقيقاً بالضلال ... وهذا النوع من الصبر إنما يكون لفرط الجزع، وشدة الخوف، فإن من خاف الله ﷻ صبر على طاعته، ومن جزع من عقابه وقف عند أوامره"[1].

حقاً إن العابد يحتاج إلى الصبر، فالمصلّي يحتاج إلى صبر؛ بالصبر عدم الوساوس وعدم السرحان، فالبعض يصلي ولكن قلبه ليس مصلياً، فعليه أن يحبس القلب، ويتدبر ما يقول ويتأمل فيه، وكذلك يصبر على الحركات البدنية من قيام وركوع وسجود، ويصبر على طول القيام، وأدائها في الحر والبرد الشديدن، والحاج يحتاج إلى صبر؛ فالإنسان في الحج يجد مشقة كبيرة في النفقة والسفر والزحام في الطواف والسعي ورمي الجمرات، فعليه بالصبر، والصائم بحاجة إلى صبر؛ حيث في أيام الصيف يكون النهار طويلاً والجوّ حاراً، والبدن يحتاج لرطوبة، ويتألم الإنسان، ولكن عليه أن يصبر ويحتسب ذلك عند الله، والزكاة قد تثقل على النفس بسبب البخل، وكذلك طاعة الوالدين قد يأمرا ابنهما بما لا يريد، وله فيه مصلحة، فعليه بطاعتهما والصبر على مخالفته لنفسه، فلابد من المثابرة في إنجاز العبادات كلها والصبر عليها، والمواظبة عليها، وعدم اليأس، لما في ذلك من إصلاح للنفس، وانتظار الفرج الموعود، والوصول للهدف المنشود، ورضا الله ﷻ.[2]

ويحتاج العابد إلى الصبر على الطاعة في ثلاث مراحل:

الأولى: قبل الشروع في الطاعة، وذلك بتصحيح النية والإخلاص، والصبر عن شوائب الرياء.

الثانية: الصبر حال القيام بالطاعة، وذلك بملازمة الصبر عن التقصير فيها، وملازمة استصحاب النية، وحضور القلب بين يدي المعبود.

الثالثة: الصبر بعد الفراغ من الطاعة، وذلك بالصبر عن الإتيان بما يبطلها، والصبر عن النظر إليها بعين العجب والتعظيم، والصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية.[3]

---

[1] أدب الدنيا والدين-١/٢٨٧.

[2] انظر: اللقاء الشهري- محمد العثيمين – ٣/٦٨، دروس مفرغة- الشبكة لإسلامية www.islamweb.net.

[3] انظر: مجلة البحوث العلمية-عدد٧٥- سنة١٤٢٦هـ، المكتبة الشاملة-مجلة البحوث الإسلامية-١٤١/٧٥.

المطلب التاسع: التلازم بين إضاعة الصلوات واتّباع الشهوات

هناك علاقة ترابطية بين إضاعة الصلوات واتّباع الشهوات، فمن أضاع الصلاة اتبع الشهوات، ومن أقام الصلاة ابتعد عن الشهوات، فبالصلاة يستقيم دين المسلم، وتصلح أعماله، ويعتدل سلوكه في شؤون دينه ودنياه، فعندما أمر الله بها بيّن الحكمة من إقامتها فقال: ﴿... **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ...﴾ [العنكبوت:٤٥] ، حيث إنها صلة وثيقة بين العبد وربه، فإذا حافظ عليها بأدائه الصلوات الخمس المفروضة، وما استطاع من النوافل؛ فإنها تقوي صلته بالله على الدوام، فيثيبه الله على ذلك كله، فيبعده عن الفحشاء والمنكر.[١]

*** التلازم بين إضاعة الصلوات واتباع الشهوات:**

لقد أخبر الله ﷻ في سورة مريم عن قومٍ أضاعوا الصلاة بعد أن كان آباؤهم مهديّين، متمسكين بها، محافظين عليها، قال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم:٥٩]أي: خلف من بعد الأنبياء الأنقياء الأصفياء قومٌ انحرفوا عن نهج أسلافهم؛ فأضاعوا الصلاة –الناهية عن الفحشاء والمنكر– بتركها، وإهمالها، والتقصير فيها، وعدم إقامتها كاملة الأركان والشروط، وانساقوا وراء الشهوات، وانغمسوا في مستنقعاتها، فاستباحوا المحرمات والمنكرات من شرب للخمر وربا وزنا وكل منكر مستقبح، فلهؤلاء الغيّ أي الخسارة والشر والضلال، وهو واد في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر.[٢]

فهذه الآية الكريمة فيها إشارة على أهمية الصلاة، ورفعٌ لقدرها، وكذلك لفت النظر إلى التلازم بين إضاعتها والانغماس في الشهوات، فاتباع الشهوات نتيجة لإهمالها؛ لأن الصلاة ميزان للعبد، وعصمة له من الفواحش، وسمو بروحه، وتهذيب لنفسه.[٣]

---

[١] انظر: خلق المسلم–محمد الغزالي–ص٩، أثر العبادات في حياة المسلم–عبد المحسن البدر–٢١/١.

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم–ابن كثير–٢٤٥/٥، جامع البيان–الطبري–٢١٥/١٨، التفسير الواضح–حجازي–٤٦١/٢، نظم الدرر–البقاعي–٢٢٤/١٢.

[٣] انظر: التفسير الحديث– دروزة عزت–١٦٧/٣، التفسير الموضوعي لسور القرآن–نخبة من علماء التفسير–٤٦٤/٤، موسوعة النابلسي للعلوم الإنسانية–التفسير المطول–محمد راتب النابلسي–الدرس(٦/٤) سورة مريم–بتاريخ ١٩٨٨/١/١–www.nabulsi.com .

وإن من إضاعة الصلاة عدم إتقانها وقد بيّن القرطبي بقوله: "أنه من لم يحافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها، ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع "[1]، فليست الصلاة في حقيقتها أقوالاً وأفعالاً تفتتح بالتكبير، وتختتم بالتسليم فحسب، بل هي إقبال على الله ﷻ واتصال به، واستمداد من كماله؛ لأن العبد إذا اتصل بالله مصدر الحق والخير والجمال، فلابد أن تنعكس هذه الصفات على القلب، فيفيض القلب بالخير، فيُحب العبد الحق، فينصره، ويبتعد عن كل دنية، فلا تجد مؤمناً يصلي صلاة صحيحة يؤذي الناس، أو يعتدي على حقوقهم وعلى أعراضهم، أو على أشخاصهم أو يسيء إليهم أو يفعل المنكرات والفواحش .[2]

*** الإصلاح والتغيير في الالتزام بالصلوات وترك الشهوات:**

حريٌّ بالعبد ألّا يفرط في الصلاة، بل عليه أن يحافظ عليها، ويحفظها عما يبطلها، أو ينقص من كمالها، فيؤديها بوقتها، وبغاية الخشوع والطمأنينة، ولا يتثاقل من أدائها في جماعة المسجد؛ حتى ينال الاستقامة على الدين وسعادة الدارين، فمن أراد إصلاح نفسه ومجتمعه عليه بالصلاة، ففيها يتحصن من الشهوات، ويحفظ مجتمعه من المحرمات والمنكرات، وينقّيه من الفساد، وإنّ على ولاة الأمر الذين يسعون لإقامة دولة الإسلام، وإصلاح الناس وتزكيتهم، وتغيير واقعهم، بأن يعتنوا عناية كبيرة في أمر الصلاة، فإنها من أعظم ما ينهى الناس عن المعاصي ويصلح المجتمعات، وأن يعلموا الناس كيفية الصلاة وما يتعلق بها من أحكام، وأن يجتهدوا في بناء المساجد.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن-١٢٣/١٦.

[2] انظر: موسوعة النابلسي للعلوم الإنسانية-التفسير المطول-محمد راتب النابلسي-الدرس(٦/٤) سورة مريم- بتاريخ ١٩٨٨/١/١-www.nabulsi.com

المبحث الثالث

منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: منهجية الولد الصالح

المطلب الثاني: التدرّج في ضرب الأمثال

المطلب الثالث: الصمت أبلغ رد على السفهاء

المطلب الرابع: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل

المطلب السادس: سنّة الاستدراج والإمهال

المطلب السابع: سنّة الثبات وزيادة الهدى

المطلب الثامن: محبة الله تعالى لأوليائه

المطلب التاسع: العبرة في فناء ومصرع الأمم السابقة

بين يدي المبحث:

لقد جاء الإسلام يعتمد في إصلاحه العام على تربية النفس وتهذيبها وتطهيرها، حيث قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾[الشمس:٩-١٠] ، وقد ركز القرآن الكريم على ذلك، واستخدم أساليب متنوعة ومتعددة، يخاطب أعماق الفطرة، ويحرك القلوب الحية، والعقول النيّرة؛ لأن الإصلاح التربوي للنفس هو الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة، فإذا لم تصلح النفوس أظلمت الآفاق، وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ **... إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** ﴾ [الرعد:١١].[١]

إن الإصلاح التربوي هو الأساس لكل إصلاح، تنطلق منه جميع مجالات الإصلاح، وبمقدار ما يتم التغيير والإصلاح في الإنسان الفرد، في ذاته ونفسه، وأفكاره وقيمه، وسلوكه ومنهاج عمله، تتم عملية التغيير في المجتمع كله، وتتقدم عملية الإصلاح، والمسلمون اليوم في أمسّ الحاجة إلى الإصلاح التربوي، الذي يصحح لهم المسار، ويمحو عنهم العار، فواجب الدعاة أن يمتثلوا منهج القرآن الكريم في تربية الأمة المسلمة من جديد، لتحاكي المجتمع الأول الذي ربّاه القرآن على يد أعظم مربٍّ عرفته الدنيا محمد ﷺ فكان مجتمعاً فريداً في كل شيء.

المطلب الأول: منهجية الولد الصالح

لقد جبلت النفوس على حب الأولاد، فهم قرة العيون، وثمرات الفؤاد، وزينة الحياة، "والولد رغبة تهفو إليها نفوس الآباء والأمهات، لا فرق فيها بين إنسان وإنسان، حيث يجد المرء في الولد امتداداً لحياته، وروحاً لروحه، وأنساً لقلبه"[٢] ، والولد الصالح هو خير تراث، وخير ميراث، يخلفه الأب من بعد وفاته؛ حيث يبقى ذكرى حسنة لأبيه، ودعاءً صالحاً له، وخيراً دارّاً عليه وهو في قبره، فالله ﷻ يرزق آباء الأولاد الصالحين الخير في الدار الآخرة ببركة دعائهم وتصدقهم عنهم، يقول النبي ﷺ فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)**[٣] .

---

[١] انظر: خلق المسلم-محمد الغزالي-ص٢٢.

[٢] التفسير القرآني للقرآن-الخطيب-٨/٧٢٤.

[٣] صحيح مسلم- كتاب الهبات-باب ما يلحق بالإنسان بعد وفاته-٣/١٢٥٥- رقم١٦٣١.

*** منهجية الولد الصالح في ضوء سورة مريم:**

لقد تحدث القرآن الكريم عن صلاح الذرية وإصلاحها، ودلّت الآيات في سورة مريم على هذه المنهجية الإصلاحية، حيث دعا زكريا عليه السلام ربه أن يرزقه ولداً صالحاً، مثلما رزق مريم وتفضل عليها، وهو على يقين بأن ربه سميع لكل قول، مجيب لكل دعاء، قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ [مريم:٥-٦] في هذه الآيات يدعو زكريا عليه السلام ربه أن يهبه من لدنه من يلي أمره، ويسير على نهجه، من علم وهدى وصلاح، ودعوة إلى الله وقيام بالدين، ويخبر عن سبب طلبه الولد أنه تقدم به العمر، وهو خائف أن يموت دون وارث له، يرث عنه النبوة والصلاح، فقصده مصلحة الدين والخوف من ضياعه.[١]

وقد دلّت هذه الآيات على مشروعية طلب الولد، التي هي من صفات عباد الرحمن أن يسألوا الله الولد الصالح، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان:٧٤] ، ودلّ قول زكريا عليه السلام (واجعله رب رضيا) على أن الواجب على الإنسان أن يتضرع إلى خالقه في هداية أولاده، وطلب التوفيق لهم والصلاح، وأن يكونوا معينين له على دينه ودنياه، إنها رغبة واستهداء به للتربية والتنشأة الصالحة، ليكونوا بناة ورعاة للمجتمع الصالح.[٢]

*** الإصلاح والتغيير في منهجية الولد الصالح:**

إن صلاح الولد هو هبة من الله، والإنسان مكلف بالرعاية والتأديب والتربية والتنشأة الصالحة، فالولد إما أن يكون نعمة إن كان صالحاً، وإما أن يكون نقمة إن فسد وانحرف، ومسؤولية تربية النشئ تقع على الجميع من أسرة ومدرسة ومسجد ومناهج تعليم وإعلام إلى غير ذلك، ولكن المسؤولية الأولى على ربّ الأسرة، فالوالد هو المسؤول والمعني بتربيتهم وتوجيههم ليكونوا صالحين، ويشقوا طريقهم في الحياة، وينهضوا بمسؤوليتهم الفردية والاجتماعية، والدينية والدعوية، بما يسعدهم في الدارين، يقول الغزالي: " والصبيّ أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقشٍ وصورة، وهو قابل لكلّ ما نُقش، ومائل إلى كلّ ما يُمال به إليه، فإن عوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه

---

[١] انظر: تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٤٨٩/١، أضواء البيان- الشنقيطي-٣٦١/٣، الخواطر-الشعراوي-٩٠٣٠/١٥.

[٢] انظر: التفسير المنير- الزحيلي-٢٢٠/٣.

وكلٌّ معلم له ومؤدّب، وإن عُوّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شَقِي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له"[1] .

إذاً الولد الصالح لا يكون بالتمني، بل المسؤولية عظيمة إنها التربية الصالحة، بالقدوة الحسنة، والكلمة الهادفة، والنصيحة الموجهة، والمتابعة مع الرفق واللين، والأخذ بهم إلى الخير والطاعة والبر، وتعليمهم الإيمان والصلاة ومكارم الأخلاق، وأول ما يبدأ به حق الله ثم حقوق العباد، والأب الصالح الذي يترجم بالقدوة والعمل معاني الصلاح، فينظر الولد إليه، فإذا رآه مبكرا للصلاة مثلاً بكّر، حتى إذا غيّب القبر الأب، تذكره ابنه عند كل صلاة فترحم عليه، فبذلك يخطّ لولده صراطاً مستقيماً، وسبيلاً قويماً، يهتدي به ولده وولد ولده من بعده، وبذلك تسمو الأمة، وترتقي للمعالي، ويتحقق مقصود الإصلاح والتغيير في الفرد والأسرة والمجتمع.[2]

المطلب الثاني: التدرج في ضرب الأمثال

إن من الأساليب القرآنية التي تعمل على تربية النفس هو ضرب المثل، فالله ﷻ استخدم ضرب المثل في القرآن الكريم؛ لأن ضرب المثل جُعل لكشف المعنى وتوضيحه بما هو معروف مشاهد، وإبرازاً للمعاني المقصودة في قالب الأشياء المحسوسة، لتأنس بها النفوس، وتتكشف أمامها الغوامض، وتزول الأوهام عن معارضة العقل، وإقناعاً للناس، والله الحكيم يفعل ما يحقق المصلحة بضرب المثل في العظائم والمحقرات حسب الأحوال والمناسبات[3]، يقول الشوكاني: "وفي ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهيم وتصوير للمعاني"[4].

"والأمثال كثيرة في القرآن، وهي تلعب دوراً هاماً وبالغاً، في التأثير في العواطف، وفي التأثير في السلوك الإنساني، وفي غرس القيم الإسلامية في نفس المسلم، فيما لو استعملت بحكمة وفي الظروف المناسبة، لذلك أبرزها القرآن، واهتم بضرب الأمثال، قال تعالى: ﴿...وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١] ".[5]

---

[1] إحياء علوم الدين –٣/٧٢.

[2] انظر: شرح زاد المستنقع – الشنقيطي–١٢/٢٣٣، دروس صوتية مفرغة من الشبكة لإسلامية www.islamweb.net.

[3] انظر: التفسير المنير–الزحيلي–١/١١١.

[4] فتح القدير–٣/١٢٨.

[5] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول–عدد من المختصين بإشراف صالح بن حميد–١/١٤١.

*** الإصلاح والتغيير من خلال التدرج في ضرب المثل في ضوء سورة مريم:**

لقد استخدم القرآن الكريم ضرب المثل للدلالة على كمال قدرة الله وقد تدرج في ذلك، فبعد أن ذكر الله تعالى قصة زكريا ومولد يحيى، وهي من الآيات العجيبة، حيث خلق الولد من أبوين، ثم انتقل منها تدريجاً من الأدنى إلى الأعلى، فذكر خلق الولد من أم بلا أب أي عيسى من مريم[١]، قال المراغي: " بدأ بقصة يحيى لأن خلق الولد من شخصين فانيين أقرب إلى مناهج العادات من خلق الولد بلا أب، ثم ثنّى بقصة عيسى لأنها أغرب من تلك، ومن حسن طرق التعليم والتفهيم التدرج بالانتقال من الأقرب مثالاً إلى الأصعب منه، وهكذا صعدا"[٢].

فسورة مريم ترسخ منهجية التدرج في ضرب المثل عملاً بمبدأ الانتقال في التربية والبيان والتعليم من الأسهل إلى الأصعب، فلأن خلق الولد من الأبوين أقرب للعادة والتصديق من خلق الولد بلا أب[٣]، مع العلم أن قصة مريم في الواقع كانت قبل قصة زكريا ويحيىعليهما السلام؛ لأن طلب زكريا للولد كان نتيجة لما رأى وسمع عن هذه الحادثة، إلا أن الله قدم قصة زكريا ويحيىعليهما السلام ليتدرج في ضرب المثل[٤].

إن أسلوب ضرب المثل والتدرج فيه هو تربية على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، لذا فهي منهجية إصلاحية لابد للدعاة والمصلحين والمعلمين أن يستعينوا بها في تربيتهم للنشء، لما فيها من تغيير وإصلاح للنفس في هذا الواقع الذي غفل فيه الناس، يقول السيوطي نقلاً عن الماوردي: "من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات"[٥].

المطلب الثالث: الصمت أبلغ رد على السفهاء

إن الصمت لمصلحة أو لدفع مضرة عبادة، فقد أوصى به المصطفى ﷺ حيث قال: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)**[٦]، والصمت حكمة، حيث " قال

---

[١] انظر: إرشاد العقل السليم-أبي السعود-٢٥٩/٥، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٤٩١/١.

[٢] تفسير المراغي- ٤١/١٦.

[٣] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-٦٨/١٦.

[٤] انظر: الخواطر-الشعراوي-٩٠٤٧/١٥.

[٥] الإتقان في علوم القرآن-٤٤/٤.

[٦] صحيح مسلم-كتاب الإيمان- باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير-٦٨/١- رقم٤٧.

بعض الحكماء: (الزم الصمت تعدُّ حكيماً)"[1]، ومن الأسباب الداعية للصمت: أن يكون هناك ضرر من الكلام، كأن تخاطب إنساناً سفيهاً عنده إسراع إلى الاعتداء، فلو خاطبته يزيد من شره، فترى أن الصمت أجود، وأن فيه دفع للضرر، قال الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخيرٌ من إجابته السكوت[2]

فالصمت حين يعتقد الإنسان أن مصلحة الصمت أولى من الكلام، وكذلك في حال وجود من هو أجدر وأقوى منه في الكلام، فقد يكون في مجلس من المجالس يستدعي الكلام، فيكتفي الإنسان بغيره ممن هو أجدر وأقدر وأبلغ في الحديث، وقد يوجد قول لا يحتاج إلى ردّ، فردّه السكوت والإعراض، وقد قيل: رُبَّ صمتٍ أبلغ من كلام، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:٦٣] .

*** منهجية الصمت رداً على السفهاء في ضوء سورة مريم:**

إن المتأمل في سورة مريم يجد أنها ترسخ هذه المنهجية التربوية، قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنْسِيًّا ۞ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:٢٦-٣٠] ، فبعد أن وضعت مريم ولدها عيسى عليه السلام، جاءت إلى قومها بولدها، وهي تعرف موقف قومها الذين يقابلون الآيات بالإنكار والتشكيك، حيث قالوا لها: (لقد جئت شيئاً فرياً) أي فظيعاً منكراً، فالتزمت الصمت رداً على سفاهتهم، وتركت ما هو أبلغ للرد، حيث نطق عيسى عليه السلام وهو في المهد لإزالة التهمة عن أمّه[3]، " أُمرت بالصوم عن الكلام لأمرين: أحدهما: أن كلام عيسى عليه السلام وهو في المهد أقوى وأبلغ في إزالة التهمة عنها، وفيه أن تفويض الأمر إلى الأفضل أولى، والثاني: أن السكوت عن جدال السفهاء أصون للعرض وأنسب لحيائها"[4].

---

[1] أدب الدنيا والدين–الماوردي–٢٧٥/١.

[2] زهر الأكم في الأمثال والحكم–نور الدين اليوسي–٣٣٣/١.

[3] انظر: نظم الدرر–البقاعي–١٩٢/١٢، الخواطر–الشعراوي–٩٠٧٤/١٥، التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٤٣٦/٤.

[4] التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٤٣٥/٤.

إن التزام مريم بالصمت، حتى تفسح المجال لمن هو أفضل منها وأبلغ منها ليثبت طهارتها، في الوقت الذي بلغ قومها من السفاهة مبلغاً عظيماً برميها وهي بريئة، فيه دلالة واضحة على أهمية الإعراض عن السفهاء، وعدم مجاراتهم في سفههم، وعدم مجادلتهم، وفي ذلك ترسيخٌ لمنهجية الصمت في الرد على السفهاء، وأن السكوت عن السفيه واجب، وهذه منهجية تربوية من شأنها أن تربي النفس على المجاهدة وعدم الغضب وردة الفعل، والبقاء على مناجاة الخالق ﷻ، وباتباع هذه المنهجية يتحقق الإصلاح والتغيير في الفرد والمجتمع بإذن الله ﷻ.[1]

المطلب الرابع: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

إن الله كريم شكور، ومن فضله على عباده أن يجازي الإنسان بالحسنة خيراً منها تفضلاً وتكرماً، فلا يضيع أجر من أحسن عملاً، ومن ترك شيئاً امتثالاً لأمره عوضه خيراً منه، ومن تقرب إليه شبراً تقرب إليه ذراعاً[2]، فلما ترك الصحابة ﷺ مساكنهم وأموالهم وهاجروا إلى المدينة امتثالاً لأمر الله، عوّضهم الله بما هو خير لهم، فمكّن لهم في البلاد، وصاروا أمراءً وحكاماً، وسادة العباد والبلاد[3].

*** منهجية "من ترك شيئاً لله عوضه الله خيرا منه" في ضوء سورة مريم:**

لقد جاءت سورة مريم بنموذج من النماذج التي يحتذى بها في الامتثال لأمر الله، وترك ما يخالف شرعه، حتى وإن كان عزيزاً على النفس، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يعتزل أباه وقومه، ويعلن البراءة منهم بعد إصرارهم على الشرك وعبادة الأوثان، وبعد أن دعاهم بشتى الوسائل، فما كان منه إلا أن ينتصر للحق على حساب العاطفة، ويترك أهله وهو من الأمور الشاقة على النفس، فيعتزل الشر وأهله امتثالاً لأمر الله، فيعوضه الله عن أهله وعشيرته ذرية طيبة، ويجعل النبوة فيهم، ويهب له من رحمته، من علوم نافعة، وأعمال صالحة، وذرية طيبة، وسعة رزق.[4]

---

[1] انظر: مفاتح الغيب–الرازي–٥٢٩/٢١، تفسير المراغي–المراغي–٤٥/١٦، التفسير المنير–الزحيلي–٧٩/١٦، التفسير الموضوعي لسور القرآن– نخبة من علماء التفسير–٤٤٥/٤.

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن–السعدي–٧٦/١.

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم–ابن كثير–٥٧٢/٤، التفسير المنير–الزحيلي–١٤١/١٤.

[4] انظر: جامع البيان–الطبري–٢٠٨/١٨، تيسير الكريم الرحمن–السعدي–٤٩٤/١، السراج المنير–شمس الدين الشافعي–٤٣١/٢، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد–صالح الفوزان–٧٨/١.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۞ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم:٤٩-٥٠]، يقول الرازي: "اعلم أنه ما خسر على الله أحد، فإن إبراهيم عليه السلام لما اعتزلهم في دينهم وفي بلدهم، واختار الهجرة إلى ربه، إلى حيث أمره لم يضره ذلك دينا ودنيا، بل نفعه فعوضه أولاداً أنبياء، ولا حالة في الدين والدنيا للبشر أرفع من أن يجعل الله ﷻ رسولا إلى خلقه، ويلزم الخلق طاعته والانقياد له، مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة في الآخرة، فذلك من أعظم النعم في الدنيا والآخرة، ثم بين ﷻ أنه مع ذلك وهب لهم من رحمته أي وهب لهم من النبوة ما وهب، ويدخل فيه المال والجاه والأتباع والنسل الطاهر والذرية الطيبة، ثم قال: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ ولسان الصدق الثناء الحسن، وعَبَّرَ باللسان عما يوجد باللسان، كما عبر باليد عما يعطى باليد وهو العطية، واستجاب الله دعوته"[1].

*** نماذج أخرى ذكرها القرآن الكريم ترسخ هذه المنهجية:**

– يوسف عليه السلام لما ملك نفسه من الوقوع مع امرأة العزيز، مع ما كانت به من الحظوة وقوة النفوذ في قصر العزيز ورياسته، وصبره على السجن، وطلبه ليبعده عن دائرة الفساد والفتنة، عوضه الله ﷻ أن مكّن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، ويستمتع بما شاء مما أحل الله له من الأموال والنساء والسلطان.

– أهل الكهف لما اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله، نشر لهم من رحمته وهيأ لهم أسباب المرافق والراحة وجعلهم سبباً لهداية الضالين.

– مريم ابنة عمران لما أحصنت فرجها، أكرمها الله ونفخ فيه من روحه وجعلها وابنها آية.

– وسليمان عليه السلام لما ألهته الخيل عن ذكر ربه فأتلفها، عوضه الله الريح تجري بأمره.

– ومن ترك ما تهواه نفسه من الشهوات لله ﷻ، عوضه الله من محبته وعبادته والإنابة إليه ما يفوق لذات الدنيا كلها.[2]

---

[1] مفاتح الغيب–٢١/٥٤٨.

[2] انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن– عبد الرحمن آل سعدي–١/١٦٤.

*** الإصلاح والتغيير في منهجية "من ترك شيئاً لله عوضه الله خيرا منه":**

إن على العبد أن يربّي نفسه على ترك كلّ ما يخالف شرع الله امتثالاً له، لما في ذلك من صلاح له ولمجتمعه، حتى وإن كان الأمر عزيزاً وصعباً على النفس، فإن الله سيعوضه بأفضل منه، فالشهوات مثلاً لها سلطانٌ على النفوس، وتركها عزيز وعسير، ولكن من اتقى الله كفاه، وعوّضه خيراً، بالأنس به ﷻ ومحبته، وطمأنينة القلب بذكره، وما يلقاه العبد من سعادة في الدنيا والآخرة، فمن ترك متاع الدنيا، جعل الله غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، لذلك حريٌ بنا أن نتبع هذه المنهجية القرآنية الإصلاحية التربوية، ونقتدي بالأنبياء الكرام، والنماذج الرائعة التي ذكرها القرآن الكريم، لما فيها من صلاح لنا جميعاً، ورفعة ورقيّ في الدنيا، وجنّة بإذن الله في الآخرة.

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل

إن من سنن الله الثابتة في هذا الكون، أن جعل الجزاء من جنس العمل، فجزاء العامل من جنس عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، قال تعالى: ﴿**جَزَاءً وِفَاقًا**﴾ [النَّبأ:٢٦]، وقال أيضاً: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ**﴾ [الرَّحمن:٦٠] هذه الآية أصل في أن الجزاء من جنس العمل، وأن المحسن يجازى بالإحسان، والمسيء يجازى بإساءته، وفي هذا تربية للنفس على فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، فالعلم بهذه القاعدة يدفع للأعمال الصالحة، وللصبر والثبات على الطاعة، ثقة بوعد الله، وكذلك ينهى عن المنكرات، ويزجر الظالمين لأنفسهم وغيرهم.

يقول ابن القيم: " الجزاءُ مماثلاً للعمل من جنسه في الخير والشر، فمن ستر مسلماً ستره الله، ومن يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن أقال نادماً أقاله الله عثرته يوم القيامة، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن ضارّ مسلماً ضارّ الله به، ومن شاقّ شاقّ الله عليه، ومن خذل مسلماً في موضع يجب نصرته فيه خذله الله في موضع يجب نصرته فيه، ومن سمح سمح الله له، والراحمون يرحمهم الرحمن، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ومن أنفق أنفق عليه، ومن أوعى أوعى عليه، ومن عفا عن حقه عفا الله عن حقه، ومن تجاوز تجاوز الله عنه، ومن استقصى استقصى الله عليه"[١].

---

[١] إعلام الموقعين – ١/١٥٠.

*** منهجية الجزاء من جنس العمل في ضوء سورة مريم:**

تتمثل هذه المنهجية الإصلاحية في سورة مريم من خلال:

- قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩] ، إن جزاء خلف السوء الغيّ، أي الهلاك والضلال في جهنم، وهذا جزاؤهم من جنس عملهم، وهو وادٍ في جهنم أعده الله لتارك الصلاة، والزاني المصر عليه، وشارب الخمر المدمن، وآكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، وشاهد الزور.[١]

قال ابن تيمية: " فالحسنات والسيئات في كتاب الله، يراد بها أعمال الخير وأعمال الشر، كما يراد بها النعم والمصائب، والجزاء من جنس العمل، فمن عمل خيرا وحسنات، لقي خيرا وحسنات، ومن عمل شرا وسيئات، لقي شرا وسيئات، كذلك من عمل غيّاً لقي غيّاً، وترك الصلاة واتباع الشهوات غيّ، يلقى صاحبه غيا، فلهذا قال الزمخشري: كل شر عند العرب غيّ وكل خير رشاد" [٢].

- قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۞ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[مريم:٨١-٨٢] ، هذه الآية فيها تربية على أن الجزاء يوم القيامة من جنس العمل في الدنيا، فالكافرون اتخذوا من دون الله الأصنام معبوداً لهم، كي تشفع لهم عند الله، أو تقربهم إليه، فيكونون في عزة من أمرهم، ولكن يوم القيامة تحصل البراءة بين الكافرين وأصنامهم، ويكفر هؤلاء الأصنام بمن عبدهم من دون الله، ويكونون ذلاً عليهم وأعداءً.[٣]

*** الإصلاح والتغيير في منهجية الجزاء من جنس العمل:**

الجزاء من جنس العمل هي سنة كونية، والعاقل اللبيب من يساير سنن الله، ولا يصادمها، فإن معرفة العبد أن الله يجازيه حسب عمله، وأنه بمخالفته أوامره ينال غضب الرب، فيجزايه عذاباً وفق مخالفته وعصيانه، فإن ذلك باعثاً له على الامتثال لأوامر الله، وترك كل ما يغضبه، والعزم على أن يصلح من شأنه حتى يُجازى بالإحسان إحساناً، فمن يضع هذه المنهجية الإصلاحية نصب عينيه، ويربّي نفسه وغيره عليها، فإنها ستزجره عن كثيرٍ من شرور نفسه، وسيئات أعماله.

---

[١] انظر: التفسير الواضح-حجازي-٤٦٢/٢، التفسير المنير-الزحيلي-١٣٥/١٦.

[٢] مجموع الفتاوى-٥٧٠/١٠.

[٣] انظر: التفسير التربوي- (الموقع الالكتروني للدكتور كمال المويل www.almowil.com).

المطلب السادس: سنة الاستدراج والإمهال

لقد جرت سنة الله ﷻ أن يمهل من كان في الضلالة، ويستدرجه ليزداد إثماً، ثمّ يأخذه أخذ عزيز مقتدر، **والاستدراج:** هو الأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة، واستدراج الله ﷻ لأهل الغواية يعني أنه كلما جدّدوا لله معصية جدّد لهم نعمة حتى يأخذهم بذنوبهم وهم لا يشعرون، **والإمهال:** هو التأخير وإطالة المدة، وانتظار العذاب، فهو واقع بهم لا محالة[١]، "فمن كان والغاً في الضلالة، متأصلاً في الكفر، يتركه الله في طغيان جهله وكفره، حتى يطول اغتراره، فيكون ذلك أشد لعقابه، فليعش ما شاء، وليوسع لنفسه في العمر، فمصيره إلى الموت والعقاب"[٢].

*** سنّة الاستدراج والإمهال في ضوء سورة مريم:**

قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا**﴾ [مريم:٧٥] تبين هذه الآية الكريمة أن من كان متمادياً في غيّه، غارقاً في ضلاله، حائداً عن طريق الحق، سالكاً غير سبيل الهدى، أبقاه الله على ضلاله، بل زاده ضلالاً، وأمدّ له في العطاء، بالبسط في الآثار، والسعة في الديار، والطول في الأعمار، استدراجاً له، حتى يأتيه عذاب عاجل، أو يلقى ربه فينكشف الغطاء، ويحلّ به العذاب، ويعلم عندئذ مهانته وهوانه، وحينها لا ينفع العلم، فالذي كانوا يفتخرون به من زخرف الدنيا وزينتها، لا يدل على حسن الحال في الآخرة.[٣]

*** نموذج إمهال من اغتر وكفر، وجزاؤه من جنس عمله:**

قال تعالى:﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا۞أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۞كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۞ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا**﴾ [مريم:٧٧-٨٠] يورد الله ﷻ في هذه الآيات مثالاً لمن اغتر بنعم الله عليه وإمهاله، وكذلك بيان لجزائه الذي من جنس عمله، وقد ذكر العلماء سبب نزول هذه الآية، فعن خباب[٤] رضي الله عنه، قال:

---

[١] انظر: أيسر التفاسير-الجزائري-٢٦٧/٢، لباب التأويل-الخازن-٢٧٧/٢.

[٢] التفسير المنير- الزحيلي-١٥٤/١٦.

[٣] انظر: جامع البيان-الطبري-٢٤٤/١٨، نظم الدرر-البقاعي-٢٣٩/١٢، التفسير الموضوعي لسور القرآن- نخبة من علماء التفسير-٤٧١/٤.

[٤] هو خباب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد التميمي، صحابي من السابقين، وهو من أوائل من أظهر إسلامه، صبر على استضعاف الكفار له إلى أن كانت الهجرة، وشهد المشاهد كلها، مات وهو ابن ٧٣ سنة. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة- ابن حجر- ٢٢٢/٢، الأعلام-الزركلي-٣٠١/٢).

جئت العاص بن وائل السهمي[1] أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: «لا حتى تموت ثم تبعث»، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه، فنزلت هذه الآية.[2]

والآية تبين أنه اغتر وعجب بنفسه مع سوء عمله وفساد معتقده، ثم يطمع بالمزيد، فيقول مقولته وهو مغرور ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ، وكيف له معرفة ذلك؟، وهو لا علم له بالغيب، وليس معه عهد مع الله، وكيف يدعي دخول الجنة؟، فيتوعده الله بأن سيحفظ عليه قوله، ويجازيه به في الآخرة عذاباً مديداً مضاعفاً، مكان ما يطلبه من المدد بالمال والولد جزاء عمله، ويجرد من ماله ويخرج من دنياه صفر اليدين جزاء ما يقول، ويعود منفرداً منعزلاً لا قدرة له على مال ولا ولد[3]، ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي "باستدراجه بأسبابه من كثرة النعم من الأموال والأولاد المحببة له في الدنيا، المعذبة له فيها، بالكدح في جمعها والمخاصمة عليها، الموجبة له التمادي في الكفر الموجب لعذاب الآخرة"[4].

*** الإصلاح والتغيير في سنة الاستدراج والإمهال:**

إنها سنة الله ﷻ، بأنّ من كانوا منهمكين في الضلالة، مطلقين لأنفسهم العنان في سلوك المعاصي والآثام، يبسط لهم نعيم الدنيا، ويمتعهم بأنواع اللذات، بل ويزيدهم من نعم الدنيا وملذات الحياة، إمعاناً في إبقائهم على سوء حالهم، الذي اتخذوه منهجاً لهم، ولا يزال يمهلهم استدراجاً لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران:١٧٨] [5]، ألا تكون هذه السنة الكونية منهجية من شأنها أن تغيّر وتصلح من حال كل إنسان يوقن بها، فتزجره عن فعل المعاصي والمنكرات، وعن الإيغال والتمادي فيها، فيكف نفسه الأمارة بالسوء، ويضبطها بميزان الشرع حتى ينجو من عذاب الدنيا والآخرة، ويفوز بسعادة الدارين بإذن الله.

---

[1] أحد الحكام في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وظلّ على الشرك، ويعد من المستهزئين، ومن الزنادقة الذين ماتوا كفاراً وثنيين، وهو والد (عمرو بن العاص)، (انظر: الأعلام-الزركلي- ٢٤٧/٣).

[2] صحيح البخاري- كتاب التفسير-باب قوله تعالى:(أفرأيت الذي كفر بآياتنا)-٩٤/٦-رقم٤٧٣٢.

[3] انظر: التفسير الواضح- حجازي-٤٦٩/٢، التفسير الموضوعي لسور القرآن- نخبة من علماء التفسير- ٤٧٣/٤.

[4] نظم الدرر- البقاعي-٢٤٣/١٢.

[5] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-١٥٢/١٦، تفسير المراغي- المراغي-٧٨/١٦.

المطلب السابع: سنة الثبات وزيادة الهدى

كما أن الله ﷻ يمدّ الظالمين في ضلالهم، فإنّه يثبت المؤمنين على الهدى، هؤلاء الذين اهتدوا سبيل الرشاد، وآمنوا بربهم وصدّقوا بآياته، فيزيدهم في النصرة والتأييد، وينزل من الآيات ما يكون سبب زيادة اليقين مجازاة لهم، قال تعالى: ﴿**وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا**﴾[مريم:٧٦]، فمقابل المدّ لأهل الضلال وإمهالهم، يزيد الله المهتدين هداية، فيزدادوا هداية وثباتاً، ويمضون في طريقهم قدماً نحو المعالي، والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح، فكل من سلك طريقاً في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه، وسهل عليه، ويسر له، ووهب له أموراً أخر، لا تدخل تحت كسبه، والباقيات الصالحات أي من الأعمال والطاعات التي تُشرح لها الصدور، فتُنار بها القلوب، وتُسلِم من إحباط الذنوب، فتُوصِل إلى علّام الغيوب.[١]

حقاً إنها منهجية إصلاح وتغيير لمن ربّى نفسه عليها، وهدفه أن يرضى الله عنه، فسلك طريق الهدى والرشاد، بصدق وإخلاص، راجياً جنة ربه، فما علينا إلا أن نسير طريق الحق، والله يثبتنا ويزيدنا من فضله، فمن كان في الهداية يزيد الله في هدايته، ويجمع له خيري السعادتين.

المطلب الثامن: محبة الله تعالى لأوليائه

إن محبة الله لعباده المؤمنين ثابتة في كتاب الله وسنته، فعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: **(إن الله إذا أحبّ عبداً دعا جبريل فقال: إنّي أحبّ فلاناً فأحبّه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض ...)**[٢] فمن علامات محبة الله لعبده أن يضع له القبول في قلوب عباده، وينعم عليه بالمغفرة، ويقبل توبته، ويتولاه بالنصر والتأييد والتوفيق لما يحبه ويرضاه، ويحفظ جوارحه وأعضاءه حتى يقلع عن الشهوات، ويستغرق في الطاعات، يقول الغزالي: "وأما الفعل الدال على كونه محبوباً، فهو أن يتولى الله ﷻ أمره ظاهره وباطنه سره وجهره، فيكون هو

---

[١] انظر: جامع البيان- الطبري-٢٤٤/١٨، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٤٩٩/١، نظم الدرر- البقاعي- ٢٣٩/١٢، التفسير المنير- الزحيلي-١٥٤/١٦.

[٢] صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب-باب إذا أحب الله عبداً حببه لعباده-٢٠٣٠/٤ -رقم٢٦٣٧.

المشير عليه، والمدبر لأمره، والمزين لأخلاقه، والمستعمل لجوارحه، والمسدد لظاهره وباطنه، والجاعل همومه هماً واحداً، والمبغض للدنيا في قلبه، والموحش له من غيره، والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته"[1].

*** محبة الله لأوليائه في ضوء سورة مريم:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦] يبين الله ﷻ في هذه الآية أن الذين آمنوا وصدّقوا بما جاءهم من عند ربهم، فعملوا به، وداوموا على الصالحات من المفروضات والتطوعات، وفعلوا ما يرضي الله، سيحبهم الله، ويجعل لهم وداً ومحبة في صدور عباده المؤمنين، وإذا كان لهم في القلوب ودّ تيسر لهم كثير من أمورهم، وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل.[2]

يقول د.النابلسي: "المودة مطلقة، إما أنها بينك وبين الناس، وإما بينك وبين الله، فالله يجعل قلوب الناس تهفو إليك، يحبونك ويعجبون لهذه المحبة، لأن الله ﷻ تجلى عليك، فجعل القلوب تهفو إليك، أنت كمؤمن هكذا يحبك الناس، ومن علامات صدق إيمانك محبة الناس لك... والمعنى الثاني فالمودة بينك وبين الله أن الذي ترغبه وتحبه فإن الله سيؤتيك إياه، والمعنى الثالث أنك إذا كنت في طاعة الله، وعبدته حق العبادة، يدنيك منه، إنك إذاً في مقعد صدق عند مليك مقتدر"[3].

*** الإصلاح والتغيير في محبة الله لأوليائه:**

إن من أراد أن يكون حبيباً لله، عليه أن يسعى لذلك بأن يصلح من نفسه، وإن من أهم أسباب جلب محبة الله للعبد هي المداومة على العمل الصالح من فرائض ونوافل، فعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ :**(إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته)**[4].

---

[1] إحياء علوم الدين-٣٢٩/٤.

[2] انظر: جامع البيان-الطبري-٢٦١/١٨، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥٠١/١.

[3] موسوعة النابلسي-التفسير المطول -الدرس(٦/٤) سورة مريم-بتاريخ ١٩٨٨/١/١-www.nabulsi.com.

[4] صحيح البخاري-كتاب الرقاق-باب التواضع-١٠٥/٨-رقم٦٥٠٢.

إذاً بسبب الإيمان والأعمال الصالحة يحب الله عباده، ويجعل لهم محبة في قلوب المؤمنين، ومن أحبه الله وأحبه المؤمنون من عباده، حصلت له السعادة والفلاح، لذلك فإن معرفة العبد بمحبة الله لأوليائه لهي منهجية تغيير وإصلاح، فلما يعلم الإنسان أن رئيساً–وهو عبد فقير لله– أعلن أنه يحبه فماذا سيفعل؟ ولله المثل الأعلى، فلو علم العبد أن الله يحبه إذا داوم على العمل الصالح، فماذا سيفعل؟ أكيد أنها ستكون وقفة تغيير وتحوُّل له ليفعل كل ما يجلب محبة الله له.

المطلب التاسع: العبرة في فناء ومصرع الأمم السابقة

"عُرّفت العبرة بأنها حالة نفسية تتيح للمرء معرفة المغزى والمآل لأمر ما يشاهده الإنسان، ويتبصر فيه ويتدبره، ويقوم باستقرائه ومقايسته، فيصل إلى نتيجة مؤثرة يخشع لها قلبه، فيدفعه ذلك إلى سلوك فكري واجتماعي مناسب، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية كثير من الموضوعات التي تدعو إلى التأمل والاعتبار، ولكل قصة قرآنية أو نبوية هدف تربوي رباني، يستخلص منها صاحب الفكر الواعي العبرة ويستنبط منها المغزى المراد"[1]، وقد قصّ الله ﷻ علينا في كتابه مصارع الأمم السابقة، فقد أهلك الله أمماً لا تحصى ولا تعدّ، وأباد قروناً كثيرة، بأشكال متنوعة، من غرق وطوفان وريح وخسف وغير ذلك، وما ذلك إلا للعبرة والعظة، فإن التفكر والاعتبار والانتفاع بالمواعظ من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى:١٠].

*** العبرة في فناء ومصرع الأمم السابقة في ضوء سورة مريم:**

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم:٩٨] "أثبتهم وأحياهم، وعلى ما شاء فطرهم وأبقاهم، ثم بعد ذلك– لما شاء– أماتهم وأفناهم، فبادوا بأجمعهم، وهلكوا عن آخرهم، فلا كبير منهم ولا صغير، ولا جليل ولا حقير، وسيطالبون– يوم النشور– بالنقير والقطمير[2] " [3].

---

[1] التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها–عاطف السيد–٥٥/١.

[2] القطمير هي القشرة الدقيقة التي على النواة، وقيل هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة، ويقال ما أصبت منه قطميراً أي شيئاً، (انظر: لسان العرب–ابن منظور–١٠٨/٥).

[3] لطائف الإشارات– القشيري–٤٤٤/٢.

يقول سيد قطب: "وتختم السورة بمشهد يتأمله القلب طويلا، ويرتعش له الوجدان طويلا، ولا ينتهي الخيال من استعراضه، وهو مشهد يبدؤك بالرجة المدمرة، ثم يغمرك بالصمت العميق، وكأنما يأخذ بك إلى وادي الردى، ويقفك على مصارع القرون وفي ذلك الوادي الذي لا يكاد يحده البصر، يسبح خيالك مع الشخوص التي كانت تدب وتتحرك، والحياة التي كانت تنبض وتمرح، والأماني والمشاعر التي كانت تحيا وتتطلع، ثم إذا الصمت يخيم، والموت يجثم، وإذا الجثث والأشلاء والبلى والدمار، لا نأمة[1]، لا حس، لا حركة، لا صوت «**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ**» انظر وتلفت «**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً**» تسمع وأنصت، ألا إنه السكون العميق والصمت الرهيب، وما من أحد إلا الواحد الحي الذي لا يموت"[2].

*** دور العبرة في فناء ومصرع الأمم السابقة في الإصلاح والتغيير:**

إن التربية بالعبرة لها أثر كبير في إصلاح النفس البشرية، فالعبرة من هلاك الأمم السابقة ومصرعها، تربي في النشء الأخلاق الفاضلة، والمبادئ السامية، وفيها بيان للحق والمصلحة، فتجنب المنصوح الضرر، وترشده إلى ما يحقق سعادته، ولمّا كان من أهم أسباب المصائب والهلاك هو المعاصي والذنوب، "ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا، وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب"[3]، كان من أهم أسباب النجاة هو التوبة والاستغفار، قال تعالى:﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[الأنفال:٣٣]، وكذلك الإصلاح هو سبب رئيس من أسباب النجاة وعدم الهلاك، قال تعالى:﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ [هود:١١٧]، فعلينا أن نعتبر بحال الأمم السابقة ومصرعهم، ونلزم التوبة والاستغفار والإصلاح حتى نكون من الناجين، ولابد على الدعاة والمصلحين والمربين أن يهتموا بهذه المنهجية الإصلاحية، منهجية التربية بالعبرة، وخاصة بقصص الأمم السابقة، لما فيها من زجر للنفس عن فعل ما يسبب الهلاك والعذاب، ففي العبرة تزكية للنفس، وبتحققها يسمو المجتمع، ويبتعد عن المنكرات والفحشاء، ويأتمر الجميع بأمر الله.

---

[1] النون والهمزة والميم أصل يدل على صوت فيه ضعف كالأنين، يقال نأم الأسد، وسمعت له نأمة، (انظر: معجم مقاييس اللغة–ابن فارس–٣٧٧/٥، أساس البلاغة–الزمخشري–٢٣٩/٢).

[2] في ظلال القرآن–٢٣٢٢/٤.

[3] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر–ابن تيمية–٢١/١.

المبحث الرابع

منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى اللَّه بشتى الوسائل

المطلب الثاني: صفات الداعية المسلم

المطلب الثالث: منهج الحوار البنَّاء

المطلب الرابع: الرحمات والنفحات بعد الشدة

المطلب الخامس: الحقائق العلمية دليل على صدق الوحي والنبوة

المطلب السادس: وجوب تعهد الأهل بالنصح والإرشاد

المطلب السابع: التبشير والإنذار بالقرآن

المطلب الثامن: الأسوة في التذكير بالأنبياء

بين يدي المبحث:

إن الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء، حاملي اللواء الأول للإصلاح والتغيير، وكذلك هي وظيفة كل من سار على طريق الإسلام واتبع طريق الهدى من العلماء والدعاة والمصلحين في كل زمان ومكان، حيث قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:١٠٨] ، فواجب الدعوة ملقى على عاتق كل من اتبع النبي محمد ﷺ .[١]

وإن الناظر إلى حال مجتمعاتنا في هذا الزمان يجد أنها في أشد الحاجة إلى الإصلاح في جميع نواحي الحياة، ويجد أن حاجة الناس ماسة إلى السير على النهج القويم، والأخذ بيدهم إلى طريق الهدى والرشاد، ولا سبيل إلى ذلك إلا سبيل نبينا محمدﷺ وجميع الأنبياء، وهو طريق الدعوة إلى الله.

وقد جاء القرآن الكريم يدعو إلى إصلاح المجتمع كله، إصلاحاً شاملاً يحفظه من الانحراف والفساد، بل قد عرض القرآن منهجيات عظيمة وقيّمة من شأنها أن تصلح وتغيّر من حال الأفراد والمجتمعات، ورسم معالم منهج الإسلام في الدعوة إلى الله، وسورة مريم أبرزت منهجيات إصلاح وتغيير في الجانب الدعوي، حريٌّ بالدعاة والمصلحين اتباعها في قيامهم بواجب الدعوة إلى الله، وسأبين ذلك بإذن الله خلال مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول: الدعوة إلى الله بشتى الوسائل

إن وسائل الدعوة وأساليبها متنوعة ومتعددة، فكل وسيلة شرعية من شأنها أن تحقق النجاح والانتشار للدعوة الإسلامية، سواء أكانت وسائل تقليدية أم وسائل حديثة، كان على الدعاة مراعاتها واستخدامها في توصيل رسالة الدعوة للناس جميعاً، خاصة أنهم يحملون أمانة إصلاح المجتمع وإزالة الفساد في ظل حربٍ شرسة على الإسلام من أهل الكفر وأعوانهم، مما يجعل المعوقات والعراقيل كثيرة أمام الدعاة، لذا كان على الداعية المسلم أن يمارس الدعوة بكافة الوسائل المشروعة، بل عليه أن يبتكر وسائل جديدة، فإذا أدّت وسيلة من الوسائل إلى أذىً له فعليه أن يصبر ولا يجزع لقوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾ [الرُّوم:٦٠] ، بل عليه أن يستمر فيها، وإن حالت الأسباب عن تنفيذها فليلجأ إلى

---

[١] انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة– ابن باز– ص١٥.

وسيلة أخرى من شأنها أن تحقق الهدف المنشود، فإن ابتلاء الدعاة هي مما جرت به السّنة الإلهية، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤] .[١]

*** منهجية الإصلاح والتغيير من خلال الدعوة إلى الله بشتى الوسائل في ضوء سورة مريم:**

إن المتأمل في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١] يجد أن فيها منهجية حريٌّ بالدعاة اتباعها، حيث يبين الله في هذه الآية أن نبيّ الله زكريا عليه السلام رغم منعه من الكلام إلا أنه يواصل الدعوة إلى الله، يواصل الدعوة بالإشارة، فيأمر الناس بالتسبيح والذكر والمداومة عليها في جميع الأوقات.[٢]

وهذا دافعٌ كبير للدعاة أن يواصلوا مهمة الدعوة بشتى الوسائل المتاحة وفي كل الظروف والأحوال، ومهما بلغت المعوقات والمثبطات والابتلاءات التي تواجههم في طريق الدعوة، "فإذا حُرم الدعاة من وسيلة دعوية فليلجأوا إلى غيرها، وإذا أُغلق أمامهم باب فليطرقوا باباً آخر، فمن داوم قرع الأبواب ولج، فعلى الدعاة إلى الله أن يتزودوا بالعزم واليقين وأن يعلموا أن الدعوة كما أنها مزية وتشريف فهي مسؤولية وتكليف، وكما أنها أمر طريف شائق، فهي أيضاً، طريق صعب شائك"[٣].

كما أننا نستخلص من هذه الآية أهمية أن يتعلم بعض الدعاة لغة الإشارة وهي وسيلة تعبير للصم، حتى يتمكنوا من دعوة هذه الفئة من المجتمع، ويقوموا بتعليمهم تعاليم دينهم الحنيف.

المطلب الثاني: صفات الداعية المسلم

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة مريم قصة زكريا عليه السلام وابنه يحيى عليه السلام صاحب الخلال الحميدة والشمائل الكريمة، التي بها استحق السلام واستحق السلامة في كل مراحل حياته، حيث قال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥] [٤] ، كان على الداعية

---

[١] انظر :أصول الدعوة- عبد الكريم زيدان-ص٣٣٦، الدعوة إلى الله-يحيى الدجني-ص١٩٠.

[٢] انظر: الخواطر- الشعراوي -١٥/٩٤١.

[٣] التفسير الموضوعي لسور القرآن- نخبة من علماء التفسير-٤/٤٢٥.

[٤] انظر :التفسر المنير-الزحيلي-١٦/٦١.

حامل لواء الإصلاح والتغيير أن يتحلى بها، حتى تكون دعوته ناجحة، قال تعالى: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا ۞ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا** ﴾ [مريم:١٢-١٤] فهذه مؤهلات زوده الله بها ليتحمل العبء، وينهض بالأمانة في قوة وعزم، ولا يتهاون ولا يتراجع عن الأمانة التي ورثها عن والده النبي زكريا عليه السلام[١].

*** منهجية الإصلاح والتغيير من خلال صفات الداعية في ضوء سورة مريم:**

١- **الجدّ في طلب العلم والعمل به:** ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ يأمر الله يحيى عليه السلام بأخذ التوراة بجد واجتهاد وبحسن طلب، والعمل بها، ودعوة الناس إليها، وقد منّ الله عليه بذلك منذ صباه، فهذه منهجية إصلاح على الدعاة والمصلحين التحلّي بها ودعوة الناس إليها، وتربية الأبناء من صغرهم عليها[٢]، لأن من دواعي طلب العلم والاجتهاد فيه أن الداعي يُوجّه إليه تساؤلات، فهذا يستلزم منه أن يكون لديه إجابات سديدة حتى ينجح في دعوته، كما أن امتلاكه للرصيد المعرفي يؤهله لتشخيص العلة ووضع العلاج الملائم، كما لا يُقبل من الداعية أن يدعو الناس ويناقض قوله فعله، بل لابد أن يسبق القول بالعمل [٣].

٢- **الحنان والرحمة والرفق في الدعوة:** ﴿**وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا**﴾ لقد رزق الله يحيى حناناً في قلبه انعكس على دعوته بالرفق بالناس والرحمة بهم، "فالحنان صفة ضرورية للنبيّ المكلف برعاية القلوب والنفوس، وتأليفها واجتذابها إلى الخير في رفق"[٤]، وبذلك هي صفة مهمة لنجاح الداعية، فإن النبي ﷺ قال: **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)**[٥]، فلابد للداعية أن يكون ذا قلب رحيم، ينبض بالشفقة، رفيقاً بهم، لأنه يعلم عاقبة العصاة .

---

[١] انظر: في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٠٤/٤.

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٢٨٦/٥، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٤٩٠/١، ارشاد العقل السليم-أبي السعود-٢٥٩/٥.

[٣] انظر: الدعوة إلى الله-يحيى الدجني-ص١١٢.

[٤] في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٠٤/٤.

[٥] صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب-باب فضل الرفق-٢٠٠٤/٤-رقم٢٥٩٤.

٣- **تزكية النفس:** ﴿وَزَكَاةً﴾ فقد وهب الله يحيى عليه السلام نفساً طاهرة، طهارةً في نيّته تفيض على أفعاله وأقواله، وترتقي بها وتنهض بغيرها، فعلى الداعية أن يسعى دائماً لتزكية نفسه بالعبادات والطاعات، وقراءة الأوراد، وقيام الليل، وغض البصر، وكف السمع عن المحرمات.[١]

٤- **التقوى:** ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ أي ممتثلاً لأوامر الله مجتنباً نواهيه، فتقوى الله سر نجاح الداعية، وهي أقوى ما يتسلح به المصلح والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، فتعصمه وتقيه من الفتن بإذن الله.[٢]

٥- **بر الوالدين:** ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أي باراً بهما، لطيفاً معهما، محسناً إليهما، فالداعية يسعى دائماً لرضى والديه حتى ينال رضى الله، وينال بركة رضاهما بتوفيق الله له .[٣]

٦- **التواضع:** ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ لم يكن متكبراً متعالياً عاصياً لله، بل كان متواضعاً، "والداعي إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عارياً من التواضع؟، وهو من ركائز أخلاق الإسلام، ثم إن طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم، ويحتقرهم، ويستصغرهم، ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً"[٤].

٧- **القدوة:** من خلال الصفات التي ذكرت سابقاً يتضح لنا أن الداعية لابد أن يكون قدوة في أخلاقه ومعاملاته مع الناس، ومع أهل بيته وخاصة مع والديه، فلا يُعقل أن نرى بعض الدعاة والمصلحين قد وقعوا في عقوق آبائهم أو أمهاتهم، أو تعالوا وتكبروا على الناس، فهؤلاء يصدّون الناس وينفرونهم عن الدين، بسوء أخلاقهم، فإن لم يستطيعوا على حمل أنفسهم على أخلاق الإسلام وتعاليمه، فمن الخير لهم وللدعوة، أن ينصرفوا لعلاج أنفسهم، فلكي يفوز الداعية بتحقيق هداية الناس وإصلاحهم وتغييرهم إلى الأحسن، والأخذ بيدهم إلى النجاة، لابد أن يُصلح نفسه قبل أن يدعوهم، وحينها تتحقق القدوة فيه، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤] .

---

[١] انظر: نظم الدرر- البقاعي-١٢/١٧٩.

[٢] انظر: تفسير المراغي-المراغي-١٦/٣٩.

[٣] انظر: إرشاد العقل السليم-أبي السعود-٥/٢٥٩، تفسير المراغي-المراغي-١٦/٣٩.

[٤] أصول الدعوة- عبد الكريم زيدان-ص٣٤٧.

المطلب الثالث: منهج الحوار البناء

إن الحوار البنّاء منهجٌ إصلاحي من مناهج الدعوة الناجحة، لذا عني القرآن الكريم بالحوار؛ لأنه سبيل قويم للإقناع، وقد اعتمده الأنبياء في مخاطبة عقول أقوامهم، بهدف هدايتهم وإصلاحهم وتغيير معتقداتهم، وقد جاءت سورة مريم تبرز هذه المنهجية، من خلال حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، فرغم عظم المخالفة، وزيف الباطل إلا أنه لم يمنعه من الحوار، لأن الحوار وسيلة إقناع، وإن المتأمل في هذا الحوار يجد أنه يتسم بسمات حريٌّ بنا دراستها واتباعها، بل واتخاذها منهجاً إصلاحياً للدعاة والمصلحين في دعوتهم، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۞ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**﴾[مريم:٤٢-٤٧].

* منهجية الإصلاح والتغيير من خلال حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه:

أولاً: اللطف والأدب والاستعطاف: فقد كان إبراهيم عليه السلام في حواره لأبيه في غاية الأدب واللطف، فكان يكرر قوله (يا أبت) استعطافاً له، حتى يثير أبوّته، ويحرك مشاعره، فكرر هذا النداء المؤثر أربع مرات، عسى أن يؤثر فيه[1]، ويلاحظ أنه لم يصف أباه بالجهل، ولا نفسه بالعلم الكامل، وإنما قال أنه أُعطي من العلم ما لم يُعطى، حتى لا يُحرج مشاعر أبيه، وهذا قمة في الأدب والترفق بأبيه[2].

ثانياً: الحجة في الإقناع: وذلك باستخدام ثوابت مسلّمة وبراهين لا مجال لإنكارها، حتى يرده عن غيّه، فبين له أن الآلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تغني.[3]

ثالثاً: علم المحاور: فقد لفت الانتباه أن الحوار الناجح لابد أن يبنى على علم، ولأنه صاحب علم فهو جدير بالاتباع.

---

[1] انظر: الخواطر-الشعراوي-١٥/٩١٠٠، التفسير المنير-الزحيلي-١٦/١١١.

[2] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-١٦/١٠٦.

[3] انظر: التحرير والتنوير-ابن عاشور-١٦/١١٤، تفسير المراغي-المراغي-١٦/٥٥.

رابعاً: التدرج في الحوار والتنوع في العرض: حيث بدأ بالاستفهام الإنكاري، الذي يحمل المحاور على التفكير وإعادة النظر ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، ثم بالتقرير الخبري ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾، ثم النهي الصريح يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ، ثم بالترهيب ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، وقد نوّع في العرض فتارة يكشف زيف معتقده، وأخرى يقرر له العقيدة الصحيحة، ومرة يحذره من كيد الشيطان، وكذلك يحذره من غضب الرحمن.[١]

خامساً: الخوف والشفقة على المدعو: وكان هذا واضحاً في حواره مع أبيه، وحرصه على نجاته، وتحذيره من العذاب الذي سيحيق به إن استمر على الكفر، وكذلك تكرار اسم الله **(الرحمن)** في هذا الحوار، وذلك ليحمل إبراهيم عليه السلام أباه على التفكر والنظر في هذا الإله الرحمن الذي يمهله، ولو شاء لعجّل بعقابه.[٢]

سادساً: الحلم والصبر ومقابلة السيئة بالحسنة: فرغم غلظة والده معه وعنفه وتهديده له بالرجم، وطلب منه الهجر، إلا أنه قابل ذلك باللين والسلام ووعده بأن يستغفر له.[٣]

يقول الشيخ الشعراوي: "وهكذا انتهت هذه المحاورة التي احتوت أربعة نداءات حانية، وجاءت نموذجاً فريداً للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فراعت مشاعر الأب الذي يدعوه ولده ويُقدِّم له النُّصْح، ورتبت الأمور ترتيباً طبيعياً، وسَلْسَلَتْها تسلْسُلاً لطيفاً لا يثير حفيظة السامع ولا يصدمه ... فأنت حين تدعو شخصاً إلى الله فإنما تُخرِجه عن الفساد الذي أَلِفه، وهو لم يألف الفساد إلا بعد أن اشتهاه أولاً، ثم اعتاده بالفعل والممارسة ثانياً، وهاتان مصيبتان آخذتان بزمامه، فما أحوجه لأسلوب لَيِّن يستميل مشاعره ويعطفه نحوك فيستجيب لك".[٤]

فالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن هي من أبرز وسائل الدعوة إلى الله ومن أهم منهجيات الإصلاح والتغيير، وإنّ الذين يلجأون اليوم إلى العنف في الدعوة أو في فرض آرائهم، هؤلاء مخالفون لمنهج الإسلام في الدعوة.

---

[١] انظر: لباب التأويل–الخازن–١٨٩، التفسير الموضوعي لسور القرآن–نخبة من علماء التفسير–٤٥٢/٤.

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم–ابن كثير–٢٣٥/٥، الخواطر– الشعراوي–٩١٠٠/١٥، التفسير الموضوعي لسور القرآن–نخبة من علماء التفسير–٤٤٨/٤، التفسير القرآني للقرآن–عبد الكريم الخطيب–٧٤٠/٨

[٣] انظر: صفوة التفاسير–الصابوني–٢٠١/٢، التفسير القرآني للقرآن–عبد الكريم الخطيب–٧٤٠/٨.

[٤] الخواطر –٩١٠٠/١٥.

المطلب الرابع: الرحمات والنفحات بعد الشدة

إن طريق الدعوة مليء بالأشواك والمصاعب، والشدائد والابتلاءات، وليست محفوفة بالرياحين والورود، بل المعوقات كثيرة ومتنوعة، ويبتلى المرء على قدر إيمانه، سُئل النبي ﷺ: أيّ الناس أشد بلاءً؟ قال: **(الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان صلباً في دينه اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي حسب دينه، فما يبرح البلاء حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)**[1]، والدعاة الذين يسيرون في طريق الإصلاح والتغيير، طريق الأنبياء، هم أكثر الناس بلاءً، فطريق الدعوة هو طريق الابتلاء، وقد يعرض الداعية للاتهامات، فلابد له من صبر، فالنبي ﷺ قبل الدعوة وهو في غار حراء يتعبد، قالوا عنه: الصادق الأمين، ولكن لمّا جهر بالدعوة قالوا عنه: (ساحر، مجنون، كذاب، كاهن)، فصبر واحتسب فكان ذلك له فتحاً ونصراً ومنحة، "فالله ﷻ ما امتحنه ليهلكه، ولكن امتحنه ليختبر صبره وعبوديته، فإن لله ﷻ عبودية في السراء، وله عبودية في الضراء، وله عبودية على العبد فيما يكره كما له عبودية فيما يحب"[2]، فإذا صبر الإنسان صارت المحنة منحة، والبلية عطية، والمكروه محبوباً، فإن بعد العسر يسراً، وبعد الضيق الفرج، والرحمات والنفحات بعد الشدة.

*** منهجية الإصلاح والتغيير في الرحمات والنفحات بعد الشدة في ضوء سورة مريم:**

قال تعالى: ﴿ **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ۞ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۞ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا** ﴾[مريم:٢٣-٢٦].

لقد رزق الله مريم العذراء منحاً ورحمات كثيرة بعد محنة وشدة أصابتها، حيث ذاقت ألم الولادة، وألم الخوف أن تتهم في عرضها، حتى أنها تمنت الموت، عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود، فتمنت الموت قبل هذا الموقف العصيب، وقالت ما قالت لأنها تعلم أنها ستتهم من الناس بعد أن كانت عندهم عابدة ناسكة، فالموت أهون عليها من هذا البلاء، ولكن بعد هذا

---

[1] سنن الترمذي-أبواب الزهد-باب ما جاء في الصبر على البلاء-٤/٦٠١-رقم٢٣٩٨، وقال الترمذي والألباني في التحقيق حديث حسن صحيح.

[2] الوابل الصيب من الكلم الطيب-ابن القيم-ص٥.

الألم وهذا الشعور، ينزل الله رحماته عليها، فتتحول الشدة إلى رحمة، والعسر إلى يسر، والمحنة إلى منحة، والحزن إلى فرح، حيث أتاها نداء وقت الولادة وهي لوحدها، قيل من الملك، وقيل أنطق الله المولود النبيّ يواسيها بألا تحزن، ويخبرها بأن الله ﷻ أجرى جدولاً تحتها من عين ماء لتشرب منه، ثم يأمرها بتحريك جذع النخلة اليابسة في الصحراء وفي وقت الشتاء، فيسقط لها الرطب، فتأكل منه، وتقرّ برؤية ولدها، وينطق المولود ببراءتها، فيزول عنها الحزن بإذن ربها، وهذا دليلٌ على مقام صبرها على الآلام الجسدية والنفسية، وصدقها في تلقي البلوى، فلذلك كانت في مقام الصديقة.[1]

إنّها الرحمة، بل الرحمات، والنفحات والكرامات، تفضي بظلالها عليها، بعدما أصابها ألم وشدة، وهذا هو حال الصادقين في كل زمان ومكان، أن يُبتلوا بشتى أنواع البلاء، فيصبروا ويحتسبوا، فيُمنحوا بمنح ربانية، ومعيّة الله معهم، تحفظهم وترعاهم، وإذا علم الداعية هذه المنهجية القرآنية، أيقن أن الابتلاء له خير، فما عليه إلا الصبر والاحتساب، ومواصلة طريق الإصلاح والدعوة، وسيرى المنح والرحمات تتنزل عليه بإذن ربه.

المطلب الخامس: الحقائق العلمية دليل على صدق الوحي والنبوة

إن القرآن الكريم كتاب هداية ودعوة وإصلاح، فقد احتوى على آيات عظيمة تحمل إشارات علمية لم يكن يعلمها الإنسان، ولكن مع تطور العلم الحديث، وتقدم العقل البشري، توصل العلماء إلى كثير من الحقائق العلمية التي وافقت هذه الإشارات القرآنية، لتكون خير دليل على صدق الوحي وأن القرآن من عند الله، وأن وأن محمداً هو رسول الله ﷺ، لا ينطق عن الهوى، فالقرآن بحر زاخر بأنواع العلوم والمعارف، يمنح الإنسانية من معارفه وأسراره ما يزيدهم إيماناً وإذعاناً، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الذّل إلى العزة، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.[2]

*** منهجية الحقائق العلمية دليل على صدق الوحي في ضوء سورة مريم:**

لقد اشتملت سورة مريم على هذه المنهجية من خلال عرض نموذج من الحقائق العلمية في مجال الطب والصحة، ليصلح الله به البشرية ويرشدهم إلى طريق الرشاد، قال تعالى:

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٢٢٣/٥، التحرير والتنوير-ابن عاشور-٨٥/١٦، التفسير المنير-الزحيلي-٧٦/١٦، صفوة التفاسير-الصابوني-١٩٦/٢.

[2] انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم-عبد السلام اللوح-ص١٦٦.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم:٢٥-٢٦] ففي هذه الآية يرشد الله مريم عندما جاءها المخاض إلى تناول الرطب وهو ثمر النخيل، لما فيه من فوائد عظيمة للمرأة النفساء اكتشفها العلم الحديث، **فقد بينت الأبحاث الفوائد التالية للرطب:**

– أنه يحتوي على مادة مقبضة للرحم، تقوي عمل عضلات الرحم في الأشهر الأخيرة للحمل فتساعد على الولادة، كما تقلل كمية النزف الحاصل بعد الولادة.

– وأنه يحتوي على نسبة عالية من السكاكر البسيطة السهلة الهضم والامتصاص، ومن المعروف أن هذه السكاكر هي مصدر الطاقة الأساسي والغذاء المفضل لعضلات الجسم، وعضلة الرحم من أضخم عضلات الجسم، حيث تقوم بعمل كبير أثناء الولادة التي تتطلب سكاكر بسيطة بكميات جيدة، ونوعية خاصة سهلة الهضم الامتصاص، كتلك التي في الرطب، وللعلم يقوم علماء التوليد بتقديم للحامل وهي بحالة المخاض الماء والسكر بشكل سوائل سكرية، ولقد نصت الآية الكريمة على إعطاء السوائل أيضاً مع السكاكر بقوله تعالى:(**فَكُلِي وَاشْرَبِي**).

– وإن من آثاره أنه يخفض ضغط الدم عند الحوامل فترة ليست طويلة ثم يعود لطبيعته، وبانخفاض ضغط الدم تقل كمية الدم النازفة.

– والرطب من المواد المليّنة التي تنظف القولون، ومن المعلوم طبيا أن الملينات النباتية تفيد في تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للأمعاء الغليظة خاصة.[1]

فما أعظم القرآن الكريم يرسي لنا قواعد الطب، لنعلم أنه كتاب نور وشفاء، وهدى ورحمة، وإن واجب الدعاة والمصلحين أن يوظفوا هذه الحقائق العلمية القرآنية في مجال الدعوة إلى الله، ويتخذوها منهجية إصلاحية، لتكون سبباً في هداية الناس جميعاً إلى الإسلام، وجذب قلوبهم إلى الإيمان، لما فيها من قذف للإيمان في قلب الكافر، وزيادة لليقين في قلب المؤمن.

المطلب السادس: وجوب تعهد الأهل بالنصح والإرشاد

إن مسؤولية إقامة المجتمع المسلم، بإصلاحه وإزالة ما فيه من فساد، توجب على المسلم أن يبدأ بعد إصلاحه لنفسه بإقامة المجتمع المسلم الصغير، ألا وهو البيت المسلم، وذلك بحمله رسالة الإسلام لأهله وزوجته وأولاده وأقاربه، وتعهدهم بالنصح والإرشاد، وهذا ما فعله

---

[1] مع الطب في القرآن الكريم – عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز – ص٢٨– بتصرف.

نبينا ﷺ في بدء الدعوة، وقد أمره الله بذلك فقال تعالى:﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، وإن الأهل أمانة، بل من الأمانات العظمى لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم:٦]،وقول الرسول ﷺ: **(كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته،....)**[١].[٢]

*** منهجية الإصلاح والتغيير من خلال تعهد الأهل بالنصح والإرشاد في ضوء سورة مريم:**

لقد ذكر الله في هذه السورة صفات سيدنا إسماعيل عليه السلام ومنها أنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم:٥٤-٥٥] تبين الآيات أنه كان حريصاً على صلاح أهله واستقامتهم على منهج الله، يتفقد أحوالهم، ويتعهدهم بالنصح والإرشاد، ويأمرهم بالمحافظة على أهم العبادات الصلاة والزكاة، مع صلاحه لنفسه بصدقه مع الله ومع الناس، وتخلقه بالأخلاق الحميدة، فحظي برضا الله.[٣]

ويؤكد ذلك ما جاء في سورة طه من خطاب للنبي محمد ﷺ بأن يأمر أهله بالصلاة، فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ...﴾ [طه:١٣٢] ، يقول سيد قطب تعليقاً على هذه الآية: "فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم، وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة التي تصلهم معه بالله، فتوحد اتجاههم العلوي في الحياة، وما أروح الحياة في ظلال بيت أهله كلهم يتجهون إلى الله"[٤].

وهذا دليلٌ على أن من منهج الأنبياء في الدعوة، البدء بدعوة الأهل، وتعهدهم بالنصح، وبناء البيت المسلم، لذا كان على الدعاة مراعاة ذلك، وأن يعطوا أهمية بل أولوية لإصلاح أهلهم، قبل الخروج للمجتمع ودعوة الناس إلى الله، فإنما يتحقق المجتمع المسلم بإصلاح كل فرد لبيته، وبنائه للبيت المسلم .

---

[١] صحيح البخاري-كتاب الجمعة-باب الجمعة في القرى والمدن-٢/٥-رقم٨٩٣.

[٢] انظر: ماذا يعني إنتمائي للإسلام- فتحي يكن- ص٣٨.

[٣] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن-نخبة من علماء التفسير-٤/٤٥٥.

[٤] في ظلال القرآن-٤/٢٣٥٧.

المطلب السابع: التبشير والإنذار بالقرآن

لقد أنزل الله ﷻ القرآن ليخرج الناس من الجاهلية الجهلاء إلى الهداية والرشاد في ظلال الإسلام، فأرسل نبينا محمداً ﷺ بهذا الحق ليبشر به من اتبعه، وينذر به من عصاه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩] أي: " إنا أرسلناك يا محمد ﷺ بالإسلام الذي لا أقبل من أحد غيره من الأديان- وهو الحق- مبشراً من اتبعك فأطاعك وقبل منك ما دعوته إليه من الحق، بالنصر في الدنيا، والظفر بالثواب في الآخرة، والنعيم المقيم فيها، ومنذراً من عصاك فخالفك وردّ عليك ما دعوته إليه من الحق بالخزي في الدنيا، والذّل فيها، والعذاب المهين في الآخرة "[١].

*** القرآن بشير ونذير في ضوء سورة مريم:**

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم:٩٧] تضمنت هذه الآية بيان الحكمة من نزول هذا القرآن وتيسيره، وهي التبشير والإنذار، حيث أنزله الله ويسّره وبينه وجعله سهلاً للتلاوة والتدبر والعمل به، ولنقرأه على النّاس، وليكون بشيراً لمن اتبع رضوانه واتّقى عذابه، ونذيراً لأهل اللّد، شديدي الخصومة والميل إلى الباطل، ينذرهم بالعذاب، ويقيم عليهم الحجة، ويبين لهم عاقبة إصرارهم على الباطل.[٢]

لقد استعمل النبي ﷺ -وهو إمام الدعاة- هذه المنهجية الدعوية، فكان يرغب المؤمنين بالتبشير، ويطمئنهم بعظيم الثواب، وكان يرهّب بالنذير من عقابه، ويقرأ عليهم الآيات التي تبين ذلك، وقد ضرب الرسول ﷺ لنفسه مثلاً في هذا، فقال: **(إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العُريان[٣]، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا[٤]، فانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذَّبته طائفة**

---

[١] جامع البيان-الطبري-٢/٤٨٠.

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٥/٢٦٩، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-١/٥٠١، تفسير المراغي-المراغي-١٦/٨٩.

[٣] هو رجل من خثعم، كان إذا رأى العدو قد أقبل نزع ثوبه وألاح به لينذر قومه، وقد خص العريان لأنه أبين للعين، (انظر: لسان العرب -ابن منظور-١٥/٤٨).

[٤] أي ساروا ليلاً، انظر: مجمل اللغة-ابن فارس-١/٣٣٣.

منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق)[1].

*** الإصلاح والتغيير في التبشير والإنذار بالقرآن:**

إن دعوة الرسل إلى الله تقترن دائماً بالتبشير والإنذار، لذا ونحن نتحدث عن الدعوة إلى الله التي بها صلاح المجتمعات، وتطلعنا نحو إصلاح شأن الدعاة، بتوجيههم نحو منهجيات الإصلاح والتغيير القرآنية، فإن واجب الدعاة أن يسيروا على منهج الرسل في التبشير والإنذار، بتبشير الطائعين بالحياة الطيبة والعز والتمكين في الدنيا، والجنة في الآخرة، ويخوفون العصاة بالشقاء الدنيوي، والعذاب في الآخرة، مستشهدين بآيات القرآن الكريم، لما في هذا من إصلاح للنفس، والأخذ بها إلى الخير، حيث أن النفس الإنسانية مجبولة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها، وهذا يجعل في النفس والقلب والوجدان رقيباً من داخله، يُنبت في المؤمن رغبة فيما عند الله من ثواب، ورهبة من عقابه، ويفرض عليه أن يفعل المأمورات ويجتنب المنهيات، فالبدعوة إلى الله بالقرآن تحقق التغيير والإصلاح، وتنهض الأمم، وتصلح المجتمعات، وتستقيم الأحوال.[2]

المطلب الثامن: الأسوة في التذكير بالأنبياء

لقد ذكّرت سورة مريم بطائفة من الأنبياء عليهم السلام، حيث ابتدأت بالتذكير بزكريا عليه السلام، ثم ذكّرت بمريم ابنة عمران وابنها نبي الله عيسى عليه السلام، وكذلك بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وطائفة من الأنبياء موسى، وإسماعيل، وإدريس عليهم السلام، حتى نتأسّى بهم، ونترسم خطاهم، ونتصف بصفاتهم، لما في ذلك من نور وهدى وضياء لنا.

- قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم:٢].
- قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم:١٦].
- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم:٣٤].
- قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤١].

---

[1] صحيح البخاري- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة-باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ-٩/٩٣-رقم٧٢٨٣.

[2] انظر: الرسل والرسالات-عمر الأشقر-ص٤٩.

- قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥١] .
- قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٤] .
- قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٦] .
- قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم:٥٨].

"ذكّرت السورة الكريمة بهذه المناقب العظيمة، ونثرت هذه الزهور الندية، ونشرت هذه الصفحات المضيّة، حتى يتعايش قارئ القرآن مع هذه الذكريات العطرة، ويتنسم عبق هذا الماضي المجيد، ويحلق بروحه ويطوف بعقله ووجدانه مع هذه الآفاق الرحيبة والصفحات المشرقة التي تشحذ الهمم وتسمو بالأرواح، ويُلمس في حياة الأنبياء الصديقين العبودية الخالصة، والأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة، والأمثلة الواقعية، التي يحتذى بها "[1].

*** دور التأسي بالأنبياء في الإصلاح والتغيير:**

المطلوب من الأمة السير على طريق الأنبياء والتأسّي بهم؛ لأن طريق الأنبياء هي طريق الصلاح والعزة والتمكين، وإن على الدعاة والمصلحين والمربين والقائمين على قيادة الأمة أن يجعلوا سيرة الأنبياء وقصصهم حاضرة في وجدان الناس، بتعليمها في المساجد من خلال الخطب والدروس والحلقات، واستنباط العبر والعظات منها، وتدريسها للطلاب في المدارس التعليمية والشرعية، والتذكير الدائم بها امتثالاً بمنهج القرآن في التذكير بالأنبياء للتأسي بهم، كيف لا .. وقد أمر الله ﷻ نبيّه محمداً ﷺ في هذه الآيات أن يذكر قصصهم، ويتلوها على الناس، وإن من غايات ذكر الأنبياء وقصصهم في القرآن أن يتخذ الدعاة والمصلحون من سيرتهم العطرة نبراساً يستضيئون بضيائه، ويهتدون بهديه، فيجعلونهم قدوة لهم في دعوتهم وفي جميع أعمالهم وتصرفاتهم، ولما في ذلك من تثبيت لهم وتقوية لعزائمهم وتسلية لهم، باطّلاعهم على سير الأنبياء وما تحملوه من أذى في سبيل الله، خاصة وهم يحملون رسالتهم رسالة الدعوة إلى الله، رسالة التغيير والإصلاح.

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن–نخبة من علماء التفسير–٤/٤١٦.

المبحث الخامس

منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الحياء والعفّة

المطلب الثاني: فضيلة الإخلاص والصدق

المطلب الثالث: النظرة المادية القاصرة

بين يدي المبحث:

لقد جاء الإسلام ليحدث إصلاحاً شاملاً في جميع المجالات، ولمّا كانت الأخلاق هي صورة المجتمع، وهي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم، ولأنها الضابط والمعيار للسلوك الفردي والاجتماعي، فقد جاء الإسلام داعياً وموجهاً إلى التمسك بالأخلاق الطيبة، والفضائل السامية؛ لأنها تحقق الخير والسعادة، وقد بيّن ذلك المصطفى ﷺ حين أخبر عن الغاية التي من أجلها بعث فقال: **(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)**[1]، وقد بيّن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حال الجاهلية وكيف جاء الإسلام بالخير فأصلح شأنهم، وبيّن حرصه على حفظ أخلاقه فقال: **(كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن،....)**[2].

فالأخلاق الفاضلة ركيزة أساسية من ركائز هذا الدين، في بناء الفرد وإصلاح المجتمع، حيث إن سلامة المجتمع، وقوة بنيانه، وسمو مكانته، وعزة أبنائه بتمسكهم بمحاسن الأخلاق، لذا جاءت آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة ممتزجة بقواعد الأخلاق، تدعو للأخلاق الحميدة والإيجابية وترغِّب فيها، وتنهى عن الأخلاق السلبية، حتى تُهذّب النفس، ويرقى سلوكها، وينضبط بضوابط الإسلام.

وإن المتأمل في آيات سورة مريم، يظهر له دعوتها إلى مكارم الأخلاق ومعاليها، وحثها على التحلي بها، كما يظهر نعيها على المخالفين للفضائل وأصولها، لأن الأخلاق ميزان شرعي يهذّب الإنسان، ويرقى به إلى مدارج الإنسانية الفاضلة.

المطلب الأول: أهمية الحياء والعفة

الحياء لغةً: مصدر حيي، تدل على الاستحياء ضد الوقاحة.[3]

الحياء اصطلاحاً: هو تغيّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذمّ، وقيل هو: خلق يبعث على اجتناب القبيح من الأفعال والأقوال، ويمنع من التّقصير في حقّ ذي الحق،

---

[1] الأدب المفرد للبخاري–باب حسن الخلق–١٠٤/١–رقم ٢٧٣، ونقل المحقق تصحيح الألباني للحديث.

[2] صحيح البخاري–كتاب المناقب–باب علامات النبوة–١٩٩/٤، رقم٣٦٠٦.

[3] انظر: المفردات–الراغب الأصفهاني–٢٧٠/١، مقاييس اللغة–ابن فارس–١٢٢/٢.

وقيل هو: انقباض النفس عن القبيح، وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي فلا يكون كالبهيمة.[١]

قال ابن القيّم: "وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلّها، وأعظمها قدرا وأكثرها نفعا، بل هو خاصّة الإنسانيّة، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانيّة إلّا اللّحم والدّم وصورتهما الظّاهرة، كما أنّه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يقر الضّيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤدّ أمانة، ولم تقض لأحد حاجة، ولا تحرّى الرّجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنّبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة. وكثير من النّاس لولا الحياء الّذي فيه لم يؤدّ شيئا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقّا، ولم يصل له رحماً، ولا برّ له والداً؛ فإنّ الباعث على هذه الأفعال إمّا دينيّ، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإمّا دنيويّ علويّ، وهو حياء فاعلها من الخلق"[٢] . وقد ثبت الترغيب في الحياء بالمعنى المذكور، ويشمل ذلك الرجال والنساء، ففي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: **(دعه فإن الحياء من الإيمان)**[٣].

أما العفة فتعني: الكفّ عن القبيح، بحصول حالة للنّفس تمتنع بها عن غلبة الشّهوة، وهي ضبط النّفس عن الملاذّ الحيوانيّة .[٤] وتتحقق العفة في الإنسان بتحقق الحياء، إذ كلّما اشتدّ حياء المرء كلّما زادت عفّته، يقول الماوردي: "واعلم أن الحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه:

أحدها: حياؤه من الله ﷻ ويكون بامتثال أوامره، والكف عن زواجره.

والثاني: حياؤه من الناس، ويكون بكف الأذى، وترك المجاهرة بالقبيح.

والثالث: حياؤه من نفسه، ويكون بالعفة، وصيانة الخلوات"[٥].

---

[١] انظر: التعريفات–الجرجاني–٩٤/١، الذريعة إلى مكارم الشريعة–الراغب الأصفهاني–٢٠٧/١، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم–عدد من المختصين–١٧٩٦/٥.

[٢] مفتاح دار السعادة– ٢٧٧/١.

[٣] صحيح البخاري– كتاب الإيمان–باب الحياء من الإيمان–١٤/١–رقم٢٤.

[٤] انظر: مقاييس اللغة–ابن فارس–٣/٤، المفردات–الراغب الأصفهاني–٥٧٣/١، الذريعة إلى مكارم الشريعة–الراغب الأصفهاني–٢٢٤/١.

[٥] أدب الدنيا والدين –٢٤٨/١.

"ولا يكون الإنسان تامّ العفّة حتّى يكون عفيف اليد واللّسان والسّمع والبصر، فمن عدمها في اللّسان وقع في السّخرية، والتّجسّس والغيبة والهمز والنّميمة والتّنابز بالألقاب، ومن عدمها في البصر: مدّ العين إلى المحارم وزينة الحياة الدّنيا المولّدة للشّهوات الرّديئة، ومن عدمها في السّمع: أصغى إلى المسموعات القبيحة، وعماد عفّة الجوارح كلّها ألا يطلقها صاحبها في شيء ممّا يختصّ بكلّ واحد منها إلّا فيما يسوّغه العقل والشّرع دون الشّهوة والهوى"[1].

*** الحياء والعفة في ضوء سورة مريم:**

إن في قصة مريم لنموذج يحتذى به في الحياء والعفة، خاصة للفتاة المسلمة، التي لا زينة لها إلا بالحياء، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۞ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**﴾ [مريم: ١٦-١٨] فالآيات توضح أن مريم العذراء خافت من الرسول الذي تمثل لها بشرا، وظنته رجلاً يريدها على نفسه، فاستعاذت بالرحمن منه أن ينال منها ما حرمه الله، وذكّرته بالتقوى التي تجنبه المعاصي إن كان تقيا، هذا هو الحياء، وهذه هي العفة، حيث في تلك الحالة الخالية والبعد عن الناس، ومع اجتماع الدواعي وعدم المانع، إلا أنها لم تبدِ له إعجاباً، ولم تتلطف إليه في الحديث، بل استعاذت بالله[2].

وعندما أحست مريم بالحمل يتحرك في أحشائها، ويتحرك معه فزعها وحزنها، اعتزلت إلى مكان بعيد حياءً من قومها، حتى إذا أجاءها المخاض تتأسف وتتحسر، وهي العفيفة الطاهرة، وتتمنى الموت بسبب ذنب لم تقترفه، ولكنه حس الطهر والعفة، فتخاف حياءً من الناس أن تتهم بشيء تعاب عليه، وهي تعلم أن ذلك هو إرادة الله ومشيئته، قال تعالى: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾ [مريم:٢٢-٢٣]. [3]

فإن في استعاذة مريم بربها من الذي قطع عليها خلوتها، وفي اعتزالها عند الحمل، وخوفها من الاتهام، لدليل على تمام عفتها وروعها، وشدة حيائها، وحسن خلقها.[4]

---

[1] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-عدد من المختصين-٧/٢٨٧٤.

[2] انظر: جامع البيان-الطبري-١٨/١٦٤، تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٥/٢٢٠، الخواطر-الشعراوي-١٥/٩٠٥٥.

[3] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-١٦/٧١، تفسير المراغي-المراغي-١٦/٤٤.

[4] انظر: لباب التأويل-الخازن-٣/٨٤، محاسن التأويل-القاسمي-٧/٨٩.

*** أهمية الحياء والعفة للفتاة المسلمة:**

إن الناظر إلى حال فتياتنا يجد الفتاة العصرية بدون حياء تتخلى عن عفتها، وهي تفخر بخروجها وتحررها، تقلد الفتاة الغربية المتحررة من كل القيود، حتى أصبح من التحضر عند الفتاة تعدد الصداقات، فانتفت العفة ورحل الحياء، وصار الحفاظ على العرض ضربًا من ألوان الجمود والانغلاق، فتمارس الفتاة باسم الحرية ما تشاء، في حين نرى مريم العذراء نموذجاً للفتاة المسلمة في عفتها وحيائها، حين تمنت الموت على غير شيء اقترفته غير الاستجابة لمشيئة ربها، ولكنه الإحساس بالطهر والعفة، إحساس الفطرة.

فليست العفة والطهر صفات خاصة بمريم ابنة عمران، بل لابد أن تتصف بها كل فتاة، فإن عفة الفتاة أعز ما تملك، وإنّ عرضها أغلى ما تصون، وليس للحياة قيمة إن غاب الطهر عنها، وليس للفتاة وزن إن فرطت في نقائها، والفتاة التي تحافظ على عفتها تحس بعزة وفخر واطمئنان وثقة بالنفس، غير أن الله سيرزقها الزوج الصالح، ويجزيها خير الجزاء على حسن العمل .

*** دور الحياء والعفة في الإصلاح والتغيير:**

إن التخلق بالحياء والعفة، لعزة وسمو ورقيّ، وتحقق للتغيير والإصلاح، ووصول لرضى الله، فمن فوائد الالتزام بالحياء والعفة:

- يحسن الإسلام، يتحقق الإيمان، فهو أصل كلّ شعب الإيمان.
- الإقبال على الطّاعة بوازع الحبّ لله ﷻ، وهجر المعصية حياءً من الله ﷻ.
- يحفظ الأعراض في الدّنيا، ويبعد عن فضائح الدّنيا والآخرة.
- يكسو المرء الوقار فلا يفعل ما يخلّ بالمروءة والتّوقير، ولا يؤذي من يستحقّ الإكرام.
- حفظ الجوارح عمّا حرّم الله، وقيامها بما خلقت له.
- يعدّ صاحبها من المحبوبين من الله ومن النّاس، ويصبح مستريح النّفس مطمئنّ البال.
- نظافة المجتمع من المفاسد والمآثم، فبإشاعتها في المجتمع تجعله مجتمعا صالحا.[1]

---

[1] انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-عدد من المختصين-٥/١٨١٤، ٧/٢٨٨٨.

المطلب الثاني: فضيلة الإخلاص والصدق

الإخلاص يدلّ على تنقية الشّيء وتهذيبه، وهو القصد بالعبادة، وقيل هو تصفية السّرّ والقول والعمل[١]، "فإنّ الإخلاص هو تصفية السّرّ والقلب والعمل، والخالص هو الّذي لا باعث له إلّا طلب الحقّ، والإخلاص لا يكون إلّا بعد الدّخول في العمل، والإخلاص لله هو أن لا يفعل المخلص فعلا إلّا لله ﷻ"[٢] .

والصّدق هو مطابقة الحكم للواقع، وهذا هو ضدّ الكذب، وقيل: استواء السّرّ والعلانية والظّاهر والباطن بألّا تكذّب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله، والصِّدِّيق: من كثر منه الصّدق.[٣]

وجعلوا الإخلاص لازما، والصّدق أعمّ، فقالوا: كلّ صادق مخلص، وليس كلّ مخلص صادقا، قال الجرجانيّ: "الفرق بين الإخلاص والصّدق: أنّ الصّدق أصل وهو الأوّل، والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر: أنّ الإخلاص لا يكون إلّا بعد الدّخول في العمل"[٤].

فالصدق يشمل جوانب متعددة ومتنوعة؛ ومن أهم ذلك الصدق مع الله، وذلك بأن يكون العبد صادقاً مع الله، مخلصاً في عبادته له، سواءً بالعبادات القلبية الباطنة أوالظاهرة، وصدق التوبة إليه، وإخلاص العمل له، وتصديق آياته، وما أخبر به عن نفسه ، وكذلك بصدق التوكل عليه، والاعتماد عليه، والثقة بما عنده، وما إلى ذلك.

قال ابن القيّم– رحمه الله–: "والصّدق ثلاثة: قول وعمل وحال، فالصّدق في الأقوال: استواء اللّسان على الأقوال كاستواء السّنبلة على ساقها، والصّدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرّأس على الجسد، والصّدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطّاقة. فبذلك يكون العبد من الّذين جاءوا بالصّدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صدّيقيّته، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه"[٥].

---

[١] انظر: المفردات–الراغب الأصفهاني–٢٩٢/١، الكليات–أبو البقاء الحنفي–٦٤/١.

[٢] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم–عدد من المختصين–١٢٦/٢.

[٣] انظر: التعريفات–الجرجاني–٨٩/١، المفردات–الراغب الأصفهاني–٤٧٩/١.

[٤] التعريفات– ١٤/١.

[٥] مدارج السالكين– ٢٥٨/٢.

ولما كانت الصّدّيقيّة كمال الإخلاص، والانقياد والمتابعة في كلّ الأمور؛ كان الصّدق طمأنينة القلب، حيث قال ﷺ :(... **فإن الصّدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة**)[1]، وقال ﷺ : (**إنّ الصّدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وإنّ الرّجل ليصدق حتّى يكتب عند الله صدّيقا، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وإنّ الرّجل ليكذب حتّى يكتب عند الله كذّابا**)[2] فجعل الصّدق مفتاح الصّدّيقيّة ومبدأها، وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب البتّة، لا في قوله، ولا في عمله، ولا في حاله.[3]

*** الإخلاص والصدق في ضوء سورة مريم:**

إن من الأخلاق الكريمة والمثل السامية التي حث عليها السورة فضيلة الصدق والإخلاص، وهي أساس كل خير للفرد والمجتمع، فالنشأة عليها وتوطين النفس عليها فيه خير وأجر كبير، ولقد كان الصدق بأنواعه صفة الأنبياء والرسل –عليهم السلام– الذين اصطفاهم الله، واختارهم لإبلاغ رسالاته إلى عباده، ليكونوا مثلا عليّا يقتدي بهم الناس، ويسيرون على طريقهم، حيث وصف الله أنبياءه في سورة مريم بالإخلاص والصّدّيقية في سياق المدح، إشارة إلى أن هذه الصفة سجيّة فيهم .

– قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم:٤١] أي كان من أهل الصدق في كل شيء، في حديثه ومواعيده، لا يكذب أبدا.[4]

– قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾ [مريم:٥١] أي أخلصه الله واصطفاه لرسالته، "مخلص لله ﷻ في جميع أعماله وأقواله ونيّاته، فوصفه الإخلاص في جميع أحواله، والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه موجب لاستخلاصه، وأجلّ حالة يوصف بها العبد الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه"[5].

---

[1] سنن الترمذي–أبواب صفة القيامة والرقائق والورع–٦٦٨/٤–رقم٢٥١٨، وقال حديث صحيح، وقال الألباني: حديث صحيح.

[2] صحيح مسلم– كتاب البر والصلة والآداب–باب قبح الكذب وحسن الصدق٢٠١٢/٤–رقم٢٦٠٧.

[3] انظر: بصائر ذوي التمييز–الفيروز أبادي–٤٠٣/٣.

[4] انظر: جامع البيان–الطبري–٢٠٢/١٨.

[5] تيسير الكريم الرحمن–السعدي–٤٩٥/١.

- قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٤] أي كان صادق الوعد مع ربه ومع الناس، فهو شامل للوعد الذي يعقده مع الله ومع العباد، وقد تجلت هذه الصفة في أبهى صورها حين استجاب لأمر الله وامتثل لأبيه وصبر، والصدق في الوعد من أعظم صور الصدق.[١]

- قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٦] لقد ضرب نبي الله إدريس عليه السلام أروع الأمثلة في الصدق حتى بلغ منزلة الصّدّيقية، فاستحق الدرجات العلى من الله، "والصِّدِّيق هو الذي بلغ الغاية في تصديق الحق، فيورثه الله شفافية وإشراقاً بحيث يهتدي إلى الحق، ويُميّزه عن الباطل من أول نظرة في الأمر، ودون بحث وتدقيق في المسألة؛ لأن الله تعالى يهبُكَ النور الذي يُبدّد عنك غيامات الشك، ويهبك الميزان الدقيق الذي تزنُ به الأشياء"[٢].

- كما قال عن ذرية إبراهيم عليه السلام من الأنبياء والرسل: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٠] أي الثناء الحسن من سائر الأمم بالصدق ليس ثناء بالكذب.[٣]

فكل أنبياء الله ورسله عليهم السلام وهم صفوته من خلقه كانوا في أعلى مراتب الصدق قبل البعثة وبعدها، فهذا نبينا ورسولنا سيدنا محمد ﷺ كان قومه وأهله في الجاهلية قبل الإسلام يلقبونه بالصادق الأمين، ويتقبلون كل خبر أو قول يصدر عنه؛ لأنهم عرفوه وخالطوه وجاوروه، وكذلك بعد بعثته كان صدقه سبباً في ثقة الناس في دين الله.

*** دور الإخلاص والصدق في الإصلاح والتغيير:**

إن الصدق سبب لنجاح كل الأعمال، وصلاح كل الأحوال، وقوة كل العلاقات بين أفراد المجتمع، فهو يتمثل في مراقبة الله ﷻ في كل كلمة ينطق بها اللسان، وتحرّي الصدق والمسؤولية أمام الله عليها، لهذا حذر الإسلام تحذيرا شديدا من ترويج الأكاذيب والأباطيل بين الناس، بغرض بث الفتنة والبغضاء والكراهية بينهم، وإفساد العلاقة بينهم، فالصدق ضرورة من ضرورات المجتمع الإسلامي، وفضيلة من الفضائل ذات النفع العظيم، والكذب عنصر إفساد كبير للمجتمعات الإنسانية، وسبب لهدمها، وتقطيع روابطها وصلاتها، ورذيلة من الرذائل ذات

---

[١] انظر: تفسير المراغي-المراغي-٦٢/١٦.

[٢] الخواطر-الشعراوي-٩٠٩٢/١٥.

[٣] انظر: المرجع السابق- ٩١١٣/١٥.

الضرر البالغ؛ لذا فقد أمر الإسلام بالصدق ونهى عن الكذب، وكان أول أوليات عمله ﷺ في بناء مجتمع الإسلام بتربية أفراده على الصدق مع الله في القول والعمل، والصدق مع الأهل والأولاد، ومع كل فئات المجتمع.

وإن في الصدق مع الله والإخلاص له: تفريجاً للكربات، وإجابة الدعوات، ولنا في قصة أصحاب الكهف التي علمنا إياها النبي ﷺ مثال يحتذى به، ففيها أنه قال بعضهم لبعض: **(..إنه والله يا هؤلاء، لا ينجيكم إلاّ الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه)**[1] فدعا كل واحد منهم ربه بما عمله من عمل صدق فيه لله وأخلص له فيه، فكان أن جاء الفرج، ففرّج لهم فرجة بعد أخرى، حتى خرجوا من تلك المحنة.

فالتزامنا بهذه التعاليم من شأنه ليس فقط سعادة حياتنا اليومية، بل يضمن لنا التقدم والرقيّ، فحريٌ بنا أن نكون صورة نموذجية رائعة للصدق والإخلاص، حتى يتغير حالنا إلى الأصلح والأفضل، ونفوز بسعادة الدارين بإذن الله.

المطلب الثالث: النظرة المادية القاصرة

يوجد نظرتان للحياة، نظرة مادية قاصرة، ونظرة معتدلة صحيحة، فالنظرة القاصرة هي أن يكون تفكير وعمل الإنسان مقصوراً في تحصيل ملذاته العاجلة، دون النظر إلى عواقب ذلك، ولا يعلم أن الله جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فجعل الدنيا دار عمل وجعل الآخرة دار جزاء، فمن استثمر دنياه بالعمل الصالح ربح الدارين، ومن ضيع دنياه ضاعت آخرته، فالحياة كلها اختبار وامتحان، قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ [الملك:٢] ، فصاحب النظرة القاصرة يقصر حياته على ظاهرها ومفاتنها من مال وأولاد وجاه وسلطان، فيمتّع نفسه بتحصيلها وجمعها دون النظر إلى حكمة وسرّ خلق الحياة، فهؤلاء خاسرون، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۞ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يونس:٧-٨] . أما النظرة الصحيحة، هي أن يعتبر الإنسان أن ما في هذه الحياة من متاع وسيلة يستعان بها للآخرة،

---

[1] صحيح البخاري-كتاب أحاديث الأنبياء- باب حديث الغار-١٧٢/٤-رقم٣٤٦٥.

فالدنيا هي معبر للآخرة ومنها زاد الجنة، وخير عيش يناله أهل الجنة يحصل لهم بما يزرعونه في الدنيا من عمل صالح.[1]

*** النظرة المادية القاصرة في ضوء سورة مريم:**

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ [مريم:٧٣-٧٤]

بيّنت هذه الآيات من سورة مريم أن الكافرين إذا تتلى عليهم آيات الله، بدلاً من أن يؤمنوا، فإنهم يقولون للمؤمنين تفاخراً أيّ الفريقين أعظم منزلة، وأحسن نادياً ومجلساً، وأكثر جاها وأنصاراً، فيتفاخرون بمجالسهم ونواديهم التي يجتمعون فيها، متوهمين أن من كان غنيا ثريا صاحب مال ونفوذ وجاه ومتاع وأثاث كان على الحق والصواب، ومن كان فقيرا كان على الباطل، إنها النظرة المادية القاصرة، فليست العبرة بكثرة المال والمتاع، إنما العبرة بتقوى الله، فكم من الأمم والجماعات كانت ذات متاع وزينة ومنظر وتفاخر، إلا أنها لم تنفعهم فأهلكها اللهﷻ وأهلكهم.[2]

يقول سيد قطب: "إنها النوادي الفخمة، والمجامع المترفة، والقيم التي يتعامل بها الكبراء والمترفون في عصور الفساد، وإلى جانبها تلك المجتمعات المتواضعة المظهر والمنتديات الفقيرة إلا من الإيمان، لا أُبّهَة، ولا زينة، ولا زخرف، ولا فخامة، هذه وتلك تتقابلان في هذه الأرض وتجتمعان! وتقف الأولى بمغرياتها الفخمة الضخمة، تقف بمالها وجمالها، بسلطانها وجاهها، بالمصالح تحققها، والمغانم توفرها، وباللذائذ والمتاع، وتقف الثانية بمظهرها الفقير المتواضع، تهزأ بالمال والمتاع، وتسخر من الجاه والسلطان، وتدعو الناس إليها، لا باسم لذة تحققها، ولا مصلحة توفرها، ولا قربى من حاكم، ولا اعتزاز بذي سلطان، ولكن باسم العقيدة تقدمها إليهم مجردة من كل زخرف، عاطلة من كل زينة، معتزة بعزة الله دون سواه.. لا بل تقدمها إليهم ومعها المشقة والجهد والجهاد والاستهتار، لا تملك أن تأجرهم على ذلك كله شيئا في هذه الأرض، إنما هو القرب من الله، وجزاؤه الأوفى يوم الحساب"[3].

---

[1] انظر: التوحيد- صالح الفوزان-ص٨١.

[2] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-١٥٢/١٦، الجامع لأحكام القرآن- القرطبي-١٤١/١١، التفسير الموضوعي لسور القرآن-نخبة من علماء التفسير-٤٦٩/٤.

[3] في ظلال القرآن-٢٣١٨/٤.

*** أثر الاعتدال في النظرة للحياة ودوره في ميدان الإصلاح والتغيير:**

إن من منهج القرآن في الإصلاح والتغيير مجيء الإسلام بتوازن واعتدال، فخلق الإنسان من طين وروح، ومن حكمة الله أن يخلق الله هذا الإنسان من هذين العنصرين، فبعنصره الطيني يسعى في هذه الأرض ويعمّرها ويصلحها، وإن كان فيه الجانب الروحي متيقظاً فسيستغل هذه العمارة لطاعة الله، وللقرب منه ﷻ، فإذا نودي للصلاة يترك العمل ويغلق المحل، ويترك التجارة، ويترك الزوجة والأولاد، ويترك المنصب، ويذهب للصلاة، وإذا ما أدّى الصلاة وأدى حق الله ﷻ ينطلق إلى عمله، يسعى في الأرض، ويأكل من الحلال الطيب، قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص:٧٧].[١]

ولنا في رسولنا ﷺ قدوة، فقد وازن بين الدين والدنيا، وبين الروح والمادة، فلم يغلب جانباً على حساب جانب، فقد كان يدعو الله ويقول: **(اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر)**[٢]، فإن سيرنا على منهج القرآن وعلى خطى الحبيب ﷺ بالاعتدال في نظرتنا للحياة، وتركنا للنظرة المادية القاصرة، إصلاح لنا ولمجتمعاتنا للوصول إلى ما يرضي ربنا ﷻ.

---

[١] انظر: سلسلة التربية لماذا- محمد حسان- ٣/٧- دروس صوتية مفرغة من الشبكة لإسلامية www.islamweb.net.

[٢] صحيح مسلم-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل- ٤/٢٠٨٧-رقم٢٧٢٠.

الفصل الثالث

الإصلاح والتغيير في سورة طه

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي

المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي

المبحث الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي

المبحث الخامس: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي

المبحث الأول

منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الله في إلوهيته وربوبيته

المطلب الثاني: توحيد الله في أسمائه وصفاته

المطلب الثالث: ترسيخ الإيمان باليوم الآخر

المطلب الرابع: إعذار الله إلى الخلق بإرسال الرسل

المطلب الخامس: النظر في آيات الله الكونية

المطلب الأول: توحيد الله في إلوهيته وربوبيته

لقد جاءت سورة طه تحمل منهجية الإصلاح والتغيير، بتصحيح العقيدة الفاسدة، والدعوة للتوحيد الخالص، حيث نزلت في الفترة التي جهر الرسول ﷺ بالدعوة، وكان الكفار في منتهى الشرك، بعبادتهم للأصنام، وتعظيمهم للآلهة من دون الله، ففي هذا الجو الجاهلي نزلت سورة طه ترسخ مبادئ العقيدة الصحيحة، وتستبدل عقيدة الشرك بعقيدة التوحيد لله ﷻ.[١]

*** منهجية الإصلاح والتغيير من خلال توحيد الربوبية في ضوء سورة طه:**

لقد جاء في سورة طه تقرير قضية توحيد الربوبية، والتأكيد عليها، من خلال تكرار لفظة "رب" في السورة (خمساً وعشرين) مرة[٢]، للدلالة على أن الله ﷻ ربّ كل شيء ولا رب غيره.

وقد أكدت السورة على توحيد الربوبية، لترسخ التوحيد الصحيح، الذي فيه الصلاح والنجاة، وذلك من خلال بيان معاني الربوبية، ففي سياق الحديث عن عظمة القرآن قال تعالى: ﴿**تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا**﴾ [طه:٤] فبيّن ﷻ أن القرآن منزل من عند الله الذي خلق السماوات والأرض، فهو الخالق، رب كل شيء، القادر على ما يشاء.[٣]

ومن معاني ربوبيته ﷻ التي بينتها السورة أنه مالك ما في السماوات والأرض، وما بينهما من الموجودات الكائنة، وما تحت الثرى، أي ما واراه في التراب من معادن وفوسفات ومناجم تحت الأرض وغير ذلك، قال تعالى: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ [طه:٦] ، فهو مدبر الكون والمتصرف به، والجميع في قبضته، وتحت تصرفه، ﷻ لا رب غيره، ولا إله سواه.[٤]

---

[١] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن–نخبة من علماء التفسير–٥٠٠/٤.

[٢] الآيات:(١٢، ٢٥، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ١٠٥، ١١٤، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤) ، وقد تكررت اللفظة في إحدى هذه الآيات مرتين.

[٣] انظر: تفسير القرآن العظيم–ابن كثير–٢٧٣/٥.

[٤] انظر: تفسير القرآن العظيم–ابن كثير–٢٧٣/٥، جامع البيان–الطبري–٢٧١/١٨، تفسير المراغي–المراغي–٩٦/١٦.

ومن منهجية الإصلاح والتغيير في توحيد الربوبية، ما جاء في حوار موسى عليه السلام مع فرعون حول الربوبية، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ۞ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ۞ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ۞ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى۞ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه:٤٩-٥٥]

تضمنت هذه الآيات الكريمة حوار موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون لإثبات الربوبية، من خلال ما حشده موسى عليه السلام من دلائل على ذلك، لإقناع فرعون الذي أنكر الربوبية، بل ادّعاها لنفسه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النَّازعات:٢٤] ، وذلك عندما سأل موسى وهارون عليهما السلام عن ربهما، ولم يسأل عن ربه لإنكاره للحق، أجابه موسى عليه السلام إجابة شافية، ليصحح له عقيدته الفاسدة، فوصف موسى عليه السلام ربه بأوصاف لا يمكن لفرعون أن يتصف بها، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ وصفه بأنه الذي وهب الوجود لكل موجود، في الصورة التي أوجده بها، ثم هدى كل شيء إلى وظيفته التي خلقه لها، وأمده بما يناسبه، وأعانه عليها، يقول سيد قطب: "وهذا الوصف الذي يحكيه القرآن لهم عن موسى عليه السلام يلخص أكمل آيات الألوهية الخالقة المدبرة لهذا الوجود: هبة الوجود لكل موجود، وهبة خلقه على الصورة التي خلق بها، وهبة هدايته للوظيفة التي خلق بها"[1].

وعندما سأل فرعون عن شأن القرون الأولى أجابه موسى عليه السلام بأن علم الغيب عند الله ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾، فأحاله إلى ربه الذي لا يفوت علمه شيء، فعلم الغيب لله، ومصير البشر والتصرف في شأنهم بيده سبحانه وتعالى.

ثم يكمل موسى عليه السلام الأدلة على الربوبية ببيان أن تمهيد الأرض، وما فيها من سبل للسير والحرث والزرع والحياة، وإنزال المطر المنبت للزرع أزواجا بأصناف مختلفة، للأكل والمرعى، كله من الله سبحانه وتعالى، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى۞ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ فهو الخالق المالك المتصرف بهذا الكون، المحيي المميت، الذي أحيانا ولم نكن شيئا، وسيخرجنا

---

[1] في ظلال القرآن-٤/٢٣٣٨.

بعد مماتنا مرة أخرى كما أخرجنا أول مرة، قال ﷻ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ وذكر الأرض هنا مناسب لمشهد تكبر الطاغية المنكر للربوبية، ففيه تذكير بأنه من هذه الأرض وإليها، وأنه من الأشياء التي خلقها الله، ليعلم أن الله ربه وربّ كل شيء.[1]

*** منهجية الإصلاح والتغيير من خلال توحيد الإلوهية في ضوء سورة طه:**

إن في قوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨] إعلان من الله بوحدانيته، من خلال كلمة التوحيد التي تعني لا معبود بحق إلا الله، فتتضمن نفي جميع الآلهة التي تعبد من دون الله، وإثبات الإلوهية والعبودية لله ﷻ، فهو المستحق أن يفرد في العبادة.[2]

والتوحيد هو أول ما يجب على المكلفين معرفته، وهو أول ما يبتدأ به الإصلاح، لذا كان توحيد الإلوهية أول الأسس التي أوحى الله ﷻ بها إلى موسى عليه السلام في مشهد المناجاة بالواد المقدس، فقال له عند بدء الحوار معه: ﴿... فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۞ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ...﴾ [طه: ١٣-١٤] فهذا أول ما يجب معرفته، أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وقد أكدها الله ﷻ في ندائه لموسى عليه السلام بكل المؤكدات، بالإثبات المؤكد، وبالقصر المستفاد من النفي والاستثناء، لإثبات الإلوهية لله، ونفيها عن سواه، لأن الإلوهية هي قوام العقيدة الصحيحة، وإن باجتلاب موسى عليه السلام إلى الوادي المقدس لتلقي الوحي، حين كان يبحث عن نور في ظلمة، لدليل على أنه سيتلقى ما به إنارة ونور للناس، بدين صحيح بعد ظلمة الضلال وسوء الإعتقاد.[3]

ومن منهجية الإصلاح والتغيير في توحيد الإلوهية، ما جاء في سورة طه من إبطال موسى عليه السلام لعقيدة الشرك في حواره مع عبدة العجل، يقول سيد قطب: "وعلى مشهد الإله المزيف، يحرق وينسف، يعلن موسى عليه السلام حقيقة التوحيد ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨]"[4]، حيث عكف بنو إسرائيل على عبادة العجل ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٢٩٨/٥، جامع البيان-الطبري-٣٢٠/١٨، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥٠٦/١، التسهيل لعلوم التنزيل-ابن جزي-٨/٢، في ظلال القرآن-سيد قطب-٤٣٣٩/٤.

[2] انظر: إرشاد العقل السليم-أبي السعود-٥/٦، شرح ثلاثة الأصول-محمد العثيمين-٧١/١.

[3] انظر: في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٣١/٤، التفسير المنير-الزحيلي-١٨٩/١٦، التحرير والتنوير-ابن عاشور-١٩٥/١٦.

[4] في ظلال القرآن-٢٣٤٩/٤.

جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه:٨٨] وقد رد عليهم ربنا بما يبطل عبادتهم للعجل، وما يبين فضيحتهم، بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه:٨٩] أفلا يرون أنه لا يجيبهم إذا سألوه، وأنه لا يضر ولا ينفع في دنياهم وآخرتهم، ثم يستدل موسى عليه السلام على بطلان عبادة العجل بالدليل الحسي، الذي لا يحتاج إلا إلى المشاهدة، حيث حرقه وألقاه في اليمّ ﴿... وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه:٩٧] فأيُّ إله هذا الذي يحرق ويلقى في النار! ويختم موسى عليه السلام حواره معهم بالتأكيد على الإلوهية الخالصة بعد أن أبطل عبادة العجل بقوله: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨] أي إن هذا العجل الذي فتنتم به ليس بإله، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو، الذي له عبادة جميع الخلق، ولا تصلح العبادة لغيره، فهو المستحق للعبادة، وهكذا بدأت قصة موسى بالتوحيد الخالص، وختمت به شأن رسالة كل نبي.[1]

*** دور الإيمان بربوبية الله وألوهيته في الإصلاح والتغيير:**

لقد كفر مشركو قريش بالتوحيد، وأشركوا مع الله، ففسدت عقيدتهم، وعاشوا في جاهلية وشر، حتى جاء الإسلام لينقلهم من هذه العقيدة الفاسدة إلى العقيدة الصحيحة التي فيها النجاة، يقول سيد قطب: "وكانت النقلة عظيمة بين الشرك بالله وتعدد الأرباب، وعبادة الملائكة وتماثيلها، والتعبد للجن وأرواحها، وسائر هذه التصورات المضطربة المفككة التي تتألف منها العقيدة الجاهلية، وبين الصورة الباهرة التي يرسمها القرآن للذات الإلهية الواحدة وعظمتها وقدرتها"[2].

وإن ما نراه اليوم من مظاهر مخالفة للتوحيد، وأهمها تنصيب الطواغيت الظالمين لأنفسهم آلهة من دون الله، هو ما دعا الشعوب المسلمة أن تقيم ثوراتهم التي نشهدها، ثورات الربيع العربي الإسلامي، للإطاحة بهذه الطواغيت التي تجبرت، وسفكت الدماء، وحكمت بغير شرع الله، حتى يصعد الإسلاميون، أهل العقيدة الصحيحة، ليأخذوا بالشعوب نحو التوحيد الخالص، وتعبيد الناس لله سبحانه وتعالى، وإصلاح وتغيير حالهم لما يرتضيه منهج القرآن القويم.

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٣١١/٥، جامع البيان-الطبري-٣٦٧/١٨، في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٤٨/٤، التفسير المنير-الزحيلي-٢٧٣/١٦.

[2] في ظلال القرآن-٣٦٥٢/٦.

المطلب الثاني: توحيد الله في أسمائه وصفاته

وصف الله ﷻ نفسه بصفات الكمال، ووصف أسماءه بأنها الأسماء الحسنى، والواجب علينا أن نثبت ما أثبته الله لنفسه من أسماء حسنى وصفات الكمال، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، المنهج القويم بإذن الله، وسورة طه ذكرت بعض هذه الصفات حتى تصحح التصور عن أسمائه وصفاته، وتصلح الاعتقاد الفاسد، وتستبدله بالعقيدة السليمة.[١]

*** منهجية الإصلاح والتغيير من خلال توحيد الأسماء والصفات في ضوء سورة طه:**

أثبت الله ﷻ لنفسه الأسماء الحسنى الدالة على التقديس والتمجيد، قال تعالى : ﴿**اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [طه:٨] فهي تدل على أحسن مسمّى وأشرف مدلول، يجب أن نؤمن بها، وما تدل عليها من معاني، وندعوه بها، ونلجأ إليه بالدعاء بها، فبالإيمان بها واستشعار معانيها يزداد المؤمن إيماناً، ويزيده ذلك إعراضاً عن معصيته ﷻ.[٢]

ومن أسمائه ﷻ (الرحمن) قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥] حيث سمّى الله نفسه بالرحمن، ودلّ ذلك على صفة من صفات الكمال لله ﷻ صفة (الرحمة)، فرحمة الله واسعة، والعبد يستشعر رحمة الله له في كل شيء في حياته، حيث وصفه هنا بالرحمة في هذه الآية بعد وصفه بخالقية السماوات والأرض للإشعار بأن خلقهما من رحمة الله، وللإشارة إلى أن تنزيل القرآن من رحمته ﷻ، قال تعالى: ﴿**تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا ۞ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٤-٥]، وهذا يدعونا إلى شكره على إحسانه علينا بالرحمة البالغة.[٣]

ومن صفاته ﷻ صفة (الاستواء)، حيث دلّ قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥] على صفة الاستواء على العرش، استواء يليق بجلاله، ويناسب عظمته، فيجب أن نفهم هذه الآية من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، وهذا هو مذهب السلف.[٤]

---

[١] انظر: شرح ثلاثة الأصول-محمد العثيمين-ص٨٨.

[٢] انظر: تفسير المراغي-٩٦/١٦، الإيمان-محمد ياسين-ص٢٠، الإيمان بالله-علي الصلابي-ص٩٣.

[٣] انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم-أبي السهود-٥/٦.

[٤] انظر: تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٢٧٣/٥، عقيدة أهل السنة والجماعة-محمد العثيمين-ص٩.

وقد دلّت سورة طه على صفة (علم الله المطلق)، حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧]بينت الآية دقة علم الله، فعلمه لا حدود له، ولا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما نعلن من القول، وما نُسر لأنفسنا أو لغيرنا، ويعلم ما هو أخفى من السر، مما علمه الله مما حدّث به المرء نفسه وأخفاه عن غيره، ويعلم ما نُسر اليوم وما سنُسر غدا مما لا نعلمه، فقد أحاط بكل شيء علما،قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨][١]. وعلم الله يشمل الغيب، فهو المختص به، وقد بيّن ذلك موسى عليه السلام في إجابته لسؤال فرعون عن حال القرون الأولى ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه:٥٢] فالله عالم بكل المعلومات أبد الآباد، فعلمه مطلق سبحانه وتعالى لا حدود له[٢].

*** أهمية الإيمان بأسماء الله وصفاته في الإصلاح والتغيير:**

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته له أثر كبير على صلاح الإنسان، ومثالاً على ذلك أن معرفة المرء أن علمه سبحانه وتعالى يشمل خفايا الذات الإنسانية، يجعل الإنسان يرتدع عن ارتكاب المعاصي، ويديم المراقبة لله سبحانه وتعالى، بل ويزداد أنساً بقربه من ربه، وهذا من شأنه أن يُصلح حاله يقول سيد قطب: "والقلب حين يستشعر قرب الله منه، وعلمه بسره ونجواه، يطمئن ويرضى ويأنس بهذا القرب، فلا يستوحش من العزلة بين المكذبين المناوئين، ولا يشعر بالغربة بين المخالفين له في العقيدة والشعور"[٣]. [٤]

المطلب الثالث: ترسيخ الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر هو ركن من أركان الإيمان، ويعني أن نؤمن بكل ما أخبر به الله عز وجل مما يكون بعد الموت، من بعث وحشر وحساب وجنة ونار[٥]، ولا صلاح للفرد ولا رفعة للأمة إلا إذا آمنوا به، وأعدوا العدة له، لذا جاءت سورة طه ترسخ الإيمان باليوم الآخر، وتعرض بعض مشاهده وأهواله، لتستبدل العقيدة الفاسدة بالعقيدة الصحيحة

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٥/٢٧٥، جامع البيان-الطبري-١٨/٢٧٢.

[٢] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-١٦/٢٢٨.

[٣] في ظلال القرآن-٤/٢٣٢٨.

[٤] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن-نخة من علماء التفسير-٤/٥٢٠.

[٥] انظر: الإيمان-محمد ياسين-ص٧٠.

*** منهجية الإصلاح والتغيير من خلال الإيمان باليوم الآخر في ضوء سورة طه:**

إن من منهج سورة طه في ترسيخ العقيدة الصحيحة، أن قررت وقوع الساعة، ففي مشهد مناجاة موسى عليه السلام لربه، أوحى الله إليه أن الساعة قائمة لا محالة، وأنه لا شك في وقوعها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾ [طه:١٥] فالساعة هي الموعد المرتقب للجزاء، الذي تراقبه النفوس وتحسب حسابه، وقد أخفى الله موعدها ليحثنا على الاستعداد الدائم لهذا اليوم المهيب، الذي تحاسب فيه كل نفس بما قدمت.[١]

وحذّر الله موسى عليه السلام أن يُصرف ويُصدّ عن الإيمان بهذا اليوم، قال تعالى: ﴿**فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**﴾ [طه:١٦] أي إياك أن يصرفك عن الإيمان والتصديق بها والاستعداد لها مَنْ كفر واتبع تصوراته الفاسدة، فإن اتباع العقيدة الفاسدة يؤدي إلى الهلاك، والخطاب ليس لموسى عليه السلام فقط، بل يشمل جميع الناس، ومن هنا كان الإيمان باليوم الآخر والاستعداد له من أهم أركان الإيمان.[٢]

– **بداية اليوم الآخر:** ويبدأ اليوم الآخر بفناء هذا العالم، وتغيرّ معالمه، حيث يخرّب كل شيء، ويحدث زلازل وقلاقل تقلع الجبال من أماكنها فتسوى بالأرض، قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۞ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۞ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا**﴾ [طه:١٠٥-١٠٧] "ويتجلى المشهد الرهيب، فإذا الجبال الراسية الراسخة قد نسفت نسفا، وإذا هي قاع بعد ارتفاع، قاع صفصف خال من كل نتوء ومن كل اعوجاج، فلقد سويت الأرض فلا علو فيها ولا انخفاض"[٣].

– **البعث:** يبعث الله الناس من قبورهم، فيُحييهم بعد إماتتهم ويخرجهم من الأرض تارة أخرى، قال تعالى: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾ [طه:٥٥] ، والناس في هذا اليوم يسرعون إلى إجابة الملك الذي يجمعهم لموقف الحساب، ولا يُسمع لهم كلام إلا الهمس ﴿**يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا**﴾ [طه:١٠٨] فتنصت الجموع المحشودة، وتخشع الأصوات للرحمن، ويُخيّم الجلال على الموقف كله، وتُغمر الساحة التي لا يحدها البصر رهبة وصمتاً وخشوعاً.[٤]

---

[١] انظر: في ظلال القرآن–سيد قطب–٢٣٣١/٤.

[٢] انظر: جامع البيان–الطبري–٢٩١/١٨، التفسير المنير–الزحيلي–١٩٠/١٦.

[٣] في ظلال القرآن–سيد قطب– ٢٣٥٢/٤.

[٤] انظر: في ظلال القرآن–سيد قطب–٢٣٥٢/٤.

- **الحساب:** يوم القيامة يحاسب الله كل إنسان بما قدم، ولا يشفع أحد عنده من الخلق إلا إذا أذن بالشفاعة، ولا يأذن لأحد إلا لمن رضي شفاعته من الأنبياء، ﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾ [طه:١٠٩]، وحينها تستسلم الخلائق للحي الذي لا يموت، ويُحرم الثواب من حمل ظلماً لنفسه، وخاب وخسر من لقي الله على الكفر والانغماس في المعاصي ﴿**وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**﴾ [طه:١١١]، وأما من يعمل صالح الأعمال، وهو مؤمن بربه ورسله، فلا يخاف من الله ظلما بأن يحمل عليه سيئات غيره فتزداد أوزاره، ولا يخاف أن يهضمه حسناته فينقصها، بل تغفر ذنوبه وتطهر، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا**﴾ [طه:١١٢].[1]

- **مشاهد من جزاء المعرضين:**

قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۞ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ القِيَامَةِ وِزْرًا ۞ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلًا ۞ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۞ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۞ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا**﴾ [طه:٩٩-١٠٤] تعرض الآيات مشهداً من مشاهد يوم القيامة، ببيان حال من أعرض عن الذكر الحكيم، فهؤلاء يحملون أوزارهم كما يحمل المسافر أثقاله، وبئس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه، فحين ينفخ في الصور، ويخرجون من قبورهم، يحشرون زُرق الوجوه من الخوف والقلق، ومن الرهبة المخيّمة على ساحة الحشر، ويتساءلون فيما بينهم عن الأعمار التي عاشوها على الأرض، فيقول بعضهم لبعض سراً: ما لبثتم في الدنيا إلا قليلاً بمقدار عشرة أيام أو نحوها، أي يستقصرون مدة مقامهم في الدنيا، بمقارنتها بأيام الآخرة الطويلة الأمد، لشدة ما يرون من أهوال يوم القيامة.[2]

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى ۞ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾ [طه:١٢٤-١٢٧] تبين

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥١٣/١، تفسير المراغي-المراغي-١٥٣/١٦،

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥٣١/١، في ظلال القرآن- سيد قطب- ٢٣٥٢/٤، التفسير المنير- الزحيلي- ٢٨٢/١٦.

الآيات عقاب كل من أعرض عن القرآن، وجاوز الحد في المعصية، ولم يصدق بآيات ربه، فكما تركها ولم ينظر فيها في الدنيا، فإنه يحشر يوم القيامة أعمى، ويترك في العذاب في جهنم، علما بأن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فلا ينقطع ولا ينقضي.[1]

- **الجنة والنار**: لقد جعل الله الجنة ثواب المؤمنين، وجعل النار جزاء الكافرين، فقال: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ۞ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا۞جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى**﴾ [طه:٧٤-٧٦]

يخبر ﷻ أنه من يأتي يوم القيامة وقد استمر على الكفر فإن مصيره إلى جهنم الشديد نكالها، العظيمة أغلالها، البعيد قعرها، ومن يأته مؤمناً به عاملا للصالحات، فله جنات عدن، والمنازل العاليات، جزاء بما قدم، وطهّر نفسه من الكفر والمعاصي.[2]

*** دور الإيمان باليوم الآخر في الإصلاح والتغيير:**

إن إيمان المرء بأنّ هذه الحياة رحلة مؤقّتة يتبعها يومٌ آخر، يبعث الله فيه الخلائق، ويحشرهم إليه جميعاً، ويحاسبهم على أعمالهم ، فإما مصيره إلى جنة وإما إلى نار، يجعله يُقوّم نوازع النفس، فيرشدها ويقوّمها كلما تذكر معادها ونهايتها، وهذا مبعث إصلاح وتغيير له، فيصبح إنساناً قرآنياً، سائراً على أوامر الله، عالما بعاقبة عمله، فان كان خيرا فخير، وان كان شرا فشر، فالإيمان باليوم الآخر هو الضابط للإنسان في كل شيء، في أقواله وأفعاله، وسكناته وحركاته.

المطلب الرابع: إعذار الله إلى الخلق بإرسال الرسل

إن من رحمته ﷻ بعباده أن أرسل إليهم الرسل، ليبينوا لهم منهج الله ﷻ، الذي ينير نفوسهم ويحييها ويصلحها، ويضمن لهم السعادة في الدنيا والآخرة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام، فالرسل هم سفراء الله إلى عباده، ليبلغوا الأمانة التي تحمّلوها، وهي دعوة الناس إلى الله وتعبيدهم له، فمن اتبعهم فقد فاز، ومن ضل فقد خسر، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ...**﴾ [النحل:٣٦] .

---

[1] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-٣٠٢/١٦.

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥٠٩/١.

*** منهجية إعذار الله إلى الخلق بإرسال الرسل في ضوء سورة طه:**

إن من منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة طه أنها جاءت تصلح الأفراد والمجتمعات من خلال بيان اختيار الله للأنبياء واصطفائهم من بين الخلق، ليحملوا رسالة الإصلاح للناس ويقيموا عليهم الحجة.

– **النبوة اختيار واصطفاء:** إن الله يختار للنبوة المصطفين الأخيار من عباده ﴿**اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ** ...﴾ [الحج:٧٥] ومن اختاره الله فقد نال أعلى مراتب التشريف والتكريم، وقد بين الله ذلك لموسى عليه السلام حين كلفة بالرسالة في مشهد المناجاة فقال ﷻ له: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ [طه:١٣] ، وكذلك حين كلفه بدعوة فرعون ، امتن عليه بالنعم التي أنعمها عليه ومنها أن اصطفاه لحمل رسالته فقال ﷻ مخاطبا له: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[طه:٤١] أي أنعمت عليك نعماً كثيرة، ومننت عليك بها، اجتباءً مني، واختياراً لرسالتي، والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي، فاخترتك لإقامة حجتي، فامض لما اصطنعتك له خالصاً مستخلصاً لرسالتي ودعوتي.[1] فالنبوة فضل من الله ﷻ يختص بها من يشاء من عباده، وهو أعلم بمن يصلح لهذا الشأن، فهو صاحب الخلق والتدبير، بيده الاختيار والاصطفاء.

– **إقامة الحجّة والإعذار إلى الخلق بالرسل:** لقد أرسل الله الرسل كي يقيموا على الناس الحجّة، وحتى لا يكون لهم عذر يحتجون به، قال تعالى: ﴿.. **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [الإسراء:١٥] ، ولو لم يرسل الله الرسل إلى الناس لجاءوا يوم القيامة يخاصمون ربهم، ويقولون كيف تعذبنا دون أن ترسل إلينا من يبلغنا مرادك منا، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**﴾ [طه:١٣٤] أي فلو أهلك الله المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ينزله عليهم، ومن قبل أن يبعث رسولا داعيا يدعوهم إلى ما فرضه عليهم، لقالوا يوم القيامة، حين يريد عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك، فنتبع آياتك وحجتك، وما تنزله عليه من أمرك ونهيك، ونسير على المنهج الذي تريد من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ونخزى به.[2] ولكن قطع الله عليهم دعوى

---

[1] انظر: جامع البيان–الطبري–٣١٢/١٨، إرشاد العقل السليم–أبي السعود–١٧/٦، في ظلال القرآن–سيد قطب–٢٣٣٦/٤، تفسير المراغي–المراغي–١١٢/١٦.

[2] انظر: جامع البيان–الطبري–٤٠٨/١٨، الرسل والرسالات–عمر الأشقر–ص٥٢.

الاحتجاج فأرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

*** أهمية إرسال الرسل في الإصلاح والتغيير:**

إن من لطف الله وكرمه وعظيم منّه، أنه لم يتركنا عبثاً، بل أرسل إلينا رسولاً بيّن لنا الإيمان، وأوضح لنا الطريق، وأبان لنا الحجة، وأظهر الله ﷻ به دينه على العالمين، وبيَّن لنا ما يسعدنا وما فيه فلاحنا في الدنيا والآخرة، فإذا اتبعنا ما أنزله الله ﷻ على نبينا ﷺ وتمسكنا به؛ تغيّر حالنا من الذل إلى العزة، ومن الشتات والفرقة إلى الألفة والمحبة، ومن الهزيمة إلى النصر، ويحدث التغيير والإصلاح المنشود بإذن الله.

يقول ابن القيم: "فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير ... إذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم" [1].

المطلب الخامس: النظر في آيات الله الكونية

لقد جاء القرآن الكريم يصلح النفس البشرية من خلال الدعوة إلى التأمل والنظر في آيات الله في خلقه، للاهتداء إلى عظمته ﷻ، فمن عظيم كرم الله أن جعل هذا الكون كله يُذكّر به ﷻ، فإذا نظر العبد أمامه أو خلفه، أو على يمينه أو شماله، أو فوقه أو تحته، وجد شواهد عظمة الله ودلائل وحدانيته في خلقه ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ

---

[1] زاد المعاد-١/٦٩.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصّلت:٥٣] ، والتفكر في خلق الله ﷻ من صفات المؤمنين الصادقين، أصحاب العقول السليمة الراشدة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

*** منهجية الإصلاح والتغيير من خلال النظر في آيات الله الكونية في ضوء سورة طه:**

إن في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه:٦] لدلالات واضحة على عظمة خلق الله، فالتأمل في خلق السماوات بلا عمد، وما اكتشفه العلم الحديث بالنظر والتأمل واستخدام وسائل علمية من مراحل حياة النجوم، والكواكب وحجم الأرض ومكوناتها، وما في باطن الأرض من مياه ومعادن وبترول وغير ذلك، لتدل على عظمة الخالق[١]، يقول سيد قطب: " والمشاهد الكونية تستخدم في التعبير لإبراز معنى الملك والإحاطة في صورة يدركها التصور البشري"[٢].

ولمّا كان التأمل في خلق الله سبب للهداية، ومنهجية إصلاح وتغيير، دعا موسى عليه السلام فرعون للتأمل والنظر في مخلوقات الله، للوصول إلى الخالق ﷻ، حيث عرض عليه آثار تدبير الله في الكون حين سأله عن ربه، واختار بعض هذه الآثار المحيطة لفرعون، والمشهودة له في مصر، ذات التربة الخصبة، والماء الموفور، والزرع والأنعام[٣]، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ۞ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه:٥٣-٥٥]، فهذه دعوة للتأمل في مخلوقات الله، فلنتأمّل إلى نعمة الأرض رغم كرويتها إلا أنها ممهدة كالفراش للاستقرار والعيشَ!، ولنتأمل كيف يخرج الله النبات من الأرض بواسطة إنزال المطر، ولنتأمل أصناف النبات المختلفة الأنواع والألوان تخرج من الأرض، ومنها الصالح للإنسان ومنها للحيوان، ولنتأمل إلى خلق الإنسان كيف خلقه الله من الأرض أي من

---

[١] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن-نخبة من علماء التفسير-٥١٧/٤.

[٢] في ظلال القرآن-٢٣٢٨/٤.

[٣] انظر: في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٣٨/٤.

طين، ثم يعيده منها بعد الموت ويخرجه للبعث[1]، كلها دلالات واضحة على قدرة الله وعلى وحدانيته ﷻ، تدعو العبد صاحب العقل السليم أن يعتبر ويتعظ، ويجعل من هذا التأمل لحظة تحول لحياته وتغير نحو ما هو صلاح لشأنه من التزام بمنهج الله القويم، وقد بيّن الله ﷻ في ختام الآيات أن هذه الآيات العظيمة يعتبر بها أولي النّهى، أصحاب العقول السليمة، الذين يتفكرون في هذا الكون، الذي يدل على عظمة الله، قال تعالى: ﴿... **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى**﴾ [طه:٥٤] أي إن هذه النعم التي وصفت في هذه الآيات من قدرة ربكم وعظيم صنعه لآيات ودلالات وحجج على وحدانية الله، لا يعتبر بها إلا أصحاب العقول السليمة الذين يتفكرون ويعتبرون[2].

*** أثر التفكر في خلق الله في الإصلاح والتغيير:**

إن التفكر في خلق الله ﷻ يزيد الإيمان في القلب ويقويه ويرسخ اليقين، ويجلب الخشية لله وتعظيمه، وكلما كان الإنسان أكثر تفكراً وتأملاً في خلق الله وأكثر علماً بعظمته كان أعظم خشية له ﷻ كما قال تعالى: ﴿... **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ...﴾ [فاطر:٢٨]، فينبغي للمسلم أن يعتني بالتفكر في الكون وعظيم خلق الله، وألا يغفل عن النظر والتفكر في نفسه وفيما حوله من المخلوقات العظيمة؛ لأنه مع طول الزمن والغفلة قد يتبلد إحساس الإنسان، فإذا وفق العبد للتفكر نال سعادة الدارين، ونال الخير والصلاح، وتغير واقعه من حال إلى حال أفضل، فاللهم أصلح حالنا، وبدّل أحوالنا بما يرضيك عنّا.

---

[1] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-٢٢٩/١٦.

[2] انظر: جامع البيان- الطبري-٣٢١/١٨، تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٣٠٠/٥، تفسير المراغي-١١٩/١٦.

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: العناية بالصلاة خاصة

المطلب الثاني: الحث على التوكل على الله

المطلب الثالث: التحذير من ترك الشكر

المطلب الرابع: الإسراع في الطاعة

المطلب الخامس: تحقيق الاهتداء والاستقامة

المطلب السادس: السعي إلى زيادة العلم

المطلب الأول: العناية بالصلاة خاصة

لقد عظّم الله شأن الصلاة، فكانت عمود الإسلام، وأعظم أركانه بعد الشهادتين، وأول ما يحاسب عليها العبد؛ فإن صلحت صلح باقي الأعمال، وإن رُدت على العبد رُدّ عليه باقي عمله، فعن النبي ﷺ قال: **(أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر)**[1] لذا كان النبيّ ﷺ كثير العناية بالصلاة، بل قال ﷺ **(.. وجُعل قرة عيني في الصلاة)**[2]، وكان حكمه على تاركها بالكفر فقال ﷺ: **(إن بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة)**[3].

*** العناية بالصلاة خاصة في ضوء سورة طه:**

لقد أمر الله ﷻ نبيّه موسى عليه السلام في حوار التكليف بأداء الصلاة، قال تعالى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه:١٤] أي أدّ الصلاة على الوجه الذي أمرتك به مستوفياً أركانها وشروطها لتذكرني وتدعوني[4].

والمتأمل في هذه الآية يجد أن الله أمره بالتوحيد أولاً، ثم بالعبادة، وخصّ منها الصلاة، فالصلاة هي القاعدة التي يبنى عليها الدين الذي جاء به الأنبياء، وهذا تنبيه على عظم قدر الصلاة، وفضلها على سائر العبادات[5]، وتخصيص الصلاة بالذكر مع كونها داخلة في العبادة المأمور بها، "لأن الصلاة أكمل صورة من صور العبادة، وأكمل وسيلة من وسائل الذكر، ولأنها تتمحض لهذه الغاية، وتتجرد من كل الملابسات الأخرى، وتتهيأ فيها النفس لهذا الغرض وحده، وتتجمع للاتصال بالله"[6]، وخُصّت الصلاة بالذكر أيضاً لأنها المناجاة التي يناجي بها العبد ربه، ويكشف فيها عن ولائه، وما ينطوي القلب من تعظيم لله وانقياد وخضوع لجلاله، ولأنها العبادة الدائمة التي لا تنحل عن المؤمن، فتتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، ولا عذر أبداً يبيح تركها، فتصلى قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً، أو إيماءً بالرأس والجفون[7].

---

[1] سنن الترمذي–أبواب الصلاة–باب ماجاء أول ما يحاسب–٢٦٩/٢–رقم٤١٣، قال الألباني: صحيح.

[2] سنن النسائي–كتاب عشرة النساء–باب حب النساء–٦١/٧– رقم٣٩٣٩، قال الألباني: حسن صحيح.

[3] صحيح مسلم–كتاب الإيمان–باب اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة–٨٨/١–رقم٨٢.

[4] انظر: نفسير المراغي–المراغي–٩٩/١٦.

[5] انظر: إرشاد العقل السليم–أبو السعود–٨/٦.

[6] في ظلال القرآن–سيد قطب–٢٣٣١/٤.

[7] انظر: التفسير القرآني للقرآن–عبد الكريم الخطيب–٧٨٥/٨، الخواطر–الشعراوي–٩٢٤٠/١٥.

*** الإصلاح والتغيير في العناية بالصلاة:**

إن الصلاة صلة بين العبد وربه، يقف بين يديه مكبراً معظماً، يتلو آياته، ويسبحه ويعظمه، ويسأله من فضله، فيشعر باللذة والأنس بربه، ويخرج منها بقلب غير القلب الذي دخلها فيه، يخرج منها مملوءًا قلبه طمأنينة وإيماناً، والصلاة تربي النفس على طاعة الخالق، وتعلِّمه العبودية، بما تغرسه في قلب صاحبها من قدرة الله وعظمته، وبطشه وشدته، ورحمته ومغفرته، كما تجمّله بمكارم الأخلاق، وتسمو بنفسه عن الصفات السيئة، وتعوِّده على الدقة في الموعد، والحرص على الوقت، وتنظم له أوقاته فيتعوَّد على النظام في جميع أموره، وعندما يتجه المصلون في أنحاء الدنيا إلى القبلة، يشعر المسلم بالتآلف والوحدة، فكلُّ المسلمين عبيدٌ لله، إلههم واحد، وقبلتهم واحدة، ودينهم واحد، لا فرق بينهم، وبصلاة المسجد يعيش المسلم آلام إخوانه المسلمين وآمالهم، فيصبح عنصراً فعالاً في جماعته ومجتمعه، لذا جدير بمن عرف حقيقة الصلاة وفائدتها وأهميتها أن تكون أكبر همه، وأن يكون منتظرا إليها بغاية الشوق، وأن يحرص عليها ويحافظ عليها، ويؤديها بكامل شروطها وأركانها.[1]

*** مراتب الناس في الصلاة :**

لقد ذكر ابن القيم مراتب الناس في الصلاة، حريٌّ بنا أن نتعرف عليها، ونقيّم أنفسنا من أي مرتبة ننتمي؛ لنرتقي بأنفسنا إلى المرتبة الأفضل بإذن الله، والمراتب هي:

"أحدها: مرتبة الظّالم لنفسه المفرّط، وهو الّذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها. الثّاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظّاهرة ووضوئها، لكن قد ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار. والثّالث: من يحافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوّه لئلّا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد. والرّابع: من إذا قام إلى الصّلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلّا يضيّع شيئا منها، بل همّه كلّه مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصّلاة وعبوديّة ربّه ﷻ فيها. والخامس: من إذا قام إلى الصّلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربّه ﷻ ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له ممتلئاً من محبّته وعظمته، كأنّه يراه ويشاهده، وقد اضمحلّت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربّه، فهذا بينه وبين غيره في الصّلاة أفضل وأعظم ممّا

---

[1] انظر: الضياء اللامع –محمد العثيمين–١/١٣٢، دعائم التمكين–حمد الصاعدي–١/٦٦.

بين السّماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربّه ﷻ قرير العين به. فالقسم الأوّل معاقب، والثّاني محاسب، والثّالث مكفّر عنه، والرّابع مثاب، والخامس مقرّب من ربّه ﷻ "[1].

*** مظاهر العناية بالصلاة وتحقيق الإصلاح فيها:**

- المحافظة عليها في أوقاتها، وأدائها في جماعة المسجد للرجال خاصة.
- الحرص على الخشوع والطمأنينة، وترك العبث فيها، وأداء المشروعات من الأذكار.
- المحافظة عليها في السفر والإقامة، وفي الشدة والرخاء، وفي الصحة والمرض.
- التطيب وأخذ الزينة، وعدم المجيء إلى الصلاة برائحة الدخان أو البصل والثوم.
- توجيه الأولاد إليها، وكذلك الأهل والأقارب والجيران، والحث عليها، وتعليمهم إياها.
- أن يؤديها الموظفون والعاملون في دوائر عملهم في أوقاتها وعدم انشغالهم عنها.
- بناء المساجد والمصليات في المؤسسات والمدارس والأماكن العامة وكل مجمع للناس.
- تعليمها للناس بالكيفية الصحيحة في المساجد والمدارس والمؤسسات التربوية والتعليمية.

المطلب الثاني: الحث على التوكل على الله

إن الاستعانة والتوكل على الله من أفضل الأعمال المقربة إلى الله، وإن الأمور كلها لا تتم إلا بالاستعانة به ﷻ، ويتحقق التوكل على الله بالثقة الكاملة بما عند الله، فالثقة خلاصة التوكل، وبصدق اعتماد القلب عليه في استجلاب المصالح ودفع المضار، وبتفويض الأمور كلها لله مع الأخذ بالأسباب الشرعية، فإن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، وإن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب.[2]

*** التوكل على الله في ضوء سورة طه:**

إن في وحي الله لأم موسى بوضع موسى عليه السلام في التابوت وقذفه في اليم لحث للعباد على التوكل على الله، بعد اتخاذ الأسباب، وترك الأمور لله ﷻ، فللّه عاقبة الأمور، وإن من توكل عليه كفاه[3]، قال تعالى: ﴿ **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۞ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ...**﴾ [طه:٣٨-٣٩] يخاطب الله موسى عليه السلام بتذكيره بنعمه عليه، ومنها أن

---

[1] الوابل الصيب من الكلم الطيب–ابن القيم–ص٢٣.

[2] انظر: التعريفات–الجرجاني–ص٧٠، جامع العلوم والحكم–ابن رجب–٤٩٧/٢، مدارج السالكين– ابن القيم– ١٢٠/٢.

[3] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن–نخبة من علماء التفسير–٥٤٠/٤.

أوحى لأمه بطريق الإلهام أن تضعه في التابوت أي الصندوق، وتقذفه في البحر متوكلة على خالقه ليلقه اليم بالساحل، فكان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع لتعلقه بالإرادة الربانية[1]، فإن موقف أم موسى نموذج عظيم في التوكل على الله، فمعلوم أن الأم إن خافت على ولدها ألصقته بصدرها وأرضعته، ولكن الله أمرها إن خافت عليه أن تلقيه في اليم، فيصل للساحل بسلام بحفظ الله، ويردّه إليها، لنعلم أن من توكل على الله متخذاً الأسباب لن يضيعه الله، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧] ، فإن فعلها هذا هو عين ثقتها بالله ﷻ، إذ لولا كمال ثقتها بربها لما ألقت بولدها في تيار الماء[2]، "قال أهل الإشارة: من خصوصية انشراح الصدر بنور الوحي أن يقذف في قلبه قذف الولد الذي هو أعز الأشياء في تابوت التوكل وبحر التسليم، حتى يلقيه اليم بساحل إرادة الله ومشيئته"[3].

وإن في طلب موسى عليه السلام العون من الله، وأن يمده بأسباب ووسائل نجاح أداء الرسالة والدعوة، لحث على الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله من أجل تحقيق الغايات، قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [طه:٢٤-٢٩] فسأله أن يشرح له صدره للقيام بما أمره، وأن ييسر له الأمر، وأن يحسن خطابه، وأن يجعل له رفيقا في الدعوة[4]، فلابد من الأخذ بالأسباب والتوكل على مسبب الأسباب ﷻ.

*** الحاجة إلى الإصلاح والتغيير في التوكل:**

ما أحوجنا في هذا الزمان الذي طغت فيه المادة، وتعلق الناس فيه بالأسباب إلا من رحم الله، أن نجدد في أنفسنا الثقة بالله والاعتماد عليه في كل شيء، في قضاء الحوائج، وتفريج الكربات، وطلب الرزق، ونحسن الظن بربنا على الدوام، فالتوكل على الله مطلوب في كل شؤون الحياة، فمن أراد النصر والفرج والصلاح والإصلاح فعليه بالتوكل على الله مع الأخذ بأسباب العزة والتمكين، ومن أراد أن يكون وكيله الله في كل حال عليه بالتوكل على الله في كل حال، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:٣] .

---

[1] انظر: محاسن التأويل-القاسمي-١٢٥/٧، إرشاد العقل السليم-أبو السعود-١٥/٦.

[2] انظر: مدارج السالكين- ابن القيم- ١٤٢/٢.

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان-النيسابوري-٥٤٤/٤.

[4] انظر: الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-١٩٢/١١، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥٠٤/١.

المطلب الثالث: التحذير من ترك الشكر

إن واجب العبد أن يشكر الله ﷻ على نعمه التي أنعمها عليه، والعبد في كل أحواله إنما هو في نعم الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ...﴾ [النحل:٥٣] ، فنعم الله كثيرة لا حصر لها، منها خلق الأرض والسماء، والشمس والقمر، وإنزال المطر وإنبات الزرع، وخلق الأنعام، ونعمة خلق الإنسان في أحسن تقويم، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وغيرها من النعم العامة، وكذلك النعم الخاصة، إنما جعلها الله ليبتلي بها الإنسان هل يشكر أم يكفر، والشكر هو "ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة، وهو مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبّه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره"[١].

*** التحذير من ترك الشكر في ضوء سورة طه:**

إن المتأمل في آيات سورة طه الكريمة يجد أنها تشمل على إصلاح العباد من خلال تحذير الله ﷻ وتهديده لمن ترك شكره، فلما نجّا الله موسى عليه السلام وقومه من البحر، وغشي فرعون وقومه اليم، يذكّر الله الناجين من بني إسرائيل بنعمه عليهم من منافع دينية ودنيوية، بأن نجاهم من الغرق، ومن عداوة فرعون وقومه، وواعدهم جانب الطور، فأنزل الشريعة على نبيهم وهي من أعظم النعم، وأنزل عليهم نوعين من أفضل الطعام وهم في التيه، المن وهو نوع من الحلوى تتجمع على ورق الشجر، وكذلك السلوى وهو نوع من الطيور الجيدة كالسّماني، ليأكلوا منه ويتمتعوا من طيّباته، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [طه:٨٠] ، ثم يحذرهم ﷻ من ترك الشكر فيقول: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه:٨١] أي كلوا من حلال رزقنا الذي طيبناه لكم، ولا تطغوا فيه بأن تكفروا النعمة وتجحدوها، وتنسوا شكرها وشكر المنعم بها عليكم، فتخالفوا أمره، وترتكبوا المعاصي، وتعتدوا على الحقوق، ولم تعتبروا بها، فيحل عليكم غضب الرب لمجاوزتكم الحد، فتستحقوا العقاب والهلاك، والوقوع في الهاوية كما هوى فرعون عن عرشه وهوى في الماء وفي العذاب.[٢]

---

[١] مدارج السالكين–ابن القيم–٢/٢٣٤.

[٢] انظر: جامع البيان–الطبري–١٨/٣٤٦، تفسير القرآن العظيم–ابن كثير–٥/٣٠٨، الجامع لأحكام القرآن–القرطبي–١١/٢٣٠، في ظلال القرآن–سيد قطب–٤/٢٣٤٦، إرشاد العقل السليم–أبو السعود–٦/٣٣.

يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "والمراد النهي عن ترك الشكر عليه، وقلة الاكتراث بعبادة المنعم"[1].

*** الإصلاح والتغيير في شكر الله على النعم:**

إن باستحضار العبد لعظم نعم الله ﷻ عليه، ومقابلتها بالشكر والطاعة له، والاستقامة على شرعه، لصلاح له في الدنيا، ونجاة له في الآخرة، فإن النعم تقتضي الحفظ والشكر والاعتبار بها، وعدم مقابلتها بالمعصية، فتعرض صاحبها لعذاب الله، قال تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ**﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩]، فبالشكر تدوم النعم، وبكفرها يحل العقاب والنقم.

فشكر الله ﷻ يكون بطاعته والتقرب إليه والتزام أوامره وأداء فرائضه، وأن تستعمل النعمة التي وفدت إلى العبد فيما يرضي الله، وألاّ تستعمل فيما يسخط الله، فمن رزقه الله مالاً كثيراً عليه ألّا يسرف فيه، وألا ينفقه فيما يغضب الله ويخالف شرعه، بل عليه أن يشكره عليه بالتمتع فيه بما أحله له، وإنفاقه في سبيله، ومن الشكر لله على نعمة البصر ألّا ينظر إلى ما يغضب الله ويحفظ عليه هذه النعمة، ومن شكر نعمة اللسان أن يكثر العبد من ذكر الله ويجتنب الغيبة والنميمة والشتم والإيذاء باللسان، وكذلك باقي الجوارح لا بد من حفظ هذه النعم، وعدم الكفر بها، وتجاوز الحد فيها.

المطلب الرابع: الإسراع في الطاعة

لمّا كان عمر الإنسان قصيراً، والوقت يمضي، والحياة دار امتحان، كان مطلوب من الإنسان أن يبادر فيها بالطاعات مادامت الفرصة أمامه، لذا دعانا ربنا ﷻ إلى الإسراع في الطاعات، والمسابقة إلى الصالحات، والمبادرة إلى الخيرات، والتبكير في العبادات، تحصيلاً لرضاه والجنة، وسعياً لمغفرته، حيث قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[آل عمران:١٣٣]، وقال:﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ..**﴾ [البقرة:١٤٨] قال السعدي: "والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، إذ إنه ليس مجرد فعل، بل هو أكثر من ذلك، فإن الاستباق إلى الخيرات يتضمن

---

[1] التحرير والتنوير-١٦/٢٧٥.

فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات"[1]، ويرغبنا المصطفى ﷺ بذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:**(بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم...)**[2] والحديث يعني الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم [3].

***الإسراع في الطاعة في ضوء سورة طه:**

لقد واعد الله ﷻ موسى عليه السلام لينا جيه في جبل الطور، فاختار سبعين من قومه لمرافقته إلى المناجاة ليتلقوا الشريعة، فسبقهم موسى إلى الجانب الأيمن، فعاتبه ربه ﷻ ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى**﴾ [طه:٨٣] فأجابه موسى عليه السلام بأنهم قريبون منه، يلحقون به، وإنما تعجل إليه شوقاً وسعياً لرضاه ﴿**قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ [طه:٨٤] أي عجلت إليك لتزداد عليّ رضاً بالمسارعة لامتثال أمرك والوفاء بعهدك.[4]

استنبط بعض العلماء من هذه الآية أن العجلة في الدين محمودة[5]، فإذا عجّل الإنسان في توبته يرضى الله عنه، وكذلك إذا أسرع في أداء الصلاة في وقتها، وتعجل في فريضة الحج وفي دفع الزكاة، وحضور مجالس العلم، وقراءة القرآن، وكل عمل صالح فيه رضى الله.

*** تحقيق الإصلاح والتغيير من خلال الإسراع في الطاعة:**

إنّ مَن أراد صلاح شأنه فليسارع ويبادر إلى التوبة وإلى الأعمال الصالحة المقربة إلى الله ﷻ، ويستغل مواسم الطاعة كشهر رمضان والعشر من ذي الحجة التي فضلها الله، وجعلها فرص لاغتنام الأجر، وإن عليه أن يستغل شبابه قبل أن يفاجأ بمرض يصيب صحته، أو قبل أن يأتيه الموت بغتة، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال ﷺ لرجل وهو يعظه: **(اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك**

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن-١/٧٢.

[2] صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب الحث على المبادرة بالأعمال-١/١١٠-رقم١١٨.

[3] انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم-النووي-٢/١٣٣.

[4] انظر: جامع البيان-الطبري-١٨/٣٤٩، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-١/٥١١، لباب التأويل-الخازن-٣/٢٠٩.

[5] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-١٦/٢٦٥، بصائر ذوي التمييز-الفيروز أبادي-٤/٢٣.

قبل موتك)[1]، فالأيام معدودة، وما فات لن يعود، وعلى الطريق عوائق كثيرة، فما على الإنسان إلا أن يقبل على الله بشوقٍ لرضاه، فإذا أقبل الإنسان على الله ﷻ فإنه سينتقل من إقبال إلى إقبال، ومن رفعة إلى رفعة، أما إن أمضى حياته في المعاصي فهو سينتقل من ذل إلى ذل أشد، ومن ضياع إلى ضياع أشد، فبالإسراع إلى الطاعة يتحقق الإصلاح المنشود بإذن الله.

المطلب الخامس: تحقيق الاهتداء والاستقامة

إن الاهتداء والاستقامة وانشراح الصدر للإسلام أعظم مطلوب يجب أن يطلبه الناس في هذه الدنيا، ومن رُزقها رزق أعظم نعم الله، وقد أمر الله نبيّه بها فقال: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ..**﴾ [هود:١١٢] ، كما وعد الله أهل الهداية والاستقامة بالثواب العظيم فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأحقاف:١٣] ، والاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى، وهو لزوم المنهج الحق، والمسلك السديد، والعمل الرشيد، وهو يتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات[2]، وأصل الاستقامة استقامة القلب، فإذا استقام القلب على توحيد الله استقامت الجوارح كلها على الطاعة، لأن القلب هو الملك، والأعضاء والجوارح هي جنوده[3].

*** تحقيق الاهتداء والاستقامة في ضوء سورة طه:**

إن من منهج سورة طه في الإصلاح والتغيير الدعوة إلى تحقيق الاهتداء والاستقامة، حيث قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ [طه:٨٢] يبين الله ﷻ في هذه الآية أنه ذو مغفرة، لمن تاب ورجع إلى الإيمان، فآمن بقلبه، وعمل الصالحات بجوارحه، ولزم ذلك فاستقام، فتحقيق الاهتداء والاستقامة يكون بالجمع بين التوبة والإيمان والعمل الصالح، فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شك في اهتدائه[4]، والتوبة هي ندم وإقلاع وعزيمة، وليست كلمة تقال، إنما عزيمة في القلب، يتحقق مدلولها بالإيمان، ويتجلى أثرها في السلوك العملي في الواقع، فلا قيمة للإيمان بدون عمل، والعمل الصالح يشمل تطبيق الأوامر الإلهية

---

[1] المستدرك على الصحيحين-الحاكم النيسابوري-كتاب الرقاق-٣٤١/٤-رقم٧٨٤٦، قال: حديث صحيح على شرط الشيخين.

[2] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٤٨/١٨، الكشاف-الزمخشري-٨٠/٣، مدارج السالكين-ابن القيم-١٠٥/٢.

[3] انظر: جامع العلوم والحكم- ابن رجب-٥١١/١.

[4] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٤٨/١٨، البحر المحيط في التفسير-أبو حيان-٣٦٥/٧.

في العبادات والمعاملات والأخلاق، وتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، فإذا وقعت التوبة وصح الإيمان، وصدقه العمل تحقق الاهتداء، وسار الإنسان في الطريق على هدى من الإيمان.[1] وقوله ﷻ: ﴿ثُـمَّ اهْتَـدَى﴾ أي بقي على ذلك مستمراً كل حياته حتى يُعدّ مهتدياً، فالعبرة في الاستمرار والمداومة، يقول البقاعي: "ولمّا كانت رتبة الاستمرار على الاستقامة في غاية العلو، عبر عنها بأداة التراخي فقال: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ أي استمر على العمل الصالح، متحرياً به إيقاعه على حسب أمرنا، وعلى أقرب الوجوه المرضية لنا"[2].

*** أثر تحقيق الإصلاح بالاهتداء والاستقامة في ضوء سورة طه:**

قال تعالى: ﴿... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى﴾[طه:١٢٣-١٢٦] إن باتباع الهدى وتحقيق الاستقامة طمأنينة وسلامة ونفي للضلال والشقاء، فمن اتبع هدى الله وسلك طريق الاستقامة، فلا يضل عن الحق، ولا يشقى في الدنيا ولا في الآخرة، بل يسعد وينجح وينال الجنة، أما من أعرض عن الحق ولم يستجب له، فإنّ له معيشة الضيق والقلق والخوف، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، ويحشر يوم القيامة أعمى؛ لأنه ترك آيات الله وأعرض عن هديه، فلم يؤمن ولم يعمل صالحاً، فيُنسى ويترك في النار كما تركها.[3]

فالاستقامة هي أصل السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، فمن أراد السعادة والطمأنينة والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، فعليه باتباع هدى الله بالتوبة والإيمان والعمل الصالح، وموافقة أحواله كلها لشرع الله ﷻ، والاستقامة هي طريق إصلاح المجتمع، فلو أن الأب استقام وربّى أولاده تربية صحيحة، واستقامت الأم كذلك فحفظت بيتها وزوجها وأولادها، فإن هذا سينشئ البيت المسلم الذي هو لبنة صالحة للمجتمع، وكذلك إذا استقام الإمام والمدرس والقاضي والتاجر والعامل وجميع أصناف الناس في المجتمع على هدى الله، تحقق الإصلاح، والله ﷻ يُعين من رغب في الصلاح، ويجعل الهدى ثمرة لمن حرص على سلوك طريق الاستقامة، قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا..﴾ [العنكبوت:٦٩].

---

[1] انظر: في ظلال-سيد قطب-٢٣٤٦/٤.

[2] نظم الدرر-٣٢٠/١٢.

[3] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٨٩/١٨، تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٣٢٢/٥.

المطلب السادس: السعي إلى زيادة العلم

إن طلب العلم عبادة، وإن أعلى مرتبة ينالها الإنسان في الحياة أن يتعلم ويُعلم، حيث يقول النبيﷺ في الحديث الذي يرويه عثمان ﷺ:**(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)**[1]، ولا سبيل إلى معرفة الله ﷻ إلا بالعلم، لذلك أثنى الله على العلماء فقال: ﴿..**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**..﴾[فاطر:٢٨]، وجعلهم في منزلة شريفة تعلو على من سواهم فقال:﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة:١١]، فالعلم نور يدرك به الإنسان حقيقة الأشياء، ويخرج به من ظلمات الجهل، ويصل به إلى الدرجات العلا،لذلك يستمر أثر العلم بعد الموت، فعن أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له)** [2].

*** السعي إلى زيادة العلم في ضوء سورة طه:**

يوجّه الله ﷻ نبينا محمداً ﷺ إلى طلب العلم والاستزادة منه، من خلال أمره له أن يسأله زيادة العلم، حيث قال تعالى: ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالقُرْآَنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[طه:١١٤] "فلما كانت عجلته ﷺ على تلقف الوحي ومبادرته إليه تدل على محبته التامة للعلم وحرصه عليه، أمره الله ﷻ أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة وهي من الله، والطريق إليها الاجتهاد والشوق للعلم، وسؤال الله والاستعانة به، والافتقار إليه في كل وقت"[3]، ففي الآية ترغيب في تحصيل العلم والترقي فيه، لأن رتبة العلم أعلى الرتب[4]، والله لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم[5]، قال ابن القيم: "وكفى بهذا شرفًا للعلم، أن أمرَ نبيَّه أن يسأله المزيدَ منه"[6].

---

[1] صحيح البخاري–كتاب فضائل القرآن–باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه–١٩٢/٦–رقم٥٠٢٧.

[2] سنن الترمذي–أبواب الأحكام–باب في الوقف–٦٥٢/٣–رقم١٣٧٦، وقال حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

[3] تيسير الكريم الرحمن– السعدي–٥١٤/١.

[4] انظر: التفسير المنير– الزحيلي–٢٩٢/١٦.

[5] انظر: محاسن التأويل– القاسمي–٣٨٣/١٨.

[6] مفتاح دار السعادة–٥٠/١.

*** دور العلم في الإصلاح والتغيير:**

إن الناظر إلى حالنا اليوم يجد أن حاجتنا للعلم ماسّة، فلا سبيل للصلاح والرفعة وتحصيل رضوان الله إلا بالعلم، فإننا بحاجة إلى العلم في عباداتنا وعلاقتنا مع الله حتى نعبد الله على علم، فبالعلم يصلح الاعتقاد والعبادة، ونحتاج للعلم لتنظيم تعاملنا مع بعضنا البعض، كيف نتعامل مع والدينا ومع أقاربنا وجيراننا، وكيف نربي أبناءنا، ونحتاج إلى العلم في معاملاتنا الأسرية لمعرفة أحكام الزواج والطلاق، وفي معاملاتنا المالية في بيعنا وشرائنا، فإننا نحتاج إلى العلم في كل ميدان من ميادين الحياة، إذ لا انفصال بين الشريعة والحياة، فالتاجر والمزارع والطبيب والمهندس والموظف والمدير والحاكم والسياسي والمجاهد والداعية بحاجة إلى العلم حتى يكون على بصيرة، ولا يخالف شرع الله، فإذا أردنا الصلاح لأنفسنا وأمتنا علينا أن نحرص على طلب العلم الشرعي، وحضور مجالس العلم الذي ينير لنا حياتنا، ويقربنا من الله، والعلم هو سبيل التقدم والرقي، فالعالم الغربي تقدم علينا في شتى المجالات بالعلم، ونحن أولى بالعلم منهم، فديننا دين العلم، وأول ما نزل من القرآن على نبينا محمد ﷺ الأمر بالقراءة فقال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق:١] ، لذلك يجب على كل مسلم ومسلمة أن يحرص على العلم الشرعي، وكذلك العلوم الدنيوية النافعة، ويجب على الحكومات أن توفر سبل تسهيل طلب العلم، وأن تحرك الطاقات العلمية الكامنة في الأفراد، وترعى النابهين، وتنشئ مراكز أبحاث علمية وشرعية، فهذا سبيل الصلاح والعزة والتقدم بإذن الله ﷻ.

المبحث الثالث

منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: مشروعية المناظرة لبيان الحق

المطلب الثاني: خطورة الفتنة في الدين والتحذير منها

المطلب الثالث: ضرورة مجاهدة النفس من نوازع الشر

المطلب الرابع: الوفاء بعهد الله والتحذير من نكثه

المطلب الخامس: التحذير من غواية الشيطان

المطلب الأول: مشروعية المناظرة لبيان الحق

إن المناظرة منهجية تربوية تهدف لبيان الحق والوصول إلى الصواب، وكشف الشبهات ورد الباطل، وهي مشروعة في ديننا، فقد دلت الآيات القرآنية عليها، وتعني: المباراة بالنظر ببصيرة لإظهار الصواب، وقيل هي: مقابلة الأدلة لظهور أرجحها.[1]

*** مشروعية المناظرة في ضوء سورة طه:**

لقد جاء في سورة طه ما فيه تربية على مشروعية المناظرة مع الطرف الآخر لبيان الحق، وإثبات بطلان رأيه على الملأ، وذلك من خلال المناظرة التي حدثت بين موسى عليه السلام وفرعون، وقد كانت المناظرة على النحو التالي:

- **التحدي وتحديد الموعد:** قال تعالى: ﴿**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ۞ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۞ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى**﴾[طه:٥٧-٥٩] بعد أن اتهم فرعون موسى عليه السلام بالسحر، حين أراه الآيات الكبرى سواء الكونية أو العصا واليد، طلب من موسى عليه السلام تحديد موعد للمباراة والمناظرة مع السحرة، وشدّد عليه في عدم إخلاف الموعد زيادة في التحدي، فقبل موسى التحدي مباشرة لثقته بالله، واختار الموعد يوم عيد، يأخذ فيه الناس في مصر زينتهم، ويتجمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة، واختار أيضاً أن يكون الموعد ضحى، أي في أوضح فترة من النهار وأشدها تجمعاً، لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت، ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤية، وهدف موسى عليه السلام من هذا الاختيار أن يكون الحدث على رؤوس الأشهاد، فتظهر معجزته، ويستبين الحق، ويكون أظهر وأجلى وأوضح.[2]

- **الالتزام بالموعد والنصح قبل البدء:** قال تعالى: ﴿**فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ۞ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۞ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ۞ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ**

---

[1] انظر: التعريفات-الجرجاني-٢٣٢/١، المصباح المنير-الفيومي-٩٣/١.

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٣٠٩/٥، ارشاد العقل السليم-أبو السعود-٢٤/٦، في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٤٠/٤، أضواء البيان-الشنقيطي-٢٨/٤، التسهيل لعلوم التنزيل-ابن جزي-١٠/٢.

﴿الْمُثْلَىٰ﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٠-٦٤] تبين الآيات الكريمة أن فرعون أعرض عن الحق وجمع السحرة وجاء للموعد، فرأى موسى عليه السلام أن يعظهم وينصحهم قبل الدخول في المباراة، فحذرهم من الإعراض عن الحق والافتراء على الله بالشرك، وقولهم عن المعجزات سحر، فيصيبهم هلاك يبيدهم، ويخيب المفتري، ولم يظفر بحاجته، فأخذوا يتناجوا ويتنازعوا، وقالوا: إن كان سحر فسنغلبه، وإن كان من السماء فسيغلبنا، ويميل إليهم السادة والأشراف، واستقروا على رأي مجتمعين على أن موسى وهارون عليهما السلام ساحران، وقاموا بتشجيع المترددين منهم لكي يُحكّموا كيدهم، ويوحدوا صفهم، ويبذلوا أقصى جهدهم للفوز، وكل هذا بتشجيع من فرعون وهو يقول لهم وهم في اغترار بسحرهم: الظفر اليوم لمن فاز وغلب.[1]

- **المواجهة وانتصار الحق:** قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه:٦٥-٧٠] تقدم السحرة إلى موسى عليه السلام بتخييره بين أن يبدأ أو يبدؤوا، فأذن لهم بالبدء لأنه واثق أنه على الحق، فاختطفوا بصر موسى عليه السلام وفرعون، ثم أبصار الناس، وألقوا الحبال والعصيّ فإذا هي حيّات ملأت الوادي، فأصاب موسى عليه السلام الخوف على الناس أن يفتتنوا، ولكن الله أذهب عنه الخوف، وطمأنه بأنه معه، وأنه المنتصر، ثم أمره أن يُلقي عصاه، فإذا هي حية عظيمة تلقف ما صنعوا، فاستعرضت ما ألقوا من حبال وعصيّ، والتي هي حيّات في أعين الناس، وأخذت تبتلعها حية حية، ثم أخذها موسى عليه السلام فإذا هي عصا في يده كما كانت، فوقع السحرة سجّدا، قالوا: آمنا بربّ هارون موسى عليه السلام، ولو كان هذا سحر ما غُلبنا، فقامت المعجزة واتّضح البرهان، ووقع الحق وبطل السحر.[2]

---

[1] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٢٥/١٨، فتح القدير-الشوكاني-٤٤١/٣، في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٤١/٤، تفسير المراغي-المراغي-١٢٥/١.

[2] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٣٦/١٨، تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٣٠٢/٥، في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٤٢/٤.

*** الإصلاح والتغيير في المناظرة:**

إن للمناظرة أثراً كبيراً في الإصلاح والتغيير، حيث لها أثر كبير بنتائجها، فالذي يدخل المناظرة وغرضه منها أن يصل إلى الحق، فإنه سيدرك الحق لا محالة، سواء ظهر على يده أو على يد مناظره، لأنه لا يهمّه على يد من يظهر، فيكون قصده طلب الحق، ومن حَسُن قصده وفقه الله إليه، وإن الواجب على الإنسان أن يكون مع الحق يدور معه حيث دار، فمن صفات الحقِّ الثبوت والاستمرار، أما الباطل فمن صفاته الزوال والانهيار، والإنسان حينما يكون مع الباطل يغامر بمستقبله، لأن الباطل له جولة ثم يزول، فمن أراد الصلاح والنجاة عليه أن يتبع الحق، نسأل الله ﷻ أن يُرنا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه.

المطلب الثاني: خطورة الفتنة في الدين والتحذير منها

إن من سنة الله أن يختبر ويبتلي، ليتبين القائمين على شرعه من غيرهم، فإن من أراد تحقيق أمور الدين جميعها، والوصول لمرتبة الإيمان، لا بد له من الابتلاء والفتنة، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢]، وللفتنة وجوه منها: الشرك والضلالة والنفاق والبلاء والاختبار والحرق بالنار والصد والافتتان والإعجاب والقتل، وقد ورد في القرآن دليل على هذه الأوجه[١]، وأعظم فتنة أن يفتن المرء في دينه فيقع في الكفر والشرك كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣] [٢].

*** خطورة الفتنة في الدين والتحذير منها في ضوء سورة طه:**

قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۞ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي۞ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ القَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۞ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ۞ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۞ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ

---

[١] انظر: المفردات في غريب القرآن–الراغب الاصفهاني–٦٢٣/١.

[٢] انظر: اللباب في علوم الكتاب–ابن عادل–٣٨/٥، فتح القدير–الشوكاني–٢٢٠/١.

بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾[طه:٨٥-٩١] تبين الآيات ما وقع ببني إسرائيل من فتنة في الدين، حيث أخبر الله ﷻ سيدنا موسى عليه السلام وهو في موقف المناجاة بأن قومه قد فتنوا، وأنه ابتلاهم بعبادة العجل، فعاد سريعاً إلى قومه لخطورة ما أصابهم، وشناعة فعلتهم، ورجع إليهم غضبانَ حزيناً؛ لأن قومه قد ضلوا وفتنوا وعبدوا غير الله ﷻ، ووجه لوماً لهم مباشرة ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ أي أنتم موعودون من الله أن أرجع إليكم بالتوراة، فلماذا لم تصبروا؟ أم تريدوا أن يغضب الله عليكم، فأخبروه بأن آل فرعون ألقوا حليّهم عليهم، فأخذوها ثم قذفوها في حفرة، فجاءهم السامريّ، وهو رجل فتَّان صنع لهم من هذه الحليّ عجلاً، أي تمثالاً من الذهب على شكل عجل، فُرِّغ داخله فأصبح له خوار، أي إذا دخلت فيه الريح أصبح له صوت صفير، وقال السامري ومن معه لهم أن هذا هو إلهكم وإله موسى، ولكنه نسي أنه هنا، ففتنوا فيه وعبدوا التمثال الذي لا يضر ولا ينفع.[1]

ولقد حذرهم هارون عليه السلام من هذه الفتنة ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ لكنهم لم يستجيبوا وأصروا على عبادة الصنم، ولقد أمر سيدنا موسى عليه السلام الناس بمقاطعة الفتنة وأصحابها، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفًا﴾ [طه:٩٧] فأمرهم بمقاطعته مقاطعة تامة جزاء ما اقترف من فتنة الناس، فلا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه، وتوعده بأنه سيحاسب على فعلته هذه ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بمعنى أن لك موعداً لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي، حتى عبدوا العجل من دون الله، ونلحظ أن سيدنا موسى عليه السلام لم يتوجه باللوم إلى السامري منذ البدء، مع أنه هو الذي أضل قومه، لأن القوم هم المسؤولون ألا يتبعوا كل ناعق، وعليهم أن يفكروا بعقولهم قبل أن يتبعوه، ألم يتفكروا في هذا العجل كيف يكون إلهاً؟ وهو لا يكلمهم، ولا ينفعهم.[2]

---

[1] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٤٩/١٨، تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٣٠٩/٥، في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٤٧/٤.

[2] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٦٤/١٨، في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٤٨/٤.

*** الإصلاح والتغيير في حفظ الدين من الفتنة:**

إن صلاح دين المرء في الدنيا يعني سعادته وفوزه في الآخرة، وإن رأس مال المسلم دينه، فمن فرَّط فيه وعرَّضه للفتن فقد خاب وخسر، ومن حافظ عليه واعتنى بتقويته أفلح ونجح، والإنسان لا بد أن يبتلى ويمتحن، فإن كان من العارفين بالله وصبر وثبت على إيمانه فإنه سيحصل له الفوز والفلاح بإذن الله، لذا كان من دعائه ﷺ : **(اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي...)**[1].

ومما يعين المسلم على تحصين دينه: تقوية إيمانه بفعل الطاعات الواجبة، وترك المنكرات والمحرمات، وأوصى النبي ﷺ بالقيام بعموم الطاعات للنجاة من فتن الدين، وحذَّر من فتن الدنيا كالمال والنساء والجاه أن تكون سبباً ليبيع دينه من أجلها، وأخبر أنه قد يكون المرء مسلماً في الليل فيرتد في النهار، أو يكون مسلماً في النهار فيرتد في الليل، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **(بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا)**[2] .

المطلب الثالث: ضرورة مجاهدة النفس من نوازع الشر

إن من طبيعة النفس استعدادها للخير والشر، والهدى والضلال، والفائز هو الذي يزكيها بالطاعة، وينمي استعدادها للخير، والخاسر من أخفى هذا الاستعداد وأطلق العنان لنوازع الشر تطغى عليه لتوقعه بالفجور والمعصية، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس:٧-١٠]، والنّفس التي تميل إلى الشهوات وتجذب القلب للجهة السفلى هي النفس الأمّارة بالسّوء، وهي منبع الشّرور، وأساس الأخلاق الذّميمة، فإنّها بحاجة إلى مجاهدة، وإذا لم يقهرها الإنسان ويؤدّبها ملكته واستولت عليه وانقاد لها، فكان بالبهائم أشبه منه بالإنسان، ومتى كان كذلك اتّصف بالفجور، وغلب عليه اللهو واللّعب وارتكب الفواحش.[3] يقول الغزالي: "إنّ النّفس عدوّ منازع، يجب علينا

---

[1] صحيح مسلم- كتاب الذكر والدعاء- باب التعوذ من شر ما عمل -٤/٢٠٨٧-رقم٢٧٢٠.

[2] صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب الحث على المبادرة بالأعمال-١/١١٠-رقم١١٨.

[3] انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم- عدد من المختصين-٣/٣٣٠٦.

مجاهدتها"[1]، ومجاهدة النفس هو "محاربة النّفس الأمّارة بالسّوء بتحميلها ما يشقّ عليها بما هو مطلوب في الشّرع"[2].

*** ضرورة مجاهدة النفس من نوازع الشر في ضوء سورة طه:**

إن في سورة طه ما يبين ضرورة مجاهدة النفس من نوازع الشر، من خلال بيان سبب ما فعله السامريّ من فتنة الناس، حيث زينت له نفسه ذلك، وأطلق لها العنان، وتركها توقعه في الإثم، "فإن لنوازع الشر في النفس البشرية أثراً في تصرفات البشر، وها هنا السامريّ نموذج لذلك، فقد صرح بأن نفسه هي التي سولت له صناعة العجل الذي عبده بنو إسرائيل في غياب موسى عليه السلام، فقال: ﴿...**وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**﴾ [طه:٩٦] ، ومن قبل طوعت نفس ابن آدم له قتل أخيه، فيما أخبر الله في كتابه حين قال: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة:٣٠] "[3]، وفي هذا دليل على ضرورة أن يجاهد المرء نفسه التي تزين له الشر، وأن يتغلب عليها، بل ويبذل الجهد في فعل الخير.

*** الإصلاح والتغيير بمجاهدة النفس:**

إن جهاد النّفس أساس كبير في تهيّؤ الإنسان للخلافة في الأرض، فلا يتحقق الإصلاح والتغيير في النفس ومن ثمّ في المجتمع إلا بمجاهدة النفس، وإنه لا طريق إلى سعادة الآخرة إلّا بنهي النّفس عن الهوى ومخالفة الشّهوات، ومجاهدتها من نوازع الشر، والّذي يطهّر النّفس العلم والعبادات الموظّفة الّتي هي سبب الحياة الأخرويّة، كما أنّ الّذي يطهر به البدن هو الماء الّذي هو سبب الحياة الدّنيويّة، وطهارة النّفس تتحقّق بإصلاح الفكر بالتّعلّم حتّي يميز بين الحقّ والباطل في الاعتقاد، وبين الصّدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الفعال، وإصلاح الشّهوة بالعفّة، وإصلاح الحميّة حتّى يحصل التّحكّم، وكفّ النّفس عن الحرص المذموم، وبذلك يحصل للنّفس العدالة والإحسان.[4] وقد ذكر ابن القيم أن جهاد النفس أربع مراتب حريّ بنا أن نلتزم بها ليتحقق فينا الصلاح والفلاح، فباستكمالها نكون من الربانيين وهي:

١- أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق، الذي لا سعادة في المعاش والمعاد إلا به.

---

[1] إحياء علوم الدين-٦٥/٣.

[2] التعريفات-الجرجاني-ص٢٠٤.

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن-عدد من علماء التفسير-٥٩١/٤.

[4] انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة-الراغب الأصفهاني-٨٨/١، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم- عدد من المختصين-٣٣٠٧/٣.

٢- أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.
٣- أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.
٤- أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله.[١]

المطلب الرابع: الوفاء بعهد الله والتحذير من نكثه

"اقتضى العدل الإلهي والعناية الربانية ببني البشر أن يخلقهم جميعا من غير استثناء على الفطرة السليمة، المقرة بأن الله هو ربهم، وأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، رباً واحداً، وإلهاً خالقاً، فإذا شذ الإنسان بعدئذ، فكفر بالله أو أشرك به إلهاً آخرَ، فهو ظلم واضح، وانحراف بيّن، وقد عبر الله ﷻ عن هذه الفطرة التي خلق عليها الناس قاطبة بإبرام عهد قاطع بين الله الخالق والبشر المخلوقين، وذلك في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾[الأعراف:١٧٢]"[٢]، فإن العهد مع الله هو وصيّة الله ﷻ إلى خلقه، والتعهد والالتزام له بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إيّاهم عمّا نهاهم عنه من معصيته في كتبه على ألسنة رسله، ونقضهم ذلك ترك العمل.[٣]

*** الوفاء بعهد الله والتحذير من نكثه في ضوء سورة طه:**

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى** ﴾ [طه:١١٥-١١٦] تضمنت الآيات نسيان آدم عليه السلام لعهد الله، رغم اجتباء الله له وتكريمه بإسجاد الملائكة له، فلقد وصَّى الله ﷻ آدم وأخذ عليه العهد، بألا يخالف أمره فتحل عليه العقوبة، إلا أنه ترك العهد، ولم يوجد له عزمُ قلبٍ على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عُهد إليه.[٤] "وعهد الله إلى آدم كان هو الأكل من كل الثمار سوى شجرة واحدة، تمثل المحظور الذي لا بد منه لتربية الإرادة، وتأكيد الشخصية، والتحرر من رغائب النفس

---

[١] انظر: زاد المعاد-٩/٣.
[٢] التفسير الوسيط -الزحيلي-٧٤٩/١.
[٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-٢٤٦/١.
[٤] انظر: جامع البيان- الطبري-٣٨٥/١٨.

وشهواتها بالقدر الذي يحفظ للروح الإنسانية حرية الانطلاق من الضرورات عند ما تريد، فلا تستعبدها الرغائب وتقهرها، وهذا هو المقياس الذي لا يخطىء في قياس الرقي البشري، فكلما كانت النفس أقدر على ضبط رغائبها، والتحكم فيها، والاستعلاء عليها، كانت أعلى في سلم الرقي البشري، وكلما ضعفت أمام الرغبة وتهاوت، كانت أقرب إلى البهيمية وإلى المدارج الأولى، من أجل ذلك شاءت العناية الإلهية التي ترعى هذا الكائن الإنساني أن تعده لخلافة الأرض باختبار إرادته، وتنبيه قوة المقاومة فيه، وفتح عينيه على ما ينتظره من صراع بين الرغائب التي يزيِّنُها الشيطان، وإرادته وعهده للرحمن"[1].

وقصة آدم هنا معطوفة على قصة بني إسرائيل، ففي كلا القصتين تفريط بالعهد[2]، ولقد استنكر سيدنا موسى عليه السلام على قومه عدم وفائهم العهد مع الله ﷻ بالثبات على أمره والامتثال والعمل بالشريعة، وإخلافهم للموعد الذي كان الله وعدهم به على لسان موسى عليه السلام، وعكوفهم على العجل، وبيَّن أن التفريط بالعهد يكون سبباً لغضب الرب ﷻ، قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾[طه:٨٦] [3]، ففي قول موسى عليه السلام "استفهام إنكاري، أي ليس العهد بوعد الله إياكم بعيداً، فلم يبعد زمن وعد ربكم إياكم حتى يكون لكم يأس من الوفاء، فتكفروا وتكذبوا الموعد، وتعبدوا رباً غير الذي دعاكم إليه من بلّغكم الوعد، فتكون لكم شبهة عذرٍ في الإعراض عن عبادة الله ونسيان عهده"[4].

*** الإصلاح والتغيير في الوفاء بعهد الله:**

يجب علينا الوفاء بالعهد مع الله؛ لقوله تعالى: ﴿... **وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء:٣٤] فالله ﷻ يأمرنا بالوفاء بعهده، ويحذرنا من نكثه، بل يحاسب العبد على ذلك، فمن أوفى بعهد الله نال رضاه، وفاز بالجنة، ومن نسي عهد الله باء بغضبه، وخسر دنياه وآخرته. وإن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى أن تجدد عهدها مع الله ﷻ، فلمّا نقض المسلمون عهودهم مع الله ﷻ ومع رسوله ﷺ، وتركوا ما أمرهم الله به وارتكبوا ما نهاهم الله

---

[1] في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٥٣/٤.

[2] انظر: التحرير والتنوير-ابن عاشور-٣١٨/١٦.

[3] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٥٠/١٨، التحرير والتنوير-ابن عاشور-٢٨٣/١٦.

[4] التحرير والتنوير-ابن عاشور-٢٨٢/١٦.

عنه، سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، يقول الرسول ﷺ: **(.. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم ..)**[1]، فلابد من تجديد العهد مع الله، والالتزام به؛ حتى يتحقق النصر والعزة، ولابد من تغيير كل منكر من المحرمات التي لا ترضي الله، ولابد من إصلاح كل ما هو مخالف لشرع الله، وإصلاح التعليم والإعلام، وأن يلتزم الجميع بالمنهج السليم الذي يجب أن يكون عليه المسلم، فلابد لكل واحد منا أن يستعرض ما في بيته من منكرات فيغيرها، ويغيّر ما يستطيع تغييره مما يحيط به من منكرات، ويعاهد الله ﷻ على التوبة، والالتزام حق الالتزام بالصلاة والفرائض، وما وجب عليه أداؤه على أكمل وجه، ويأتي من القربات والطاعات ما يستطيع.

المطلب الخامس: التحذير من غواية الشيطان

إن الشيطان عدو لنا، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر:٦]، وهو يجري منا مجرى الدم، وقد عزم على إغوائنا جميعاً، فعندما رفض السجود لآدم تكبراً وخالف أمر ربه، حلت عليه اللعنة، وطرد من رحمة الله، فتوعد آدم وذريته بأن يضلهم ويفتنهم، ويقعد لهم على صراط الله المستقيم، حيث أخبر الله ﷻ عن الشيطان الرجيم أنه أقسم بعزة الله أن يغوي جميع بني آدم إلا المخلصين ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [ص:٨٢-٨٣] فقد حدد الشيطان هدفه وهو إغواء بني آدم، وصدهم عن الصراط المستقيم، وصرفهم إلى ما يضلهم ويُضيّع فيها سعيهم، ليكون مصيرهم النار وبئس المصير[2].

*** التحذير من غواية الشيطان في ضوء سورة طه:**

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۞ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۞ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ۞ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ۞ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ**

---

[1] سنن ابن ماجه-كتاب الفتن-باب العقوبات-٢/١٣٣٢-رقم٤٠١٩، قال الألباني: حسن.

[2] انظر: نضرة النعيم-عدد من المختصين- المقدمة ص٧١.

رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۞ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه:١١٦-١٢٣].

هذه الآيات فيها تصريح بعداوة إبليس لابن آدم، من خلال غوايته والمكر به، والوسوسة إليه لإخراجه من الجنة، وإغرائه بالملك الدائم، حيث امتنع إبليس السجود لآدم عليه السلام، فكانت العداوة بينهما، وقد حذّد الله لآدم وزوجه عدوه، وحذره منه أن يكون سبباً في إخراجه من الجنة فيقع في الشقاء والكدّ والسعي ﴿فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، ورغَّب الله ﷻ آدم في دوام الراحة إذا لم يستجب لغوايته، ولم يأكل من الشجرة المحظورة عليه حيث قال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ أي لا تعطش في الجنة ما دمت فيها، ولا يصيبك فيها حرّ ولا أذى، إلا أن الشيطان وسوس له، ورغبه بما رغّب الله ﷻ به آدم عليه السلام بدوام الراحة، ولكن الله ﷻ وقّف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة، وإبليس وقّفه على الإقدام عليها ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ أي هل أدلّك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكاً لا ينقضي ولا يزول، فاستجاب آدم وزوجه لغواية الشيطان، وأكلا من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها، فنزل عليهما العقاب من الله ﷻ بأن انكشفت عوراتهما ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي أقبلا يشدّان عليهما من ورق شجر الجنة، وبذلك وقع آدم عليه السلام في المعصية، وخالف أمر ربه، ونسي عهده مع الله ﷻ بسبب غواية الشيطان له ﴿وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، ثم قال تعالى لآدم وزوجه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي اهبطا إلى الأرض حيث الشقاء والعناء والكدّ، وإبليس عدو لكما ولذريتكما.[1]

"وبذلك أعلنت الخصومة في الثقلين، فلم يعد هناك عذر لآدم عليه السلام وبنيه من بعده أن يقول أحد منهم إنما أُخذت على غرة ومن حيث لا أدري، فقد دري وعلم، وأعلن هذا الأمر العلوي في الوجود كله ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾"[2] فهذا تحذير واضح لبني آدم من غواية الشيطان ووسوسته، فمن اتبع الشيطان، وأعرض عن هدي الله، فإنه سيعيش حياة الضلال والضنك والشقاء، ومن اتبع الهدى، ولم يفلح الشيطان في إغوائه، فله حياة الطمأنينة والراحة

---

[1] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٨٥/١٨، إرشاد العقل السليم-أبو السعود-٤٧/٦، في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٥٤/٤، مفاتح الغيب-الرازي-١٠٧/٢٢.

[2] في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٥٥/٤.

والسعادة، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ بسط الأمل لمن تعرض لغواية الشيطان، بأن الله يقبل توبته، وقد قبلها من أبيه آدم قبله، فإنما نحن أبناؤه، ويعترينا من النسيان والعصيان ما اعترى أبانا وزيادة.[1]

*** تدرّج الشيطان في الإغواء:**

لقد ذكر ابن القيم ضرورة أن يحترز الإنسان من شيطانه الموكّل به، هذا العدو الذي يأمره بالمعصية ويزيّنها له ليوقعه فيها من حيث لايدري، حيث إنه يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض، وهو لا ينزل من العقبة الشّاقّة إلى ما دونها إلّا إذا عجز عن الظّفر به فيها، إنها معركة المراغمة مع الشيطان.

فأولاً يحاول أن يوقعه بالكفر بالله ﷻ وبدينه، وبصفات كماله وبما أخبرت به رسله عنه، فإن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، وإن نجا الإنسان منها ببصيرة الهداية ونور اليقين حاول أن يوقعه في البدعة، إمّا باعتقاد خلاف الحقّ، وإمّا بالتّعمّد بما لم يأذن به الله، فإذا قطع الإنسان هذه البدعة بنور السّنّة حاول الشّيطان أن يوقعه في الكبائر، يزيّنها له ويحسّنها في عينه، فإن قطع الانسان هذه العقبة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها حاول أن يوقعه في العقبة الرّابعة وهي الصّغائر، يكيل له منها ويهوّن عليه أمرها حتّى يصرّ عليها، والإصرار على الذّنب أقبح منه إذ لا كبيرة مع التّوبة ولا صغيرة مع الإصرار، فإن نجا من هذه العقبة بالتّحرّز والتّحفّظ ودوام التّوبة والاستغفار وإتباع السّيّئة الحسنة، أوقعه في المباحات الّتي لا حرج على فاعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطّاعات، ويستدرجه من ذلك إلى ترك السّنن، ثمّ من ترك السّنن إلى ترك الواجبات، فإن نجا من هذه ببصيرة تامّة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطّاعات والاستكثار منها، أوقعه في الأعمال المرجوحة المفضولة من الطّاعات، يأمره بها ويحسّنها في عينه ويغريه بها ليشغله عمّا هو أفضل منها، وأعظم كسبا وربحا، وأصحاب هذه العقبة قليلون، والأكثرون قد ظفر بهم في العقبات السّابقة، فإن نجا منها بفقه في الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل، والتّمييز بين عاليها وسافلها، لأنّه من أهل البصائر والصّدق من ذوي العلم السّائرين على جادّة التّوفيق، فإن كان من النّاجين من هذه طلبه في العقبة الّتي تليها، وهي العقبة السّابعة عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللّسان والقلب على حسب مرتبته في الخير، إذ كلّما علت مرتبته أجلب

---

[1] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن-عدد من علماء التفسير-٦١٤/٤.

عليه الشّيطان بخيله ورجله، وسلّط عليه حزبه بأنواع التّسليط، ولا نجاة من هذه العقبة إلّا بعبوديّة المراغمة ولا ينتبه لها إلّا أولو البصائر، ولا شيء أحبّ إلى الله من مراغمة وليّه لعدوّه، ومن تعبّده ﷻ بمراغمة عدوّه فقد أخذ من الصّدّيقيّة بسهم وافر. [1]

*** الإصلاح والتغيير في جهاد الشيطان:**

إن تحقيق الإصلاح والتغيير يحتاج منّا إلى مجاهدة الشيطان الرجيم الذي يسعى إلى إفسادنا، فلمّا كان الإنسان في صراع دائم مع عدوّ لدود، له خطّة محكمة ليوقع به في الفساد، كان علينا أن نعدّ له العدّة، لكي نكون من المخلصين، الّذين ينتصرون عليه بقوّة الإيمان، فمن أراد أن يصلح من نفسه ويربّيها تربية صحيحة، عليه أن يتسلّح بإرادة قويّة وعزيمة لا تلين، ويقين صادق مع صبر، لمجاهدة الشيطان فيما يُلقي عليه من شبهات وشهوات، ولابد أن يصحب هذه المجاهدة التزامٌ تامٌ بأوامر الله، وابتعادٌ عن نواهيه، ولا بد أن يكون متيقظاً منتبهاً من الشيطان الخبيث، الذي يبذل كل جهد للصدّ عن سبيل الله، ثم يأتي يوم القيامة ليبرأ ممن أضلهم من الناس، فيقول في خطبته الشهيرة كما قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ...**﴾ [إبراهيم:٢٢]. [2]

---

[1] انظر: مدارج السالكين–ابن القيم–٢٣٨/١– بتصرف.

[2] انظر: زاد المعاد– ابن القيم–١٠/٣، نضرة النعيم–عدد من المختصين– ٣١٩٧/٨.

المبحث الرابع

منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: التسلية والتصبير على مشاق الدعوة

المطلب الثاني: التذكير والوعظ بالقرآن

المطلب الثالث: مقومات وسبل نجاح رسالة الدعوة

المطلب الرابع: إقامة الحجة والإعذار بالإنذار

المطلب الخامس: الجهر بالحق في وجه الباطل

المطلب الأول : التسلية والتصبير على مشاق الدعوة

إن طريق الدعوة إلى الله مليء بالمشاق والمعوّقات، وإن ابتلاء الدعاة مما جرت به السّنة الإلهية، ولنا في الرسل الكرام وما حصل لهم من مشاق الدعوة ومتاعبها أسوة حسنة، فقد تعرض الرسل عليهم السلام للمشاق المتنوعة، سواء بإعراض الناس عن دعوتهم، أو إيذائهم بالقول والفعل، فصبروا على ذلك حتى نالوا وعد الله لهم بالعزة والنصر والتمكين، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام:٣٤] .[١]

*** تسلية الدعاة وتصبيرهم على مشاق الدعوة في ضوء سورة طه:**

في الجو الذي تعرض له النبي ﷺ لإنكار المشركين للرسالة، وإعراضهم عنها، وتشكيكهم في القرآن، واتهامه بالشقاء والسحر، جاءت سورة طه فيها تسلية للنبي ﷺ وتصبير له عمّا يلاقيه في طريق الدعوة إلى الله من مشاق، وسأوضح ما جاءت به سورة طه من بيان ما حصل مع الأنبياء من مشاق، وما فيه من تسلية وتصبير للدعاة من خلال النقاط التالية:

أولاً: التشكيك في القرآن واتهام النبيﷺ بالشقاء: لقد أشاع المشركون أن القرآن نزل على النبي ﷺ ليشقى، وأنه سبب شقائه لتركه دين آبائه، فنزل قوله تعالى: ﴿**طه ۞ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾ [طه:١-٣] تسلية للنبيّ ﷺ بنفي هذا الاتهام، وبيان أن الله لم يرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى، بل هو رحمة ونور وتذكرة، وهذا فيه تسلية وتصبير للدعاة، ببيان ما كان يلاقيه النبي ﷺ من المشركين من التعب والإيذاء في طريق الدعوة.[٢]

ثانياً: الإعراض عن دعوة موسىعليه السلام واتهامه بالسحر: إن في حكاية قصة موسى عليه السلام لنبينا محمد ﷺ في سورة طه تسلية له في الفترة التي تعرض فيها لأذى الكفار وأشتدّ عليه وعلى المسلمين ذلك، حيث خاطبه الله ﷻ بقوله: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾ [طه:٩] لتسليته وتصبيره ببيان ما تعرض له سيدنا موسى عليه السلام من إعراض بني إسرائيل عن دعوته، وإعراض

---

[١] انظر: أصول الدعوة-عبدالكريم زيدان-ص٣٣٦.

[٢] انظر: تفسير مقاتل- مقاتل بن سليمان-٢٠/٣، الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-١٦٨/١١، إرشاد العقل السليم- أبو السعود-٣/٦.

فرعون عن الإيمان والحق رغم البينات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [طه:٥٦] ، وكذلك ما تعرض له من اتهام بالسحر، وهو عين ما اتُّهم به ﷺ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:٥٧] ، ففي هذا تسلية للنبي ﷺ ليتأسى بسيدنا موسى عليه السلام في الصبر على تحمل أعباء الرسالة ومقاساة المصاعب، لأن ذلك شأن الأنبياء قبله، وهذا فيه أيضاً تسلية وتصبير للدعاة من بعده.[١]

ثالثاً: تهديد فرعون للسحرة الذين آمنوا وثباتهم على الحق: قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۞ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:٧١-٧٣]. هذه الآيات تبين تهديد فرعون للسحرة الذين آمنوا بالتقطيع والصلب إلا أنهم ثبتوا على الحق والإيمان، فإن في ثباتهم رغم تعرضهم لهذا التهديد لتثبيت للمؤمنين في عهد الرسول ﷺ، وكذلك درس بليغ للدعاة إلى الله في الثبات والصبر على ما يتعرضون له من تهديد وأذى من أهل الكفر والحكام الظالمين.[٢]

رابعاً: الأمر بالصبر على الإيذاء في طريق الدعوة: في ختام سورة طه يأمر الله نبيه ﷺ بالصبر عمّا يتعرض إليه من اتهامات باطلة، فيقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه:١٣٠] أي فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بأنك ساحر ومجنون وشاعر وشقي ونحو ذلك، وصبّر نفسك بالصلاة والتسبيح خلال أوقات الليل والنهار، وهذا فيه حث للدعاة أيضاً بالصبر إقتداءاً برسولهم.[٣]

---

[١] انظر: جامع البيان-الطبري-٢٧٥/١٨، التحرير والتنوير-ابن عاشور-١٩٣/١٦.

[٢] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٤٠/١٨، التفسير المنير-الزحيلي-٢٥١/١٦، التفسير الموضوعي لسور القرآن-عدد من علماء التفسير-٥٧٦/٤.

[٣] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-٣٠٥/١٦.

*** الإصلاح والتغيير في الصبر على مشاق الدعوة:**

إن فيما تعرض له الأنبياء الكرام وخاصة نبينا محمد ﷺ لتسلية للدعاة والمصلحين عما يلاقونه من مشاق الدعوة، وتصبير لهم خلال قيامهم بمهمة الإصلاح والتغيير حتى ينالوا أهدافهم بإذن الله، فقد يصيب بعض الدعاة إلى الله اليأس من عدم استجابة المدعوين، وعدم وجود الثمرة المرجوة، فهذا خطأ كبير ومخالف لنهج الأنبياء والدعاة، فإن اليأس يجب ألا يكون في قواميس الدعاة إلى الله، فعليهم أن يبذلوا ويجتهدوا وهم على يقين أن الله معهم، ولن يترهم أعمالهم.

فواجب الدعاة الصبر على مشاق الدعوة وعمّا يلاقونه من صدود وسب ولعن وكيد وأذى من أهل الباطل، بل وافتراء بتسميتهم بأسماء هم منها براء، وإن على الدعاة أن يحذروا من الوقوع في مداهنة الحكام، أو ترك ميدان الدعوة خوفاً من ظلمهم وبطشهم أو حبسهم وإبعادهم، فإن الصبر للداعي أشد ضرورة له من غيره لتحقيق هدفه بالتمكين والعزة والنصر.

المطلب الثاني: التذكير والوعظ بالقرآن

لقد أنزل الله القرآن هدى ونوراً، بتصحيح الاعتقاد، وتهذيب الأخلاق، وتشريع الأحكام، وتعليم المسلمين، وتهذيب نفوسهم، والأخذ بيدهم إلى النجاة، وهو تذكرة وموعظة لتنبيه الغافلين، وإن التذكير والوعظ بالقرآن من أعظم أنواع التذكير، فالله دعا نبيه للتذكير بالقرآن، لأنه جوهر مهمته، فقال:﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[الغاشية:٢١]، وقال: ﴿ ... فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق:٤٥].[١] وإن واجب الدعاة والعلماء أن يذكّروا المؤمنين بمعانيه الشريفة وأهدافه العظيمة، ويعظوهم به، ويتلونه عليهم، ليُحيوا روح القرآن فيهم.[٢]

*** التذكير والوعظ بالقرآن في ضوء سورة طه:**

لقد جاءت سورة طه تبين أهمية التذكير والوعظ بالقرآن، من خلال تعظيم القرآن وبيان أنه تذكرة، وبيان الحكمة من تضمينه الوعيد والقصص، وبيان ثواب متبعه وجزاء المعرض عنه، وسأبين ذلك بإذن الله من خلال النقاط التالية:

أولاً: القرآن تذكرة لمن يخشى: لقد بين الله ﷻ أن القرآن تذكرة لمن من شأنه أن يخشاه ويتأثر ويرق قلبه، حيث قال: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [طه:٢-٣]، فإنما أنزله ليتذكر ذاكر، وينتفع سامع.[٣]

---

[١] انظر: تفسير مقاتل-مقاتل بن سليمان-١٢٩/٥، التفسير القرآني للقرآن-عبد الكريم الخطيب-٤١٨/١٣.

[٢] انظر: تفسير المنار-محمد رشيد رضا-٤٠/١٠.

[٣] انظر: جامع البيان-الطبري-٢٦٩/١٨، إرشاد العقل السليم-أبو السعود-٤/٦.

ثانياً: تعظيم القرآن ترغيباً في تدبره: لقد عظم الله القرآن ببيان أنه نزل ممن خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا﴾ [طه:٤] فإنه لمّا كان منزل القرآن بهذه العظمة، كان القرآن عظيماً، وإنما عظّم الله القرآن ترغيباً في تدبره والتأمل في معانيه، ولاستنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان، واستمالتهم نحو الخشية المفضية إلى التذكرة والإيمان.[١]

ثالثاً: التذكرة والموعظة بالقصص القرآني: قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه:٩٩] في هذه الآية بيان أن ما يقص من أخبار الأمم السابقة، وما قصّ في هذه السورة من نبأ موسى عليه السلام وبني إسرائيل، ليس لإيناس السامعين بالحديث، وإنما المقصود منه التذكرة والعبرة وإيقاظ البصائر، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ أي آتيناك يا محمد من عندنا ذكراً وهو القرآن، ليتذكر به ويتعظ به أهل العقل والفهم، ليكون رحمة للعالمين.[٢]

رابعاً: الحكمة من تضمنه الوعيد: بين الله سبحانه وتعالى أنه صرّف في القرآن من الوعيد حتى نتّقيه، ونتذكر ونتعظ به، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه:١١٣] أي خوفناهم فيه بضروب من الوعيد حتى يتقونا فيتركون المآثم والفواحش، أو يحدث القرآن لهم تذكرة فيعتبرون ويتعظون.[٣]

خامساً: ثواب متّبع القرآن وجزاء المعرض عنه: لقد بين الله بأن من اتبع ما جاء به القرآن من هدى، واتعظ به، فإنه سينال سعادة الدارين بعيدا عن الشقاء، أما من أعرض عنه فإن له معيشة الضنك والشقاء ويحشر يوم القيامة أعمى، قال تعالى: ﴿...فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾[طه:١٢٤].

---

[١] انظر: مفاتح الغيب–الرازي–٨/٢٢، إرشاد العقل السليم–أبو السعود–٤/٦، التحرير والتنوير–ابن عاشور–١٨٦/١٦.

[٢] انظر: جامع البيان–الطبري–٣٦٧/١٨، التحرير والتنوير–ابن عاشور–٣٠٢/١٦.

[٣] انظر: جامع البيان–الطبري–٣٧١/١٨، تفسير القرآن العظيم–ابن كثير–٣١٩/٥.

*** الإصلاح والتغيير في التذكير والوعظ بالقرآن:**

إن التذكير والوعظ بالقرآن منهجية إصلاح وتغيير، وهي أفضل أساليب الدعوة لتحقيق الإصلاح المنشود، فالتذكير بالقرآن الكريم، وما يتلى على الناس من آياته، ينقل الكافر من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلال إلى الهدى، فعلى الدعاة أن يهتموا بتعليم الناس قراءة القرآن وتلاوته تلاوة صحيحة، حتى يتعبدوا الله بتلاوته على الوجه الذي يرضيه، وأن يذكروا الناس ويوعظوهم بما جاء فيه من خير عظيم، ويعلموهم معاني آياته، وكذلك يتلونه عليهم في خطبهم ودروسهم، وألا تكون خطبهم خالية من الآيات المؤثرة، فما قرأ أحد القرآن أو استمع له بحضور القلب، وتدبر لآياته إلا خشع القلب، وزاد الإيمان، وفتحت له سبل الهداية، كما أن أبناء الأمة مطالبون بالإقبال على القرآن، وألا يتركوا المصاحف في البيوت يغطيها الغبار، بل عليهم تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وتعلم معانيه، وحضور مجالس تعليمه وتفسيره، والعمل بما فيه، ليكون نورا وهدى، كما أن الأمة مطالبة اليوم بتحكيم شرع الله في كل شيء، في السياسة والحكم وفي كل مجالات الحياة، فالقرآن الدستور الرباني، الذي به العزة والكرامة، وبالقرآن يسمو الحق، ويُسفل الباطل، ويتحقق الإصلاح.

المطلب الثالث: مقومات وسبل نجاح رسالة الدعوة

لما كانت رسالة الدعوة من أشرف وأجلّ الأعمال، كان من الواجب على الدعاة الحرص على نجاحها، وإعداد العدة لها، وفي الوقت الذي ارتفع فيه صوت الباطل وأصبحت الدعوة مهمة ليست بسيطة، أصبحت حاجة الدعاة كبيرة للتحلي بمقومات نجاح الدعوة، لتكون ناجحة ومؤثرة، وتحقق الإصلاح المرجو بإذن الله.

*** الإصلاح من خلال مقومات وسبل نجاح الدعوة في ضوء سورة طه:**

لقد أوضحت سورة طه مقومات وسبل نجاح الدعوة، التي من الأهمية تحلّي الدعاة بها، ليتحقق الإصلاح والتغيير، ولنا في سيدنا موسى عليه السلام نموذجاً في ذلك؛ فعندما كلفه الله عز وجل بالدعوة وأمره بالذهاب إلى فرعون، وبين له أنه ذاهب إلى رجل قد تجاوز الحد والطغيان فقال له: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ [طه:٢٤] ، علم موسى عليه السلام أن مهمته عظيمة، وأحسّ بالمسؤولية، فلجأ على الفور للسعي لتحصيل ما يعينه على أداء مهمته، وسأتناول هذه المقومات التي ذكرتها السورة، والتي من شأنها أن تكون عوناً للدعاة في دعوتهم، وتصلح من شأنهم، وهي:

١- **اللجوء إلى الله وطلب العون منه:** لقد شعر سيدنا موسى عليه السلام بالافتقار إلى الله، فلجأ إليه يطلب منه العون بمنحه دواعي أداء الرسالة[١]، لأنه يعلم أنه لا معين ولا ناصر له إلا هو سبحانه وتعالى ، ولا نجاح له بأداء مهمته إلا بتأييد الله له، قال تعالى :﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ [طه:٢٥]، ثم قال: ﴿ **إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا**﴾ [طه:٣٥] أي تعرف حالنا وضعفنا، وحاجتنا لعونك[٢]، فاستجاب الله له ﴿ **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾ [طه:٣٦] ، فالدعاء له أثر كبير في نجاح الدعوة.

٢- **انشراح الصدر:** سأل موسى ربه أن يشرح له صدره لما كلفه به: ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ [طه:٢٥] لأن انشراح الصدر من أعظم أسباب النجاح، فهو يحول مشقة التكليف إلى متعة، وعناءه إلى لذة.[٣]

٣- **تيسير الأمر:** وطلب أيضاً أن ييسر له أمره ﴿ **وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾ [طه:٢٦] ، "وتيسير الله لعباده هو ضمان النجاح، وإلا فماذا يملك الإنسان بدون هذا التيسير؟ ماذا يملك وقواه محدودة، وعلمه قاصر، والطريق طويل وشائك ومجهول؟!"[٤]

٤- **الفصاحة والطلاقة في الكلام:** إذ هي رأس مال الداعية؛ حيث إنّ تبليغ الدعوة يحتاج إلى لسان منطلق الكلام؛ حتى يتمكن المدعوون من فهم ما يريد، حيث قال: ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾ [طه:٢٧-٢٨] وكان في لسان موسى ثقل لا يكاد يفهم منه الكلام، فسأل الله أن يحل منه عقدة ليفقهوا ما يقول، ويحصل المقصود من المخاطبة .[٥]

٥- **الصحبة والعمل الجماعي:** لابد من الصحبة على طريق الدعوة، فبالصحبة الصالحة تهون الصعاب، ويتبادلان الأدوار، ويعوّض أحدهما النقص عند الآخر، وإنه في ظل تحزب أهل الباطل على الحق، كان لابد من الاجتماع على نصرة الحق، لذلك طلب موسى عليه السلام من ربه أن يرافقه هارون عليه السلام ليؤازره ويساعده ويقوي به ظهره، فقال: ﴿ **وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۞**

---

[١] انظر: أضواء البيان-الشنقيطي-٥٧٤/٨.

[٢] انظر: إرشاد العقل السليم-أبو السعود-١٤/٦، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥٠٤/١.

[٣] انظر: في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٣٣/٤.

[٤] في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٣٣/٤.

[٥] انظر: تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥٠٤/١، الخواطر الشعراوي-٩٢٥٨/١٥.

هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[طه:٢٩-٣٢]، فإن العمل الجماعي له ثمار أكبر من العمل الفردي، إذ به يكون الرأي السديد، والتعاون على الخير، ويكون العمل منظماً ومستمراً ضمن خطة مدروسة.

٦- **التزود بالأدلة والاستعداد للرد:** حيث أمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا لفرعون مصطحبين الأدلة والحجج فقال: ﴿ **اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي**﴾ [طه:٤٢]، وهذا فيه حث للدعاة بالاستعداد بالحجج للرد على ادعاء الخصم، فلما ذهبا إليه قالا له ﴿ ...**قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ** ...﴾ [طه:٤٧]أي بالحجة والدليل على صدق دعوتنا، ولما فاجأ فرعون موسى وهارون بطرح الشبهات والأسئلة عليهم، فسألهما عن ربهما وعن القرون الأولى، فكان الجواب جاهزا، قال تعالى: ﴿ **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى۞قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى۞قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى۞قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى** ﴾ [طه:٤٩-٥٢]، وهذا فيه حث أيضا للدعاة بالجاهزية للإجابة على الشبهات.[١]

٧- **دوام الذكر لله:** وهو خير زاد، حيث أمر الله موسى وهارون عليهما السلام الاستعانة بذكره سبحانه وتعالى فقال: ﴿ **اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي**﴾ [طه:٤٢] أي لا تضعفا في ذكري، فإن في ذكر الله قوة لهما، وتثبيتاً لأقدامهما[٢]، ولمّا طلب موسى العون من الله برر ذلك بأن يكون هذا العطاء الرباني سبباً في إعانتهما على ذكره وتسبيحه، حيث قال: ﴿ **كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا۞وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا**﴾[طه:٣٣-٣٤][٣].

٨- **اللين في الدعوة:** إن اللين في الدعوة زاد هام للداعية، حيث أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام باللين في دعوة فرعون فقال: ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه:٤٤]، " لأن اللين لا يثير العزم بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان"[٤]، ولأن من عادة الجبابرة إذا غلظ لهم في الوعظ أن يزدادوا

---

[١] انظر: في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٣٧/٤، التفسير الموضوعي لسور القرآن-عدد من علماء التفسير-٥٥٧/٤.

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم-ابن كثير-٢٩٤/٥، التفسير المنير-الزحيلي-١٦-٢١٥.

[٣] انظر: نظم الدرر-البقاعي-٢٨٥/١٢.

[٤] في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٣٦/٤.

تكبرا، ويثأروا لأنفسهم بالإضرار بالداعية[1]، لذلك لابد من التزام اللين في الدعوة لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

٩- **الترغيب والترهيب مع المدعوين:** استخدم موسى عليه السلام الترغيب مع فرعون فقال له: ﴿...قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه:٤٧] فلما لم ينتفع معه بالترغيب واللين، قال له مرهباً: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه:٤٨]، فعندما امتنع من الانتفاع بالترغيب وأعرض جاز موعظته بالترهيب، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦].[2]

هذه بعض مقومات وسبل نجاح الدعوة، التي بينتها سورة طه، والتي من شأنها أن ترتقي بالداعية إذا ما تزود بها، وتصلح من أداء الدعاة في ظل الضرورة المُلحّة للجهد الدعوي ومواكبة تطور العلم، وتنوع أساليب الفساد، والحاجة الماسة للإصلاح الشامل.

المطلب الرابع: إقامة الحجة والإعذار بالإنذار

إن من أهداف الدعوة إلى الله إقامة الحجة على الناس، فالرسل وأتباعهم من الدعاة والمصلحون يبلغون دين الله، ويبشرون وينذرون، فإما أن يستجيب المدعو، وتتحقق له الهداية، وإما أن يعرض فتقام عليه الحجة، وينقطع عذره عند الله، فالهداية من الله يجريها على من يشاء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]، فما على الدعاة إلا التذكير والإنذار، وأن يسقطوا عن أنفسهم واجب الدعوة، وأمر الخلق بعد ذلك إلى الله الواحد، يهدي من يشاء من عباده.

*** إقامة الحجة والإعذار بالإنذار في ضوء سورة طه:**

لقد بين الله سبحانه وتعالى مهمة النبي صلى الله عليه وسلم وحدود تكاليفه، وهي الدعوة والتذكير، فهو غير مكلف بفتح مغاليق القلوب، إنما ذلك إلى الله، حيث قال تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞إِلَّا

---

[1] انظر: مفاتح الغيب-الرازي-٥٢/٢٢.

[2] انظر: في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٣٧/٤، التفسير المنير-الزحيلي-٢١٤/١٦، التحرير والتنوير-ابن عاشور-٢٢٥/١٦.

﴿تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَخْشَى﴾ [طه:٣] أي: أنزلنا القرآن للتبليغ والتذكير، فحسبك ذلك، ولا تلتفت لمن أعرض، ولا ترهق نفسك لحملهم على قبول دعوتك.[١]

ولنا في سيدنا موسى عليه السلام أسوة في نصيحته وموعظته للسحرة قبل البدء بمباراتهم، حيث أنذرهم بالعذاب، لينقطع عذرهم، فإذا وقع عليهم العذاب يكون قد أعذر، وأقام الحجة، وأسقط عن نفسه واجب الدعوة، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه:٦١] .[٢]

ولقد أقام موسى وهارون الحجة بالأدلة والبراهين على فرعون، إلا أنه أصرّ على إعراضه عن الحق ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [طه:٥٦] ، فهما قد بلّغا الأمانة، وأقاما الحجة، والنتائج أمرها إلى الله.[٣]

*** الإصلاح والتغيير في إقامة الحجة والإعذار بالإنذار:**

إن على الداعية أن يعلم أن مهمته مقتصرة على التذكير والتبليغ والإنذار، وإقامة الحجة والإعذار، فمن أنذر فقد أعذر، وعليه ألا يشغل نفسه بالنتائج التي بيد الله، فالقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، وهو الهادي إلى صراطه المستقيم، ولهذا فإنّ الدعاة مطالبون بالدعوة، وإسقاط الواجب عن أنفسهم، وعدم اليأس من تكرار التذكير والموعظة بأساليب مختلفة حتى يتحقق المقصود، وإن ما نراه اليوم من بعض الدعاة باستخدامهم القوة والعنف لإجبار الناس وإكراههم للالتزام بتعاليم الإسلام إنما هو مخالف لمنهج الله، ولهدي الرسل الكرام، فلا يتحقق الإصلاح إلا باتباع نهج الرسل الكرام في الدعوة إلى الله.

المطلب الخامس: الجهر بالحق في وجه الباطل

إن كلمة الحق يجب أن تقال في كل مكان وزمان، فالرسل الكرام جهروا بكلمة التوحيد، ودعوا إليها، وقد أمر الله نبينا محمداً ﷺ بأن يصدع بالحق فقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] ، فإن من صفات الداعية أن يجهر بالحق في وجه الباطل،

---

[١] انظر: في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٢٨/٤، التفسير المنير-الزحيلي-١٧٩/١٦.

[٢] انظر: محاسن التأويل- القاسمي-١٣١/٧، تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٥٠٨/١.

[٣] انظر: التفسير المنير-الزحيلي-٢٣٢/١٦.

وألّا يخشى في الله لومة لائم، وألّا يخشى ظلم السلطان واستبداده وجبروته، بل يدعو إلى الحق ويثبت عليه.

*** الجهر بالحق في ضوء سورة طه:**

لقد بينت سورة طه أن فرعون نموذج للطاغية الذي أفسد في الأرض، ووصل إلى أعلى درجات الطغيان والبطش ببني إسرائيل واستعبادهم، وخاصة عندما اتضح الحق، وأبطل سيدنا موسى عليه السلام السحر في المباراة بينه وبين فرعون، فآمن السحرة بعد وضوح البينات، وأعلنوها صريحة ﴿.. **قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى**﴾ [طه:٧٠] ، فظهر استبداد فرعون واستعباده بقوله: ﴿**قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ**﴾ [طه:٧١] أي أقررتم لموسى بما دعاكم قبل أن أطلق لكم ذلك[١]، فيريد أن يستأذنوا منه قبل الإيمان، وكأن الإيمان أصبح عمل من أعمال السيادة التي في يد الحاكم، التي يجب الإذن من السلطان قبل ممارسته، وهكذا وصل الاستعباد والاستبداد بفرعون أن يخيل له أنه يملك من الناس كل شيء، حتى خفقات قلوبهم، فأنكر على السحرة أن يؤمنوا قبل أن يأذن لقلوبهم أن تستقبل نفحات الإيمان!"[٢].

ولم ينتهي الأمر عند ذلك بل هددهم وتوعدهم بالتقطيع والصلب ﴿...**فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**﴾ [طه:٧١] إنه "التهديد الغليظ بالعذاب الغليظ، الذي يعتمد عليه الطغاة، ويسلطونه على الجسوم والأبدان، حين يعجزون عن قهر القلوب والأرواح"[٣].

ولكن بالرغم من شدة التهديد إلا أنهم ثبتوا على الحق، وجهروا به في وجه الباطل، فقالوا لفرعون ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ [طه:٧٢] أي لن نتبعك ونكذّب ما جاءنا من البينات والحجج، فاصنع ما أنت صانع، واعمل بنا ما بدا لك، إنما تقضي الحياة الدنيا الفانية، وعللوا إيمانهم برجائهم أن يغفر الله لهم خطاياهم، فهو أبقى لهم ﴿**إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه:٧٣] [٤]، وبذلك "أظهروا استخفافهم بوعيده وبتعذيبه، إذ أصبحوا أهل إيمان

---

[١] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٣٩/١٨.

[٢] انظر: التفسير القرآني للقرآن-عبد الكريم الخطيب-٨٠٧/٨.

[٣] في ظلال القرآن-سيد قطب-٢٣٤٣/٤.

[٤] انظر: جامع البيان-الطبري-٣٤٠/١٨.

ويقين، وكذلك شأن المؤمنين بالرسل إذا أشرقت عليهم أنوار الرسالة فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان وثباته"[1].

هكذا نجد تحرر أصحاب الإيمان الصادق من سلطان الظلم والاستبداد بالجهر بالحق في وجه الباطل، فحين تحقق الإيمان الصادق وظهر الحق على وجه أهله، انتصر الحق على الطغيان، كما انتصر موسىعليه السلام وغرق فرعون بجنوده، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۞ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**﴾ [طه:٧٧-٧٨] ، يقول سيد قطب: "إنه حين كان بنو إسرائيل يؤدون ضريبة الذل لفرعون، وهو يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، لم تتدخل يد القدرة لإدارة المعركة، فهم لم يكونوا يؤدون هذه الضريبة إلا ذلاً واستكانة وخوفاً، فأما حين استعلن الإيمان في قلوب الذين آمنوا بموسى، واستعدّوا لاحتمال التعذيب، وهم مرفوعو الرؤوس، يجهرون بكلمة الإيمان في وجه فرعون دون تلجلج ودون تحرج، ودون اتقاء للتعذيب، فأما عند ذلك فقد تدخلت يد القدرة لإدارة المعركة، وإعلان النصر الذي تم قبل ذلك في الأرواح والقلوب..هذه هي العبرة التي يبرزها السياق بذلك الإجمال، وبتتابع المشهدين بلا عائق من التفصيلات، ليستيقنها أصحاب الدعوات، ويعرفوا متى يرتقبون النصر من عند الله، وهم مجردون من عدة الأرض، والطغاة يملكون المال والجند والسلاح" [2].

*** الإصلاح والتغيير في الجهر بالحق في وجه الباطل:**

إن في قصة موسى وفرعون وجهر السحرة بالحق لدرس بليغ للدعاة والمصلحين بأهمية الجهر بالحق في وجه الباطل إذا تحقق الإيمان الصادق، وكذلك رفض الذل والاستعباد، والظلم والاستبداد من الحكام والسلاطين، الذين زاد ظلمهم بمنع الدعاة من ممارسة الدعوة إلى الله، بل ووضعهم في السجون وتعذيبهم بأشد ألوان العذاب، ونفيهم من بلادهم، وما ذلك إلا لأنهم يحملون رسالة الإصلاح والتغيير، وإن ما نراه اليوم من ثورات غاضبة، قامت بها الشعوب على الأنظمة الظالمة، لهو صورة من صور الجهر بالحق في وجه الظلم والطغيان، ونموذج من تحرر أهل الإيمان والحق من جبروت واستبداد فراعنة العصر.

---

[1] التحرير والتنوير-ابن عاشور-٢٦٦/١٦.

[2] في ظلال القرآن-٢٣٤٥/٤.

المبحث الخامس
منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التأدب مع الله تعالى

المطلب الثاني: أهمية التعارف للمتلاقين

المطلب الثالث: الغضب عند انتهاك حرمات الله

المطلب الرابع: الاعتذار خلق حميد

المطلب الأول: التأدب مع الله ﷻ

إن التأدب مع الله ومع مقدساته من أوجب الواجبات، فإذا كان التأدب مع أصحاب الفضل من الواجب، فمن الأوجب التأدب مع الله ﷻ ومقدساته، والتأدب هو التصرف اللائق الذي يتفق مع المروءة، فالأدب مع الله يكون بحسن الصحبة معه، والقيام بدينه، والتّأدّب بآدابه، ظاهراً وباطناً، على مقتضى التّعظيم والإجلال والحياء، وكذلك الأدب مع مقدساته بحسن التصرف والتقديس والتعظيم.[1]

*** التأدب مع الله في ضوء سورة طه:**

لقد أمر الله نبيه موسى عليه السلام في مشهد التكليف بالواد المقدس أن يخلع نعليه تأدباً مع الله ومع مقدساته، واستعداداً لتلقي التكليف؛ لأنه في مقام يخاطب فيه ربه ويخاطبه، وليكون معظماً للمكان المقدس، وقيل أن نعليه كانتا من جلد حمار ميت، قال تعالى: ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ [طه:١٢]، ففي خلع النعلين مدعاة للخشوع والخضوع والتواضع وحسن الأدب عند مناجاة الله وسماع كلامه، وهذا فيه حث على التأدب مع الله ومع مقدساته.[2]

*** مظاهر التأدب مع الله والإصلاح والتغيير فيها:**

إن من الإصلاح والتغيير أن نتأدب مع الله ﷻ ومع مقدساته، فالتأدب مع الله هو سلوك الأنبياء والصالحين، فالمؤمن صاحب أخلاق عاليه وسامية أولها حسن الأدب مع الله، ومن مظاهر التأدب مع الله ومع مقدساته :

– الإيمان بالله ﷻ، وترك الشرك الذي هو أعظم سوء للأدب مع الله، فالواجب على الجميع الإيمان بالله وبكل ما جاء به الرسول ﷺ، والإخلاص له، وشكره على نعمه، وتعظيمه، وحسن الظن بالله، والاستقامة على دينه، ودعاؤه والانكسار بين يديه، والحياء من الله بترك المعاصي، إذ ليس من الأدب أن نجحد نعم الله ونعصيه، وهو ينظر إلينا.

– ومن الأدب مع الله عدم استخدام العبارات التي فيها سوء أدب مع الله، بل لابد من انتقاء ألفاظ التعظيم والتقديس له سبحانه.

---

[1] انظر: مدارج السالكين–ابن القيم–٣٦٥/٢، نضرة النعيم–عدد من المختصين–١٤٦/٢.

[2] انظر: مفاتح الغيب–الرازي–١٨/٢٢، جامع الأحكام–القرطبي–١٧٣/١١، إرشاد العقل السليم–أبو السعود–٧/٦، التسهيل لعلوم التنزيل–ابن جزي–٦/٢، الخواطر–الشعراوي–٩٢٣١/١٥، المنير–الزحيلي–١٨٩/١٦.

– من الأدب مع الله التّأدّب مع القرآن وتلاوته وتدبّره، واتباعه والتمسك به، والإنصات إليه، فليس من الأدب أن يتلى القرآن في المحافل، ويتحدث الشخص مع غيره، أو ينشغل في شيء آخر.

– ومن الأدب مع الله في العبادة الوقوف بين يديه طاهراً، والسّكون في الصّلاة، والخشوع والتذلل، وعدم الإكثار من الحركات، وعدم رفع البصر إلى السماء، بل وضع اليد اليمنى على اليسرى، والنظر موضع السجود من الأدب في الصلاة مع الله.[١]

– ومن الأدب مع الله خلع النعلين عند دخول المساجد أو عند الصلاة إذا كان فيها قذر أو نجاسة، فإن كانت طاهرة جازت الصلاة فيها[٢]، وكذلك عدم الذهاب للمساجد في هيئة غير لائقة وبرائحة كريهة وملابس النوم أو العمل، ومن الأدب عدم رفع الصوت في المسجد لكي يكون هادئاً مهيئاً للعبادة، فما نراه من بعض الناس من رفع الأصوات والتشاجر والنقاشات المرتفعة ليس من الأدب مع الله في بيته، وعلى الإنسان أيضا أن يغلق جرس هاتفه في المسجد، حتى لا يزعج المصلين بأصوات الموسيقى والأغاني، وفي ذلك تقديس للمسجد، الذي هو بيت من بيوت الله.

المطلب الثاني: أهمية التعارف للمتلاقين

إن من الأخلاق الحميدة التي لها أثر كبير على المجتمع، أن يتعارف المتلاقون، ويعرفوا عن أسمائهم، فإن ذلك يورث السكينة والطمأنينة والأنس في القلب، وقد حث الله ﷻ على التعارف فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ..﴾ [الحجرات:١٣] ، والتعارف أن يُعرّف النّاس بعضهم بعضاً، بحسب انتسابهم جميعا إلى أب واحد وأمّ واحدة، ثمّ بحسب الدّين والشّعوب والقبائل، وبذكر أسمائهم، ليكون ذلك مدعاة للألفة والوئام لا إلى التّنافر والعصبيّة.[٣]

*** أهمية التعارف للمتلاقين في ضوء سورة طه:**

لقد ذكرت السورة أنه لمّا كان سيدنا موسى عليه السلام يبحث عن نار يأنس بها هو وأهله، حينما كان يسير بهم في ليلة مظلمة باردة، فعندما وجد ناراً وذهب تجاهها، سمع نداء عليه،

---

[١] انظر: مدارج السالكين– ابن القيم–٢/٣٦٤.

[٢] انظر: التفسير المنير–الزحيلي–١٦/١٩١.

[٣] انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم–عدد من المختصين–٣/١٠٠٤.

فعرفه الله ﷻ على نفسه بأن الذي يخاطبه ويكلمه هو المولى ﷻ، إيناساً وطمأنينة لقلبه، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى۞ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى۞إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:٩-١٤]، فإن في تعريف الله ﷻ بنفسه لموسى عليه السلام في مشهد التكليف والمناجاة، إشارة إلى أهمية التعارف بين المتلاقين، وأن أول ما يتعارف به المتلاقون أن يعرفوا أسماءهم.[١]

*** الإصلاح والتغيير في التعارف بين المتلاقين:**

إن التعارف بين الناس، وتعريف المتلاقين أنفسهم بعضهم لبعض له أثر كبير على صلاح المجتمع، إذ إنه يورث السكينة والطمأنينة في القلب، ويقوي روابط الأخوة في الله، ويجد المسلم له أنصاراً يعاونوه على الخير، فبالتعارف يقوم التعاون بين أفراد المجتمع، فخلق التعارف من الضرورات في التعامل بين الأفراد، فالجيران يحتاج بعضهم لبعض، فلابد أن يتعارفوا ويتزاوروا، وكل واحد من الناس قد يحتاج لغيره، فيحتاج إلى التعارف حتى يتعاون معه، فبالتعارف يسود المجتمع السعادة والألفة والمحبة.

المطلب الثالث: الغضب عند انتهاك حرمات الله

إن من الغضب ما هو محمود، وهو الغضب لله ومن أجل الله، وذلك عندما تنتهك حرمات الله، أو تُترك أوامره، وقد كان رسول الله ﷺ يغضب لله إذا انتهكت محارمه، وكان لا ينتقم لنفسه، وتوضح عائشة رضي الله عنها ذلك فتقول: **(... وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها)**[٢]. وقد بين شيخ الإسلام ابن تيميه أن الناس في هذا المقام أربعة أقسام: منهم من يغضب لربه لا لنفسه وهذا أعلى نوع، ومنهم بالعكس يغضب لنفسه ولا يغضب لربه، ومنهم من يغضب لهما، ومنهم الذي لا يغضب لنفسه ولا لربه، فأعلاهم حال النبي ﷺ ومن اتبعه، يصبرون على أذى الناس، ويجاهدون في سبيل الله، ويغضبون لله، وينتقمون لله، لا

---

[١] انظر: إرشاد العقل السليم-أبو السعود-٧/٦، التحرير والتنوير-ابن عاشور-١٩٩/١٦.

[٢] صحيح مسلم-كتائب الفضائل-باب مباعدته ﷺ للآثام-١٨١٣/٤-رقم٢٣٢٧.

لنفوسهم.[1] والغضب هو "انفعال للنفس وهيجان ينشأ عن إدراك ما يسوؤها ويسخطها دون خوف، والوصف منه غضبان"[2] .

*** الغضب عند انتهاك حرمات الله في ضوء سورة طه:**

لقد كان سيدنا موسى عليه السلام أسوة حسنة في الغضب لله، فقد بين الله سبحانه وتعالى في سورة طه أن سيدنا موسى عليه السلام رجع إلى قومه من مناجاة ربه غضبانَ متغيّظاً على قومه لما أحدثوه من بعده بعبادة العجل والكفر بالله، قال تعالى: ﴿**فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا** ...﴾ [طه:٨٦] ، فقد كان شديد الغضب لمخالفتهم لأمر الله، وكذلك كان حزيناً أسفاً عليهم، فقد اجتمع الانفعالان في نفسه؛ لأنه يسوؤه وقوع ذلك في أمته، فانفعاله المتعلق بحالهم غضب، وهو أيضاً يحزنه وقوع ذلك.[3]

*** الإصلاح والتغيير في الغضب عند انتهاك حرمات الله:**

إن ما نراه اليوم من خلل ومن فساد واجب على الأمة الإسلامية أن تدفعه عن نفسها، حتى لا يقع عليها عذاب الله، فلابد أن تغضب لله، ولا تترك الفساد ينتشر، فهذه مسؤولية قادة الأمة وحكامها، أن يغيروا هذا الفساد ويصلحوه، ولا يكون ذلك إلا بعد أن يغضبوا لانتهاك حرمات الله، وكذلك مسؤولية المسلمين أن تتمعر وجوههم غضباً لله عز وجل ، حين انتهاك حرمات الله، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)**[4]، فإذا لم تتمعر الوجوه، وتغضب النفوس لله عز وجل يحل عذاب الله، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود:١٠٢] ، فإن واجبنا أن نغضب لكل ما يخالف شرع الله، لا أن نغضب لأنفسنا، فإذا رأى المسلم منكراً أو سمع قولاً فيه غضب لله، أو رأى أعراض المسلمين تنتهك، عليه أن يغير هذا المنكر، فإن لم يستطع عليه بالغضب، وعليه أن يغار على أعراض المسلمين، فهذا من شأنه أن يصلح من شأننا، وأن يحقق الإصلاح والتغيير على مستوى الفرد والمجتمع.

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى-٨/٣٣٢.

[2] التحرير والتنوير-ابن عاشور-١٦/٢١٨.

[3] انظر: جامع البيان-الطبري-١٨/٣٥٠، التحرير والتنوير-ابن عاشور-١٦/٢٨١.

[4] صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان-١/٦٩-رقم٤٩.

المطلب الرابع: الاعتذار خلق حميد

إن الاعتذار خلق من الأخلاق الحميدة، فالله خلق الإنسان قابل للوقوع في الخطأ ومعرض للغفلة والنسيان، وجعل باباً واسعاً يرفع هذا الخلل، ألا وهو الاعتذار وطلب العفو والصفح. والاعتذار: هو إظهار ندم على ذنب أو خطأ يقر صاحبه بأن له في إتيانه عذرا، فيتحرى ما يمحو به خطأه.[1]

* خلق الاعتذار في ضوء سورة طه:

عندما سأل الله ﷻ موسى عليه السلام عن سبب استعجاله عن قومه ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى**﴾ [طه:٨٣] بيّن له سبب ذلك معتذراً ﴿**قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ [طه:٨٤] "فاعتذر موسى بعذرين: أحدهما أن قومه على أثره، أي قريب منه، فلم يتقدّم عليهم بكثير فيوجب العتاب، والثاني أنه إنما تقدم طلباً لرضا الله"[2].

ولقد اعتذر قوم موسى عليه السلام له من وقوعهم في الفتنة مبررين ذلك ﴿**قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**﴾ [طه:٨٧] فهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، مبينين أنهم لم يملكوا أمرهم، فقدموا اعتذارهم بأن الأمر كان أكبر من طاقتهم، وهذا يكشف أن ما وقعوا فيه أثرٌ للاستعباد الطويل الذي عاشوه، والذي سبّب عندهم الخلل النفسي والعقلي.[3]

وكذلك اعتذر هارون لموسى عليه السلام عندما سأله عن سبب بقائه مع القوم حين الفتنة وعدم اتباعه ﴿**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**﴾ [طه:٩٢-٩٣]، فحينما شرع موسى عليه السلام في لومه، قال له هارون معتذراً ﴿**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾ [طه:٩٤] "هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم، قال إني

---

[1] انظر: الكليات-الكفوي-١/٣٠٨، التعريفات-الجرجاني-١/٣٠.

[2] التسهيل في علوم التنزيل-ابن جزي-٢/١٢.

[3] انظر: جامع البيان-الطبري-١٨/٣٥١، في ظلال القرآن-سيد قطب- ٤/٢٣٤٧، التحرير والتنوير-ابن عاشور-١٦/٢٨٦.

خشيت أن أتبعك فأخبرك بهذا، فتقول لي: لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم، **(وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)** أي: وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم"[1].

* الإصلاح والتغيير في خلق الاعتذار:

إن أدب الاعتذار والتماس الأعذار خلق كريم، وفيه صلاح كبير للنفس والمجتمع، فهو ينفي شعور الكبرياء من المعتذر، وينفي الحقد والبغضاء من الطرف الآخر، فمن الناس من يُصرّ على خطئه، ولا يقدم اعتذاراً؛ لأنه يتوهم أن الاعتذار إهانه له، وهذا فهم خاطئ، إذ من الكبر أن يخطئ المرء ولا يعتذر لأخيه، فالحياة مليئة بالمواقف، ولا تخلو من المواقف التي تحتاج إلى اعتذار، ككلمة جرحت مشاعر الآخرين، أو عدم وفاء بموعد، أو غفلة أو نسيان، أو خطأ بقصد أو بغير قصد، فمن الأهمية أن نتخلق بهذا الخلق، حيث إن الاعتذار من سمات المسلمين، فهو يمحو الذنب، ويصفي القلب، ويكسب التواضع، ويعمل على دوام الأخوة والترابط، فهو ينهي الخصومات التي تحدث بين الناس، فبكلمة اعتذار أو أسف أو تبرير موقف ينتهي خلاف، ويُضمد جرح، قد يحدث بين الإخوة أو الأهل أو الأزواج أو الجيران، وتعود العلاقات إلى طبيعتها، بل تزداد الأخوة والمحبة، فحاجتنا إلى هذا الخلق ملحّة حتى نرتقي وننهض بأنفسنا وبمجتمعنا، ونسمو فوق الخلافات، فلا تؤثر فينا سلباً، بل سرعان ما تُمحى آثارها بكلمة اعتذار من أخ لأخيه.

---

[1] تفسير القرآن العظيم- ابن كثير-٥/٣١٢.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنني أحمد الله ﷻ الذي بنعمته تتم الصالحات، أن أعانني ووفقني ويسّر لي إتمام هذا البحث، بعد دراسة ممتعة لآيات سورتي مريم وطه، واستخلاص وبيان ما فيهما من منهجيات الإصلاح والتغيير، ومن خلال هذه الدراسة للسورتين، والوقوف على ما فيها من منهجيات، خرج الباحث بالنتائج والتوصيات التالية:

أولاً: نتائج البحث:

١- إن الإسلام العظيم جاء لإصلاح البشرية، فكما أصلح المجتمع الجاهلي، فهو الأجدر على قيادة العالم، وإصلاح وتغيير الفساد الذي اعترى الفرد أو الجماعة.

٢- حاجة الأمة الإسلامية إلى الإصلاح والتغيير، بإحداث نقلة كلية شاملة، ترتقي بها لما يؤهلها لإقامة شرع الله في الأرض.

٣- تبين لي أن الإصلاح والتغيير لا ينحصر في جانب واحد، بل يشمل جوانب متنوعة، ونواحي متعددة، ليشمل جميع نواحي الحياة.

٤- اشتمال سورتي مريم وطه على مبادئ وأسس تتمثل في منهجيات عظيمة وقيمة من شأنها أن تغيّر حال الأمة إلى الصلاح والفلاح والعزة.

٥- إن صلاح عقيدة الفرد من أهم وجوه الإصلاح، وإن الإيمان له أثر كبير في حياة الإنسان، فمن صلحت عقيدته صلح تفكيره وسلوكه، وأصبح فرداً صالحاً مصلحاً.

٦- إن القلب الذي استقرت فيه حقيقة الألوهية والعبودية لا يمكن أن يهدأ إلا أن يرى هذه الحقيقة الربانية قد تمكنت في الأرض وفق منهج الله.

٧- سعة رحمة الله لتشمل جميع خلقه بما فيهم العصاة، وإن أهل العبودية لهم خصوصية عند الله بمنحهم الرحمات والكرامات.

٨- تبين لنا أن الله تعالى تكفل برعاية أهل الإصلاح والتغيير وتثبيتهم وتأييدهم، لأنهم خيرة الله من خلقه.

٩- إن صلاح الفرد والمجتمع منوط بأداء العبادات التي شرعها الله على وجهها، وطاعة الله فيما أمر من الشرائع والشعائر.

١٠- أهمية الدعاء الخالص واللجوء إلى الله لدفع البلاء، وتنزيل الرحمات، وتحقيق التمكين لأهل الصلاح.

١١- أهمية أن يستعلي الإنسان على مطامع الدنيا، ويجرد قلبه من قسوة المادة، ليحلق في عالم الروح، ويصل إلى منزلة محبة الله، وما ذلك إلا بالمداومة على العبادات والأعمال الصالحة المتنوعة.

١٢- إن الإصلاح التربوي هو أساس لكل إصلاح، فبمقدار ما يتم الإصلاح والتغيير في الفرد، تتم عملية التغيير في المجتمع.

١٣- إن القرآن رسم معالم منهج الإسلام في الدعوة والإصلاح، وبين وسائله، فحري بالدعاة والمصلحين اتباعها في ميدان الإصلاح والتغيير.

١٤- إن الأمل معقود على الدعاة والمصلحين، ومن شرّفه الله بذلك عليه التحلي بصفات ومؤهلات تمكنه من أداء مهمته، وعليه أن يتزود بمقومات وسبل أداء المهمة، التي تضمن له النجاح بعد توفيق الله.

١٥- أن طريق الإصلاح والتغيير مليء بالمعوقات والابتلاءات، وإن الإصلاح والتغيير بحاجة إلى الصبر والاحتساب، والعزيمة والتضحية، حتى تتحول المحنة إلى منحة، ويتحقق الهدف المنشود.

١٦- إن مسؤولية إقامة المجتمع المسلم، تتم بأن يبدأ المسلم بإصلاحه لنفسه، ثم إقامة المجتمع المسلم الصغير في بيته.

١٧- إن القصص القرآني يوجه الأفراد والشعوب إلى منهجية الإصلاح والتغيير بسرد سيرهم، والوقوف على أهم الملامح التي رسمها الأنبياء في تعاملهم مع أقوامهم.

١٨- سلامة المجتمع وقوة بنيانه، وسمو مكانته، وعزة أبنائه، بتمسكهم بمحاسن الأخلاق.

١٩- إن الجهر بالحق بعد تحقق الإيمان الصادق هو سبيل تحرر أهل الإصلاح والتغيير من سلطان الظلم والاستبداد.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي طلاب العلم بالاهتمام بموضوعات القرآن الكريم، وخاصة هذا النوع من التفسير، وبيان المنهج الإصلاحي للناس، فالقرآن زاخر بكل ما يخدم ويعالج ويغير الواقع.

٢- ضرورة تطبيق منهجيات الإصلاح والتغيير التي من شأنها أن تغير حال الناس إلى العزة والرقي، وأوصي الدعاة بالتركيز على هذه المنهجيات التي فيها الخير الكثير.

٣- ضرورة العمل على تغيير وإصلاح النفس البشرية، وأن يبدأ كل إنسان بإصلاح نفسه، وما يراه فاسداً من حوله، وخاصة أسرته التي هي أمانة في رقبته، وفي ذلك صلاح للمجتمع.

٤- أن يهتم الدعاة بغرس العقيدة الصحيحة في المجتمع، لأنها مبدأ كل إصلاح، وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي.

٥- أن يمتثل الدعاة منهج القرآن الكريم في تربية الأمة، بالاستفادة من أساليب القرآن، وأساليب الأنبياء، واستغلال المنهجيات التربوية، وتوظيفها في ميدان الإصلاح والتغيير، ليكون لها دورٌ فاعل.

٦- الاهتمام بالمنهجيات الأخلاقية التزاماً وتعليماً لتكوين مجتمع راقي بأخلاقه، وقادر على القيام بواجبه في الإصلاح والتغيير.

٧- ضرورة استغلال السنن الإلهية والكونية فيما يصلح الفرد والمجتمع.

هذا جهد متواضع بذلت فيه ما في وسعي للخروج بما يخدم الإسلام والمسلمين، وقد حرصت أن أتجنب الخطأ ما استطعت، فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأخيراً أسأل الله أن تكون هذه الرسالة فاتحة خير لي وللأمة.

الفهارس

وتشتمل على :

١. فهرس الآيـــات القرآنـيـــة

٢. فهرس الأحاديث النبوية والآثار

٣. فهرس الأعـــلام المترجم لهم

٤. فهرس المـصـــادر والمـراجـــع

٥. فهرس المـوضـــوعـــــات

فهـرس الآيـــات القرآنيـــة

أولاً: فهرس للآيات عدا سورتي الدراسة (حسب ترتيب المصحف)

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	البقرة		
١	﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ... ﴾	٤٤	٨٠
٢	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ... ﴾	١١٩	٨٧
٣	﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ.. ﴾	١٤٨	١٢٢
٤	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ... ﴾	١٨٦	٤٦
٥	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ ... ﴾	١٩٣	١٣١
٦	﴿ ...وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ... ﴾	١٩٧	٥٥
٧	﴿ ...فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ... ﴾	٢٥٦	٣٨
٨	﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾	٢٧٢	١٤٦
	آل عمران		
٩	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ... ﴾	١٩	٢٨
١٠	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ... ﴾	١٣٣	١٢٢
١١	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ... ﴾	١٧٨	٧١
١٢	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ. ﴾	١٨٥	٣٨
١٣	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ... ﴾	١٩١	١١٤، ١٩١
	النساء		
١٤	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	١٦٥	١١٣
١٥	﴿ ... إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ... ﴾	١٧١	١٥

المائدة			
١٦	﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾	٣٠	١٣٤
١٧	﴿ ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...﴾	٤٨	٢
الأنعام			
١٨	﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا ...﴾	٣٤	٧٨ ، ١٤٢
١٩	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾	٥٦	٤
٢٠	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾	١٦٢	٤٤
الأعراف			
٢١	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ...﴾	٥٥	٤٥
٢٢	﴿ ... يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾	٥٩	٢٨
٢٣	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾	١٧٢	١٣٥
الأنفال			
٢٤	﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ ..﴾	٣٣	٧٥
التوبة			
٢٥	﴿ ...خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآَخَرَ سَيِّئًا...﴾	١٠٢	٤
٢٦	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا...﴾	٦٠	٥٠
يونس			
٢٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا... ۞ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ ..﴾	٧-٨	٩٨
هود			
٢٨	﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ...﴾	٨٨	أ
٢٩	﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ...﴾	١٠٢	١٥٧
٣٠	﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ..﴾	١١٢	١٢٤
٣١	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾	١١٧	٧٥
يوسف			
٣٢	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي..﴾	١٠٨	٧٧

الرعد			
٣٣	﴿ ... إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...﴾	١١	أ، ٦ ، ٦١
٣٤	﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ ...﴾	٢٨	٤٧
إبراهيم			
٣٥	﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ ...﴾	١	د
٣٦	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ..﴾	٢٢	١٤٠
٣٧	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ ﴾	٢٨–٢٩	١٢٢
الحجر			
٣٨	﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	٩٤	١٥٠
النحل			
٣٩	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا ...﴾	٣٦	٢٨
٤٠	﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ...﴾	٥٣	١٢١
الإسراء			
٤١	﴿ .. وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	١١٢
٤٢	﴿ ... وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾	٣٤	١٣٦
الكهف			
٤٣	﴿ الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۞ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ...﴾	١–٢	١٥
٤٤	﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾	٤	١٥
٤٥	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ ...﴾	١٠٩	١٥
٤٦	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ...﴾	١١٠	١٥
الأنبياء			
٤٧	﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾	١	٢٥
٤٨	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾	٩٢	٣٢

الحج			
٤٩	﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ... ﴾	٧٥	١١٢
الفرقان			
٥٠	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ... ﴾	٦٣	٦٥
٥١	﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ ... ﴾	٧٠	٥٤
٥٢	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا ... ﴾	٧٤	٦٢
الشعراء			
٥٣	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾	٢١٤	٨٦
النمل			
٥٤	﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كريم ﴾	٤٠	ج
القصص			
٥٥	﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ... ﴾	٧٧	١٠٠
العنكبوت			
٥٦	﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	٢	١٣١
٥٧	﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ .. ﴾	٤٥	٥٨
٥٨	﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ... ﴾	٤٦	١٤٩
٥٩	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.. ﴾	٦٩	١٢٥
الروم			
٦٠	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ... ﴾	٢٧	٣٧
٦١	﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾	٦٠	٧٧
الأحزاب			
٦٢	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا ﴾	٣	١٢٠
فاطر			
٦٣	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ ... ﴾	٦	١٣٧

٦٤	﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ...﴾	٢٨	١١٥، ١٢٦
	ص		
٦٥	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾	٨٢-٨٣	١٣٧
	الزمر		
٦٦	﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ...﴾	٦٥	٢٨
	فصلت		
٦٧	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ ...﴾	٥٣	١١٣
	الشورى		
٦٨	﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾	١١	٣١
	الأحقاف		
٦٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ..﴾	١٣	١٢٤
	محمد		
٧٠	﴿ ...وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾	٢	٤
	الحجرات		
٧١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ ...﴾	١٣	١٥٥
	ق		
٧٢	﴿ ... فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾	٤٥	١٤٤
	الذاريات		
٧٣	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٤٤
	الرحمن		
٧٤	﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾	٦٠	٦٨
	المجادلة		
٧٥	﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	١١	١٢٦
	الحشر		
٧٦	﴿ ...وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢١	٦٣

التحريم			
٧٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا... ﴾	٦	٨٦
الملك			
٧٨	﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا .. ﴾	٢	٩٨
النبأ			
٧٩	﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾	٢٦	٦٨
الأعلى			
٨٠	﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾	١٠	٧٤
الغاشية			
٨١	﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾	٢١	١٤٤
الشمس			
٨٢	﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾	٧-٨	١٣٣
٨٣	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾	٩-١٠	١٣٣،٦١
العلق			
٨٤	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾	١	١٢٧

ثانياً: فهرس آيات سورتي الدراسة(مريم- طه)

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة مريم			
١	﴿ كهيعص ﴾	١	١٠
٢	﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾	٢	١٢،٣١،٨٨
٣	﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾	٣	١٢،٤٥
٤	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ.. ﴾	٤	٣٠،٤٥
٥	﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي ... ﴾	٥	٦٢

٦	﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾	٦	٦٢
٧	﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ...﴾	٧	٣٣
٨	﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي..﴾	٨	٣٣
٩	﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ ...﴾	٩	٣٣
١٠	﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ...﴾	١٠	٣٣
١١	﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ...﴾	١١	٣٣،٤٧،٧٨
١٢	﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾	١٢	٧٩
١٣	﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾	١٣	٧٩
١٤	﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾	١٤	٧٩
١٥	﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ ..﴾	١٥	٧٨
١٦	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ...﴾	١٦	٤٨،٨٨،٩٣
١٧	﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا ...﴾	١٧	٤٨،٩٣
١٨	﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾	١٨	٣٠،٣١،٩٣
١٩	﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ...﴾	٢٠	٣٣
٢٠	﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾	٢١	٣١،٣٢،٣٣
٢١	﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾	٢٢	٣٣،٩٣
٢٢	﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾	٢٣	٣٣،٨٣،٩٣
٢٣	﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ.﴾	٢٤	٣٤،٨٣
٢٤	﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا..﴾	٢٥	٣٤،٨٣،٨٥
٢٥	﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ...﴾	٢٦	٣١،٣٤،٦٥،٨٣ ٨٥،

٢٦	﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ ... ﴾	٢٧	٦٥
٢٧	﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ . . . ﴾	٢٨	٦٥
٢٨	﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ ... ﴾	٢٩	٣٤،٦٥
٢٩	﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾	٣٠	١٣،١٥،٣٠،٣٤،٦٥
٣٠	﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي... ﴾	٣١	٣٤،٤٩
٣١	﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾	٣٢	٣٤
٣٢	﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْم ... ﴾	٣٣	٣٤
٣٣	﴿ ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ ... ﴾	٣٤	٣٤،٣٥،٨٨
٣٤	﴿ مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى ... ﴾	٣٥	٣٥
٣٥	﴿ وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾	٣٦	٢٩
٣٦	﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ .... ﴾	٣٧	٣٥
٣٧	﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي ... ﴾	٣٩	٣٥
٣٨	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا ... ﴾	٤٠	٣٥،٣٧
٣٩	﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾	٤١	٩٦،١٠،٣٩،٨٨
٤٠	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ... ﴾	٤٢	٣٠،٣٩،٨١
٤١	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ... ﴾	٤٣	٨١
٤٢	﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ... ﴾	٤٤	٣١،٨١
٤٣	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ.. ﴾	٤٥	٣١،٨١
٤٤	﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ ... ﴾	٤٦	٣٩،٨١
٤٥	﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي.. ﴾	٤٧	٣٩،٨١
٤٦	﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي.. ﴾	٤٨	٣٠،٣٩
٤٧	﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ... ﴾	٤٩	٦٧
٤٨	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ.. ﴾	٥٠	٣٢،٦٧،٩٧
٤٩	﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ.. ﴾	٥١	٨٩،٩٦

٥٠	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾	٥٣	٣٢
٥١	﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ... ﴾	٥٤	٥٠،٨٦،٨٩،٩٧
٥٢	﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ ... ﴾	٥٥	٥٠،٨٦
٥٣	﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾	٥٦	٨٩،٩٧
٥٤	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ... ﴾	٥٨	١٦،٥١،٨٩
٥٥	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ... ﴾	٥٩	١٦،٥٣،٥٥،٥٨،٦٩
٥٦	﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ ... ﴾	٦٠	٥٣
٥٧	﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالغَيْبِ... ﴾	٦١	٣١،٤١
٥٨	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ ... ﴾	٦٢	٤١
٥٩	﴿ تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾	٦٣	٥٤
٦٠	﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ ... ﴾	٦٥	٢٩،٣١،٥٦
٦١	﴿ وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾	٦٦	٣٤،٣٧
٦٢	﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ... ﴾	٦٧	٣٤،٣٧
٦٣	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ .. ﴾	٦٨	٣٧،٤٢
٦٤	﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ.. ﴾	٦٩	٤٢
٦٥	﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ﴾	٧٠	٤٢
٦٦	﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾	٧١	١١،٤٠
٦٧	﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾	٧٢	٤٠
٦٨	﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾	٧٣	٩٩
٦٩	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا... ﴾	٧٤	٩٩
٧٠	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ... ﴾	٧٥	١٠،٧٠
٧١	﴿ وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالبَاقِيَاتُ ... ﴾	٧٦	٧٢
٧٢	﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا... ﴾	٧٧	٧٠
٧٣	﴿ أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾	٧٨	٧٠

٧٤	﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذَابِ مَدًّا ﴾	٧٩	٧٠
٧٥	﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾	٨٠	٧٠
٧٦	﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾	٨١	٣٠،٦٩
٧٧	﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾	٨٢	٣٠،٦٩
٧٨	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ...	٨٣	٣٠
٧٩	﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾	٨٥	٤١
٨٠	﴿ وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾	٨٦	٤١
٨١	﴿ أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾	٨٧	٤١
٨٢	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾	٨٨	٣٥
٨٣	﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾	٨٩	٣٦
٨٤	﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْض ... ﴾	٩٠	٣٦
٨٥	﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾	٩١	٣٦
٨٦	﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾	٩٢	٣٦
٨٧	﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي ... ﴾	٩٣	٤٠
٨٨	﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾	٩٤	٤٠
٨٩	﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا ﴾	٩٥	٤٠
٩٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ ... ﴾	٩٦	٧٣
٩١	﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ ... ﴾	٩٧	١٤،١٥،٨٧
٩٢	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ.. ﴾	٩٨	١٤،٧٤
	طه		
١	﴿ طه ﴾	١	١٤٢
٢	﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾	٢	١٦،٢٠،٢١،٢٤ ١٤٢،١٤٤،١٤٩،
٣	﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾	٣	١٦،٢٤،١٤٢،١٤٤ ١٥٠،

٤	﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلَا﴾	٤	١٠٣،١٠٧،١٤٥
٥	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	١٠٧
٦	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾	٦	١٠٣،١١٤
٧	﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾	٧	١٠٨
٨	﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾	٨	١٠٥،١٠٧
٩	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾	٩	١٤٢،١٥٦
١٠	﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ..﴾	١٠	١٥٦
١١	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾	١١	١٥٦
١٢	﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ..﴾	١٢	٢١،١٥٤،١٥٦
١٣	﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾	١٣	١٥،١١٢،١٥٦
١٤	﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾	١٤	١٠٥،١١٧،١٥٦
١٥	﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ ...﴾	١٥	١٠٩
١٦	﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ...﴾	١٦	١٠٩
١٧	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾	١٧	٢١
١٨	﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى ...﴾	١٨	٢١
١٩	﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾	١٩	٢١
٢٠	﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾	٢٠	٢١
٢١	﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾	٢١	٢١
٢٢	﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ..﴾	٢٢	٢١
٢٣	﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الكُبْرَى﴾	٢٣	٢١
٢٤	﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	٢٤	٢١،١٢٠،١٤٦
٢٥	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾	٢٥	١٢٠،١٤٧
٢٦	﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾	٢٦	١٢٠،١٤٧
٢٧	﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾	٢٧	١٢٠،١٤٧

٢٨	﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾	٢٨	١٢٠،١٤٧
٢٩	﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾	٢٩	١٢٠،١٤٧
٣٠	﴿هَارُونَ أَخِي﴾	٣٠	١٤٨
٣١	﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾	٣١	١٤٨
٣٢	﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾	٣٢	١٤٨
٣٣	﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾	٣٣	١٤٨
٣٤	﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾	٣٤	١٣٨
٣٥	﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾	٣٥	١٤٧
٣٦	﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾	٣٦	١٤٧
٣٧	﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾	٣٨	٢١،١١٩
٣٨	﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ ...﴾	٣٩	٢١،١١٩
٣٩	﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ ...﴾	٤٠	٢٢
٤٠	﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	٤١	١١٢
٤١	﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾	٤٢	١٤٨
٤٢	﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	٤٣	٢٢
٤٣	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾	٤٤	١٤٨
٤٤	﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾	٤٦	٢٢
٤٥	﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي...﴾	٤٧	٢٢،١٤٨،١٤٩
٤٦	﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ ...﴾	٤٨	١٤٩
٤٧	﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾	٤٩	١٠٤،١٤٨
٤٨	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	٥٠	١٠٤،١٤٨
٤٩	﴿قَالَ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى﴾	٥١	١٠٤،١٤٨
٥٠	﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي ...﴾	٥٢	١٠٤،١٠٨،١٤٨
٥١	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ ...﴾	٥٣	١٠٤،١١٤

٥٢	﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي..﴾	٥٤	١٠٤،١١٤،١١٥
٥٣	﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ..﴾	٥٥	١٠٤،١٠٩،١١٤
٥٤	﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾	٥٦	١٤٣، ١٥٠
٥٥	﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا...﴾	٥٧	١٢٩،١٤٣
٥٦	﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ...﴾	٥٨	١٢٩
٥٧	﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾	٥٩	١٢٩
٥٨	﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾	٦٠	١٢٩
٥٩	﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا...﴾	٦١	١٢٩،١٥٠
٦٠	﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾	٦٢	١٢٩
٦١	﴿ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ ...﴾	٦٣	١٢٩
٦٢	﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ ...﴾	٦٤	١٣٠
٦٣	﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ ..﴾	٦٥	١٣٠
٦٤	﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ...﴾	٦٦	١٣٠
٦٥	﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾	٦٧	١٣٠
٦٦	﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾	٦٨	١٣٠
٦٧	﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا ..﴾	٦٩	١٣٠
٦٨	﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ ...﴾	٧٠	١٣٠،١٥١
٦٩	﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ...﴾	٧١	١٤٣،١٥١
٧٠	﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ...﴾	٧٢	١٤٣،١٥١
٧١	﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا ..﴾	٧٣	١٤٣،١٥١
٧٢	﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ ...﴾	٧٤	١١١
٧٣	﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ ...﴾	٧٥	١١١
٧٤	﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ...﴾	٧٦	١١١
٧٥	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي...﴾	٧٧	٢٢،١٥٢

٧٦	﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا ...﴾	٧٨	١٥٢
٧٧	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ...﴾	٨٠	٢٢،١٢١
٧٨	﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ...﴾	٨١	١٢١
٧٩	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ...﴾	٨٢	١٢٤
٨٠	﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾	٨٣	١٢٣،١٥٨
٨١	﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ...﴾	٨٤	١٢٣،١٥٨
٨٢	﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ...﴾	٨٥	١٣١
٨٣	﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ...﴾	٨٦	١٣١،١٣٦،١٥٨
٨٤	﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا...﴾	٨٧	١٣١،١٥٨
٨٥	﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا...﴾	٨٨	١٥،١٣١
٨٦	﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ..﴾	٨٩	١٠٦،١٣١
٨٧	﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ...﴾	٩٠	١٣١
٨٨	﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا ...﴾	٩١	١٣٢
٨٩	﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾	٩٢	١٥٨
٩٠	﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾	٩٣	١٥٨
٩١	﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي . ..﴾	٩٤	١٥٨
٩٢	﴿... وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾	٩٦	١٣٤
٩٣	﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ ...﴾	٩٧	١٠٦،١٣٢
٩٤	﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ ....﴾	٩٨	٢٢،١٠٥،١٠٦،١٠٨
٩٥	﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾	٩٩	٢٣،١١٠،١٤٥
٩٦	﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾	١٠٠	١١٠

٩٧	﴿ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلًا ﴾	١٠١	١١٠
٩٨	﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ... ﴾	١٠٢	١١٠
٩٩	﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾	١٠٣	١١٠
١٠٠	﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ... ﴾	١٠٤	١١٠
١٠١	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾	١٠٥	١٠٩
١٠٢	﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾	١٠٦	١٠٩
١٠٣	﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾	١٠٧	١٠٩
١٠٤	﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ... ﴾	١٠٨	١٠٩
١٠٥	﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ... ﴾	١٠٩	١١٠
١٠٦	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ.. ﴾	١١٠	١١٠
١٠٧	﴿ وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ ... ﴾	١١١	١١٠
١٠٨	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا ... ﴾	١١٢	١١٠
١٠٩	﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ... ﴾	١١٣	١٤٥
١١٠	﴿ فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالقُرْآنِ .... ﴾	١١٤	١٢٦
١١١	﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ.. ﴾	١١٥	١٣٥
١١٢	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا... ﴾	١١٦	٢٣،١٣٥،١٣٧
١١٣	﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا... ﴾	١١٧	٢٣،١٣٧
١١٤	﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾	١١٨	٢٣،١٣٧
١١٥	﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾	١١٩	٢٣،١٣٧
١١٦	﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ ... ﴾	١٢٠	١٣٧
١١٧	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ... ﴾	١٢١	١٣٧
١١٨	﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾	١٢٢	٢٣،١٣٧
١١٩	﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ ... ﴾	١٢٣	١٤٥،١٢٥،١٣٨

١٢٠	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا...﴾	١٢٤	١١٠،١٢٥،١٤٥
١٢١	﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾	١٢٥	١١٠،١٢٥
١٢٢	﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ...﴾	١٢٦	١١٠،١٢٥
١٢٣	﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ ..﴾	١٢٧	١١٠
١٢٤	﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ...﴾	١٣٠	١٤٣
١٢٥	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ...﴾	١٣١	١٩،٢٥
١٢٦	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ...﴾	١٣٢	٥٦
١٢٧	﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا ...﴾	١٣٤	١١٢
١٢٨	﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ ...﴾	١٣٥	٢٥،٢٤

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

م	الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
١	(إن الله إذا أحبّ عبداً دعا جبريل فقال: إنّي أحبّ فلاناً فأحبّه، قال: فيحبه...)	مسلم	صحيح	٧٢
٢	(إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، ...)	البخاري	صحيح	٨٧
٣	(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ...)	مسلم، الترمذي	صحيح	١٢٦،٦١
٤	(اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل ...)	النيسابوري	صحيح	١٢٣
٥	(الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل...)	الترمذي	حسن صحيح	٨٣
٦	(أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة..)	الترمذي	صحيح	١١٧
٧	(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا..)	مسلم	صحيح	٧٩
٨	(إنّ الصّدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ ...)	مسلم	صحيح	٩٦
٩	(إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب ...)	مسلم	صحيح	٥٢
١٠	(إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته..)	البخاري	صحيح	٧٣
١١	(إن الله قد أذهب عنكم عبيّة الجاهلية...)	أبو داوود والترمذي	حسن	٣٩
١٢	(إن بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة)	مسلم	صحيح	١١٧
١٣	(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)	البخاري	صحيح	٩١
١٤	(...إنه والله يا هؤلاء، لا ينجيكم إلاّ الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد...)	البخاري	صحيح	٩٨
١٥	(بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم...)	مسلم	صحيح	١٣٣،١٢٣
١٦	(خشع لك سمعي وبصري ومخي...)	مسلم	صحيح	٥١
١٧	(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)	البخاري	صحيح	١٢٦

١٨	(دعه فإن الحياء من الإيمان)	البخاري	صحيح	٩٢
١٩	(... فإن الصّدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة)	الترمذي	صحيح	٩٦
٢٠	(قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)	أحمد	صحيح	٢٨
٢١	(كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، ....)	البخاري	صحيح	٨٦
٢٢	(كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن...)	البخاري	صحيح	٩١
٢٣	(اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة...)	مسلم	صحيح	١٣٣،١٠٠
٢٤	(...من بطّأ به عمله لم يُسرِع به نسبُه)	مسلم	صحيح	٥٥
٢٥	(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم...)	مسلم	صحيح	١٥٧
٢٦	(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل ...)	مسلم	صحيح	٦٤
٢٧	(... وجُعل قرة عيني في الصلاة)	النسائي	حسن صحيح	١١٧
٢٨	(..ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا..)	ابن ماجة	حسن	١٣٧
٢٩	(... وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)	مسلم	صحيح	١٥٦
٣٠	عن أبي رافع قال: (أضاف النبي ﷺ ضيفاً فأرسلني إلى رجل من اليهود...)	الطبراني	ضعيف	١٩
٣١	عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: (خرج عمر متقلداً بسيف، فقيل له: أنّ خَتْنَكَ وأختك...)	الدارقطني	صحيح	١٩
٣٢	عن خباب رضي الله عنه، قال: جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده،...)	البخاري	صحيح	٧٠
٣٣	قال أبوبكر رضي الله عنه: (والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، ...)	البخاري	صحيح	٥٠
٣٤	قال جعفر رضي الله عنه: (أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة،...)	أحمد	حسن أو صحيح	٤٤

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العلم	الصفحة
١	أبو رافع	١٩
٢	جعفر بن أبي طالب	٤٤
٣	خباب	٧٠
٤	العاص بن وائل	٧١
٥	مقاتل	١١

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن- المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)- المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم-الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- الطبعة: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤ م.

٢. إتقان البرهان في علوم القرآن- المؤلف:فضل حسن عباس-الناشر: دار الفرقان- الأردن- الطبعة:الأولى-١٩٩٧م.

٣. أثر العبادات في حياة المسلم- المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر- الناشر: دار المغني- الطبعة: الأولى- ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤. إحياء علوم الدين- المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)- الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٥. أدب الدنيا والدين – المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)- الناشر: دار مكتبة الحياة(١٩٨٦م).

٦. الأدب المفرد- المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار البشائر الإسلامية- بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)-الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨. أساس البلاغة- المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) – تحقيق: محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية- بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة- المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)- المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود- الناشر: دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى- سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

١٠. أسرار ترتيب القرآن-المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)-الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

١١. الإسلام أصوله ومبادؤه – المؤلف: محمد بن عبد الله بن صالح السحيم– الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية– الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
١٢. الإصابة في تمييز الصحابة– المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)– تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
١٣. أصول الدعوة– المؤلف: عبد الكريم زيدان– الناشر: الرسالة–بيروت– لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م.
١٤. أصول العقيدة الإسلامية– المؤلف: د. نسيم شحدة ياسين– الناشر: التقوى للطباعة والنشر والتوزيع–غزة– فلسطين– الطبعة: الثانية،١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.
١٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن– المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)– الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان–عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.
١٦. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد– المؤلف : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان– الناشر: مؤسسة الرسالة– الطبعة : الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٧. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم– المؤلف: أ. د عبد السلام حمدان اللوح– الناشر: آفاق للطباعة والنشر والتوزيع– غزة –فلسطين– الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.
١٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين– المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)– تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١٩. الأعلام– المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)– الناشر: دار العلم للملايين– الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٢٠. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)– الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية– الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٢١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل- المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)- المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت-الطبعة: الأولى،١٤١٨ هـ.
٢٢. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير- المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري- الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٣. الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه- المؤلف: محمد نعيم ياسين- الناشر: مكتبة السنة- القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٢٤. الإيمان بالله- المؤلف: د. علي محمد محمد الصلابي- الناشر: دار ابن كثير- سوريا- الطبعة: الأولى.
٢٥. البحر المحيط في التفسير- المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)- المحقق: صدقي محمد جميل- الناشر: دار الفكر – بيروت- الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
٢٦. البرهان فى تناسب سور القرآن- المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)- تحقيق: محمد شعباني- دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب- عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٢٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز- المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)- المحقق: محمد علي النجار- الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٢٨. البيان في عدّ آي القرآن- المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)- المحقق: غانم قدوري الحمد- الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت- الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٢٩. تاج العروس من جواهر القاموس- المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)-المحقق: مجموعة من المحققين-الناشر: دار الهداية.
٣٠. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»- المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)- الناشر : الدار التونسية للنشر- تونس- عام النشر: ١٩٨٤ هـ.

٣١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٢. تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب – رحمه الله – المؤلف : علوي بن عبد القادر السَّقَّاف- الناشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع- الطبعة : الثانية ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
٣٣. التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها- المؤلف: عاطف السيد- الناشر: حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.
٣٤. التسهيل لعلوم التنزيل- المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)- المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي- الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
٣٥. التعريفات- المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)- المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر- الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
٣٦. التغيير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق- المؤلف: د محمد عبد المولى الدقس- الناشر: دار مجدلاوي- عمان- ١٩٨٧م.
٣٧. تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) – المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)- المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين- الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان- الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٣٨. التفسير التربوي- (الموقع الالكتروني للدكتور كمال المويل www.almowil.com).
٣٩. التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]- المؤلف: دروزة محمد عزت- الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة- الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
٤٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)- المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة النشر: ١٩٩٠ م.
٤١. تفسير القرآن العظيم- المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)- المحقق: سامي بن محمد سلامة- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع- الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٤٢. التفسير القرآني للقرآن- المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)- الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
٤٣. التفسير الكامل- المؤلف: الإمام تقي الدين ابن تيمية(المتوفى٧٢٨هـ) – جمع ودراسة وتحقيق وتخريج أبي سعيد عمر العمروي- الناشر: دار الفكر- بيروت- لبنان- الطبعة: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٤٤. تفسير المراغي- المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)- الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ م.
٤٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج- المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي- الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق- الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.
٤٦. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق- المؤلف: الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي- الناشر: دار النفائس- القدس- الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٤٧. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم- إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ.د مصطفى مسلم- الناشر: جامعة الشارقة- الإمارات العربية المتحدة- الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
٤٨. التفسير الواضح- المؤلف: الحجازي، محمد محمود- الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت- الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.
٤٩. التفسير الوسيط للزحيلي- المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي- الناشر: دار الفكر- دمشق- الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٥٠. تفسير مقاتل بن سليمان- المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)- المحقق: عبد الله محمود شحاته- الناشر: دار إحياء التراث – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٥١. تفسير البغوي= معالم التنزيل في تفسير القرآن- المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)-المحقق : عبد الرزاق المهدي-الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت-الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٥٢. تهذيب التهذيب- المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)- الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند- الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ.
٥٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال- المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)- المحقق: د. بشار عواد معروف- الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.
٥٤. التوحيد- المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان- الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية- الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ.
٥٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)- المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٥٦. التيسير بشرح الجامع الصغير- المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)- الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض- الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٥٧. جامع البيان في تأويل القرآن- المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)- المحقق: أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٥٨. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم- المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)- المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس- الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٥٩. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي- المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)- تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة : الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٦٠. جمال القراء وكمال الإقراء- المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)- تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة- الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت- الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٦١. جمهرة اللغة- المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)- المحقق: رمزي منير بعلبكي- الناشر: دار العلم للملايين - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٦٢. خلق المسلم- المؤلف: محمد الغزالي- الناشر: دار القلم- دمشق/بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٦٣. الخواطر= تفسير الشعراوي-المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)- الناشر: مطابع أخبار اليوم.
٦٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون- المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)- المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط- الناشر: دار القلم، دمشق.
٦٥. الدراية في تخريج أحاديث الهداية- المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)- المحقق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني- الناشر : دار المعرفة - بيروت.
٦٦. دعائم التمكين للمملكة العربية السعودية على ضوء قوله تعالى: {الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور}- المؤلف: حمد بن حمدي الصاعدي- الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- الطبعة: العدد المائة وعشرة - السنة الثانية والثلاثون - ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٦٧. دعوة الرسل عليهم السلام-المؤلف: أحمد أحمد غلوش-الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٦٨. الدعوة إلى الله أصولها ووسائلها وأساليبها- المؤلف: د. يحيى علي يحيى الدجني- الناشر: مكتبة آفاق-غزة- فلسطين- الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٦٩. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة- المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)- الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض - المملكة العربية السعودية- الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٧٠. الذريعة إلى مكارم الشريعة- المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)- تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي- دار النشر: دار السلام- القاهرة- عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٧١. الرحيق المختوم- المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)- الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)- الطبعة: الأولى.
٧٢. الرسل والرسالات- المؤلف: د. عمر سليمان الأشقر- الناشر: مكتبة الفلاح-الكويت- الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٧٣. روح البيان- المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)- الناشر: دار الفكر - بيروت.
٧٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)- المحقق: علي عبد الباري عطية- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
٧٥. زاد المعاد في هدي خير العباد- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت- الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
٧٦. زهر الأكم في الأمثال والحكم- المؤلف: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ) - المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر- الناشر: الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب- الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٧٧. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد- المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)- تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض- الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٧٨. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير- المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)- الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة- عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

٧٩.سلسلة التربية لماذا- المؤلف : محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن حسان- مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.
٨٠. سنن ابن ماجه- المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
٨١. سنن أبي داود- المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)- المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد- الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٨٢. سنن الترمذي- المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)- تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض - الناشر :شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر- الطبعة:الثانية، ١٣٩هـ - ١٩٧٥ م.
٨٣. سنن الدارقطني- المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)- حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٨٤. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية- المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)- الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
٨٥. سير أعلام النبلاء- المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)- المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط- الناشر : مؤسسة الرسالة- الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٨٦. السيرة النبوية لابن هشام- المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)- تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي- الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

٨٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي- المؤلف: أحمد أحمد غلوش- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٨٨. الشباب والتغيير- المؤلف: فتحي يكن- الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان- ١٩٧٩م.
٨٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب- المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)- حققه: محمود الأرناؤوط- خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط- الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٩٠. شرح العقيدة الطحاوية- المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)- تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني- الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة - الطبعة: الطبعة المصرية الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م
٩١. شرح العقيدة الطحاوية- المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي- وهو أشرطة مفرغة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية.
٩٢. شرح العقيدة الطحاوية- المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (المتوفى: ١٤٣٠هـ)- مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميةhttp://www.islamweb.net .
٩٣. شرح العقيدة الواسطية- المؤلف: محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)- ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف- الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر- الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ.
٩٤. شرح العقيدة الواسطية- المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)- المحقق: سعد فواز الصميل- الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ.
٩٥. شرح ثلاثة الأصول- المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)- الناشر: دار الثريا للنشر- الطبعة: الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٩٦. شرح زاد المستقنع- المؤلف : محمد بن محمد المختار الشنقيطي- مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net .

٩٧. صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي– المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر– الناشر: دار طوق النجاة –الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٩٨. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم– المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)– المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي– الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.
٩٩. صفوة التفاسير– المؤلف: محمد علي الصابوني– الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة– الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
١٠٠. الضياء اللامع من الخطب الجوامع– المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)– الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٠١. الطبقات الكبرى– المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)– تحقيق: محمد عبد القادر عطا– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
١٠٢. طريق الهداية – مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة– المؤلف: محمد يسري– الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف– الطبعة: الثانية ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.
١٠٣. العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع– المؤلف: محمود السيد شيخون– الناشر: الجامعة الإسلامية– الطبعة: السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الأخرة ١٣٩٧هـ مايو– يونية ١٩٧٧ م.
١٠٤. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم– المؤلف: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي– الناشر: مكتبة دار الزمان– الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
١٠٥. عقيدة أهل السنة والجماعة– المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)– الناشر: الجامعة الأسلامية المدينة المنورة.
١٠٦. العلم والبحث العلمي (دراسة في مناهج العلوم)– المؤلف: حسين عبد الحميد رشوان– الناشر: المكتب الجامعي– الإسكندرية.

١٠٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان= تفسير النيسابوري- المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)- المحقق: الشيخ زكريا عميرات- الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
١٠٨. فتاوى الشبكة الإسلامية-المؤلف: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية-تم نسخه من الإنترنت: في ١ ذو الحجة ١٤٣٠، هـ = ١٨ نوفمبر، ٢٠٠٩ م http://www.islamweb.net .
١٠٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري- المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)- الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية- الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
١١٠. فتح القدير- المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)- الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
١١١. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية- المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)- الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر- الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
١١٢. في ظلال القرآن- المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)- الناشر: دار الشروق – بيروت- القاهرة- الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.
١١٣. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا- المؤلف: الدكتور سعدي أبو حبيب- الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية- الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
١١٤. قصص الأنبياء- المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)- تحقيق: مصطفى عبد الواحد- الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م.
١١٥. القواعد الحسان لتفسير القرآن- المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)- الناشر: مكتبة الرشد، الرياض- الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

١١٦. كتاب الأفعال- المؤلف: علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ)- الناشر: عالم الكتب-الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١١٧. كتاب العين- المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)- المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١١٨. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة- المؤلف: عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان- الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع- الطبعة: السادسة طبعة منقحة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)- الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة- ١٤٠٧ هـ.
١٢٠. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية- المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)- المحقق: عدنان درويش – محمد المصري- الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٢١. لباب التأويل في معاني التنزيل- المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)- المحقق: تصحيح محمد علي شاهين- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٥هـ.
١٢٢. اللباب في علوم الكتاب- المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)- المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
١٢٣. لسان العرب- المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)- الناشر: دار صادر – بيروت- الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
١٢٤. لطائف الإشارات = تفسير القشيري- المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)- المحقق: إبراهيم البسيوني- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر- الطبعة: الثالثة.

١٢٥. اللقاء الشهري- المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)- مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميةhttp://www.islamweb.net .
١٢٦. للسنن الصغرى للنسائي- المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة- الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب- الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
١٢٧. ماذا يعني إنتمائي للإسلام- المؤلف: فتحي يكن- الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.
١٢٨. مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
١٢٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)- المحقق: حسام الدين القدسي- الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة- عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
١٣٠. مجمل اللغة لابن فارس- المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)- دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان- دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
١٣١. مجموع الفتاوى- المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)- المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية- عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
١٣٢. محاسن التأويل- المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)- المحقق: محمد باسل عيون السود- الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
١٣٣. المحكم والمحيط الأعظم- المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]- المحقق: عبد الحميد هنداوي- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٣٤. مختار الصحاح- المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)- المحقق: يوسف الشيخ محمد- الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٣٥. مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية- المؤلف- عبد الله بن عبد العزيز الجبرين- الناشر: مطبعة سفير- الرياض- الطبعة: الثالثة.
١٣٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي- الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
١٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل- المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)- المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي-الناشر: مؤسسة الرسالة-الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٣٨. المستدرك على الصحيحين- المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
١٣٩. مصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ- المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)- دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض- الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
١٤٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)- الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
١٤١. مع الطب في القرآن الكريم- المؤلف: الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز- الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق.- الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

١٤٢. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول- المؤلف : حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : ١٣٧٧هـ)- المحقق : عمر بن محمود أبو عمر- الناشر : دار ابن القيم – الدمام- الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
١٤٣. معالم المنهج الإسلامي- المؤلف: د. محمد عمارة- الناشر: دار الشروق- القاهرة- الطبعة: الثانية، ٢٠٠٩م.
١٤٤. المعجم الكبير- المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)- المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي- دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة- الطبعة: الثانية.
١٤٥. المعجم الوسيط-المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)- الناشر: دار الدعوة.
١٤٦. معجم مقاييس اللغة- المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)- المحقق: عبد السلام محمد هارون- الناشر: دار الفكر- عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٤٧. المغرب في ترتيب المعرب-المؤلف: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠هـ)- الناشر: دار الكتاب العربي.
١٤٨. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير- المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
١٤٩. مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار- المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ).
١٥٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
١٥١. المفردات في غريب القرآن- المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)- المحقق: صفوان عدنان الداودي- الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

١٥٢. مقال: ضوابط التغيير والإصلاح في الفقه الاسلامي١ – صلاح الدين سلطان– موقع الدكتور صلاح سلطان على الشبكة العنكبوتية،www.salahsoltan.com.
١٥٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج– المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)– الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.
١٥٤. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام– المؤلف: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي– الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية– الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
١٥٥. موسوعة النابلسي للعلوم الإنسانية– التفسير المطول–محمد راتب النابلسي–الموقع الإلكتروني للدكتور النابلسيwww.nabulsi.com .
١٥٦. نبذة في العقيدة الإسلامية (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين)–المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)– الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة– الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
١٥٧. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم– المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي– الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة– الطبعة : الرابعة.
١٥٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور– المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)– الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٥٩. الوابل الصيب من الكلم الطيب– المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)– تحقيق: سيد إبراهيم– الناشر: دار الحديث – القاهرة– الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.
١٦٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز– المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)– تحقيق: صفوان عدنان داوودي– دار النشر: دار القلم، الدار الشامية– دمشق، بيروت– الطبعة:الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٦١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد– المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)– تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور

أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
١٦٢. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف- المؤلف: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني- الناشر: دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
الإهداء	**ب**
شكر وتقدير	**ج**
المقدمة	**د**
التمـهيد	**١**
أولاً : المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً	٢
ثانياً : المقصود بالإصلاح لغة واصطلاحاً	٤
ثالثاً : المقصود بالتغيير لغة واصطلاحاً	٦
الفصل الأول **بين يدي سورتي مريم وطه**	٨
المبحث الأول: بين يدي سورة مريم	٩
المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها	١٠
المطلب الثاني: محور السورة وقضاياها	١١
المطلب الثالث: المناسبات في السورة	١٤
المبحث الثاني: بين يدي سورة طه	١٧
المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها	١٨
المطلب الثاني: محور السورة وقضاياها	٢٠
المطلب الثالث: المناسبات في السورة	٢٤
الفصل الثاني **الإصلاح و التغيير في سورة مريم**	٢٦
المبحث الأول : منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي	٢٧
المطلب الأول: توحيد الربوبية والألوهية والصفات	٢٩
المطلب الثاني: كمال قدرة الله تعالى	٣٣
المطلب الثالث: نفي الولد عن الله سبحانه	٣٥
المطلب الرابع: إثبات حقيقة البعث	٣٧

المطلب الخامس: البراءة من عقيدة الكفر	٣٨
المطلب السادس: مظاهر وأحوال العباد يوم القيامة	٤٠
المبحث الثاني : منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي	٤٣
المطلب الأول: الدعاء بالخفاء وإظهار الضعف	٤٥
المطلب الثاني: المداومة على ذكر الله	٤٦
المطلب الثالث: أهمية الخلوة للعبادة	٤٨
المطلب الرابع: التلازم بين الصلاة والزكاة	٤٩
المطلب الخامس: خشوع الجوارح والقلب	٥١
المطلب السادس: التوبة باب مفتوح	٥٢
المطلب السابع: وراثة الجنة بالتقوى	٥٤
المطلب الثامن: حاجة العابد للصبر على الطاعة	٥٥
المطلب التاسع: تلازم ترك الصلوات واتباع الشهوات	٥٨
المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي	٦٠
المطلب الأول: منهجية الولد الصالح	٦١
المطلب الثاني: التدرج في ضرب الأمثال	٦٣
المطلب الثالث: الصمت أبلغ رد على السفهاء	٦٤
المطلب الرابع: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه	٦٦
المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل	٦٨
المطلب السادس: سنة الاستدراج والإمهال	٧٠
المطلب السابع: سنة الثبات وزيادة الهدى	٧٢
المطلب الثامن: محبة الله تعالى لأوليائه	٧٢
المطلب التاسع: العبرة في فناء ومصرع الأمم السابقة	٧٤
المبحث الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي	٧٦
المطلب الأول: الدعوة إلى الله بشتى الوسائل	٧٧
المطلب الثاني: صفات الداعية المسلم	٧٨
المطلب الثالث: منهج الحوار البناء	٨١
المطلب الرابع: الرحمات والنفحات بعد الشدة	٨٣
المطلب الخامس: الحقائق العلمية دليل على صدق الوحي والنبوة	٨٤

المطلب السادس: وجوب تعهد الأهل بالنصح والإرشاد	٨٥
المطلب السابع: التبشير والإنذار بالقرآن	٨٧
المطلب الثامن: الأسوة في التذكير بالأنبياء	٨٨
المبحث الخامس: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي	٩٠
المطلب الأول: أهمية الحياء والعفة	٩١
المطلب الثاني: فضيلة الإخلاص والصدق	٩٥
المطلب الثالث: النظرة المادية القاصرة	٩٨
الفصل الثالث **الإصلاح و التغيير في سورة طه**	١٠١
المبحث الأول : منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي	١٠٢
المطلب الأول: توحيد الله في ألوهيته وربوبيته	١٠٣
المطلب الثاني: توحيد الله في أسمائه وصفاته	١٠٧
المطلب الثالث: ترسيخ الإيمان باليوم الآخر	١٠٨
المطلب الرابع: إعذار الله إلى الخلق بإرسال الرسل	١١١
المطلب الخامس: النظر في آيات الله الكونية	١١٣
المبحث الثاني : منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي	١١٦
المطلب الأول: العناية بالصلاة خاصة	١١٧
المطلب الثاني: الحث على التوكل على الله	١١٩
المطلب الثالث: التحذير من ترك الشكر	١٢١
المطلب الرابع: الإسراع في الطاعة	١٢٢
المطلب الخامس: تحقيق الاهتداء والاستقامة	١٢٤
المطلب السادس: السعي إلى زيادة العلم	١٢٦
المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي	١٢٨
المطلب الأول: مشروعية المناظرة لبيان الحق	١٢٩
المطلب الثاني: خطورة الفتنة في الدين والتحذير منها	١٣١
المطلب الثالث: ضرورة مجاهدة النفس من نوازع الشر	١٣٣
المطلب الرابع: الوفاء بعهد الله والتحذير من نكثه	١٣٥

المطلب الخامس: التحذير من غواية الشيطان	١٣٧
المبحث الرابع : منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي	١٤١
المطلب الأول: التسلية والتصبير على مشاق الدعوة	١٤٢
المطلب الثاني: التذكير والوعظ بالقرآن	١٤٤
المطلب الثالث: مقومات وسبل نجاح رسالة الدعوة	١٤٦
المطلب الرابع: إقامة الحجة والإعذار بالإنذار	١٤٩
المطلب الخامس: الجهر بالحق في وجه الباطل	١٥٠
المبحث الخامس: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي	١٥٣
المطلب الأول: التأدب مع الله تعالى	١٥٤
المطلب الثاني: أهمية التعارف للمتلاقين	١٥٥
المطلب الثالث: الغضب عند انتهاك حرمات الله	١٥٦
المطلب الرابع: الاعتذار خلق حميد	١٥٨
الخاتمة	١٦٠
الفهارس	١٦٣
فهرس الآيات القرآنية	١٦٤
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	١٨٠
فهرس الأعلام المترجم لهم	١٨٢
فهرس المصادر والمراجع	١٨٣
فهرس الموضوعات	٢٠١
ملخص الرسالة باللغة العربية	٢٠٣
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	1

ملخص البحث باللغة العربية

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه إتمام هذه الرسالة، والتي بعنوان: **منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي مريم وطه.**

وقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي في هذا البحث حسب منهجية التفسير الموضوعي، حيث تناول كلاً من المنهج، والإصلاح، والتغيير لغة واصطلاحاً.
وذكر الباحث تقديماً لكل من سورتي مريم وطه، تحت عنوان: "بين يدي السورة" بيّن فيه اسم السورة، وعدد آياتها، ونزولها، وذكر محور السورة وقضاياها، والمناسبات في السورة.

ثم تناول الباحث منهجيات الإصلاح والتغيير التي اشتملت عليها كل من سورتي مريم وطه، فبدأ بسورة مريم حيث ذكر فيها عدة مباحث بعدة منهجيات وهي:
أولاً: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي.
ثانياً: منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي.
ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي.
رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي.
خامساً: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي.

ثم تناول منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة طه، وتناول كذلك عدة مباحث بعدة منهجيات وهي:
أولاً: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي.
ثانياً: منهجيات الإصلاح والتغيير التعبدي.
ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي.
رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي.
خامساً: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي.

وفي نهاية البحث ذكر الباحث أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها خلال البحث، ثم ذكر مجموعة فهارس تسهل الوصول للمعلومة بأقل جهد ممكن.

Abstract of the research in English

Was all praise to Allah Almighty and seal this letter, which was entitled: "**methodologies for reform and change in Suraty Mariam and Taha**".

The researcher has followed the inductive method in this research according to the methodology of objective interpretation; he has also handled Approach, Reform and Change in language and idiom.

The researcher has mentioned an introduction for Surat Mariam and Taha under the title of "between the hands of the Sura" mentioned the name of Sura , number of its verse, its descent, the axis of Sura , its issues and appropriate of the Sura.

The researcher, then dealt with Methodologies of reform and change included in Surat Mariam and Taha, starting several sections with several methodologies, and they are:

First: Methodologies of reform and ideological change.
Second: Methodologies of reform and devotional change.
Third: Methodologies of reform and educational change.
Fourth: Methodologies of reform and change advocacy.
Fifth: Methodologies of reform and change of ethics.

The researchers then dealt with methodologies of reform and change in Surat Taha, included several sections with several methodologies, and they are:

First: Methodologies of reform and ideological change.
Second: Methodologies of reform and devotional change.
Third: Methodologies of reform and educational change.
Fourth: Methodologies of reform and change advocacy.
Fifth: Methodologies of reform and change of ethics.

The researcher, in conclusion, has mentioned the most important results and recommendations that he reached it through the research, and then mentioned a group of indexes to facilitate access to information with minimal effort as possible.